أرواح لا تغفـــــــــر

الطبعة الأولى 1444 هـ - 2022 م
(ISBN) : 978-9931-13-563- 0
الإيداع القانوني: 2022/10

اسم العمــل: أرواح لا تغفر
اسم المؤلــف (ة): نواري مليكة
تصميم الغلاف: زكرياء رقـــاب
إخـــراج: أحمد منصوري
المدير العـام / سميرة منصـوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبــوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكترونــي: www.elmmothakef.com
هاتـف / فاكس 79 47 80 033 / 0773 21 90 79
واتساب/86 73 49 0675
مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقـوق النشـر الورقـي و الإلكترونـي والمرئـي والمسـموع محفوظة للمؤلـف وغيـر مسـموح بتـداول هـذا الكتـاب بالقـص أو النسـخ أو التعديـل إلا بـإذن مـن الناشـر.
©

نواري مليكة

رواية

أرواح لا تغفـــــر

المثقف
للنشر والتوزيع

إهـــداء

إلى الأرواح النقية المتجردة من عفن الكراهية..

إلى أبي الذي يغضب منا فيراضينا..

إلى التي لا تنطق بالحب لكنها كل الحب..

أمي.. ❤

مكامن السعادة

عبر قطار العمر السريع، أدركت أين تكمن السعادة..

السعادة ليست في أن نأخذ، بل في أن نعطي

أن ترسم ابتسامة على وجه حزين..

أن تسد حاجة محتاج فقير

أن تعطي دون مقابل..

وأن ترضى بما تملك.

كان الشتاء باردا في تلك السنة لكن ليس أبرد من مشاعر أولئك الذين يعترضون طريق سعادتك، كانت تمشي والسماء تمطر رذاذا تلألأ مع خيوط الشمس المنبثقة من تلك السحب الرمادية.

في طريق مجهول لا تعلم إلى أين تذهب، أنهكها التعب لتقع على الأرض وعيونها المليئة بالحزن والتعب تبصر نحو السماء، وترى حبات الثلج تتراقص مع النسمات الباردة، تتساقط حبات الثلج المبلورة على وجهها المليء بالشحوب فتذوب على وجنتيها وتمتزج مع تلك الدموع المالحة الحارة فتنصهر، أغمضت عيناها باستسلام لقدر مجهول.

أن تقع لا يعني النهاية، ولكنها قد تكون بداية لنهوض يرفعك.

بدأ الثلج يتساقط بغزارة وكان للثلج خشف يسمع له صوت كأزيز تحت الأقدام، كان الصوت يتقدم خطوة خطوة إذ بها أقدام تمشي بتأني، اقترب أكثر وإذ به شاب يافع طويل نحيف يرتدي معطفا طويلا يغطي ركبتيه ويلبس حذاء بني اللون، يصل إلى ركبتيه بأقل من شبر ويضع قبعة من صوف سوداء، وعلى عنقه يلف بملحفة بيضاء تتمايل مع هبات الريح الخفيفة، توقف لحظة ثم انحنى ليلتقط شيئا من على الأرض، أمسكه ونفض من عليه بلورات الثلج المتراكمة.

و إذ به شيء على هيئة كتاب، كانت مجرد مذكرة مهترئة بالية كأن عصورا قد مرت عليها، على الغلاف كانت توجد رسمة ونقوش غير مفهومة وأسفل تلك الرسمة كانت توجد كتابة، نظر الشاب بتمعن يريد أن يفهم المكتوب ثم قال باستغراب وهو يقرأ تلك الكلمات " أنت مجرد شخص يمر عبر عالمي ".

فتحت عيناها لترى النور ظنت أنها سترى السماء، لكن تُخيل إليها ملامح من نور كانت تبصرها وتنتظر بفارغ الصبر استيقاظها.

- كيف حالك ؟ هل أنت بخير.هل تشعرين بتحسن ؟

ويسوق الله لك رحمة على هيئة إنسان ويُحييك بعد موت على هيئة مشاعر صادقة تجعلك تولد في أول نبضة قلب.

- هل أنتِ بخير؟

عيناها مازالت تبصره، كانت صامتة لم تقل أي كلمة أسرتها نظرة الشاب إليها، نظراته المليئة بالخوف والحيرة لم ينظر إليها أحد من قبل هكذا، رفعت رأسها التفتت يمينا وشمالا، نظرت من حولها إذ بها موجودة بمنزل صغير ليس مجهزا بأثاث كثير، مرتب ونظيف وبه هدوء عجيب. كانت منطرحة على الأريكة حيث وضعها الشاب، عدلت جلستها حنت رأسها وعيناها تنظر إلى الأرض استحياء وكفيها فوق بعض، أعاد الشاب سؤالها وكان يجلس بالقرب منها وينظر إليها باستغراب.

- هل أنتِ بخير ؟ هل تشعرين بتحسن؟

رفعت رأسها لكنها لم تنظر إليه، قالت وهي تتلعثم:

- أجل أنا بخير.

- ارتاحي جيدا سأحضر لك بعض الطعام لعلك جائعة.

دخل الشاب إلى المطبخ وأخذ يحضر الطعام والفتاة في استغراب شديد تسترق النظر إلى الشاب وهو بالمطبخ، كان المطبخ ذو شرفة واسعة لم يكن به باب، كانت باستطاعتها رؤيته وهو يطبخ.

كان مستديرا إلى الخلف، كان ذلك الشاب طويل القامة معتدل الوزن ذا وجه دائري و شعر أسود قصير ناعم وبعض الشعر مسدول على جبينه يغطي حاجبيه، أبيض البشرة أنفه حاد، وعيناه واسعتان بنيتان مائلتين إلى السواد، كانت لديه مسحة من الوسامة ووجهه قسماته مريحة توحي بطيبة القلب، ويعامل الناس باحترام، كانت هذه سمته بادية على وجهه.

أما الفتاة خالجتها مشاعرغريبة وراودتها أفكار كانت تحدث نفسها كيف لهذا الشاب أن يكون ودودا معها هكذا، ربما هذا الشاب سيئ يريد أن يستغلني أو يريد أذيتي، لا..لا ليس ممكنا لقد أنقذني من هلاك محتم، وهي تحدث نفسها حتى نادى عليها الشاب.

. يا آنسة تفضلي إلى غرفة الطعام العشاء جاهز.

جلست الفتاة على الطاولة باستحياء، كان على الطاولة طبق واحد لشرائح لحم مقلية، قال لها وكأنه يحاول أن يبرر لها:

ـ أعتذر، هذا ما لدي من طعام ثم إني لست جيدا في الطبخ.

ما إن أكمل الشاب كلامه حتى وجد الفتاة قد أمسكت الصحن بشغف بكلتا يديها وأخذت تأكل بشراهة وكأنها لم تأكل منذ أسابيع، كان ينظر إليها مندهشا ثم قال ضاحكا:

ـ هههه لا أعتقد أن طبخي لذيذ لهذه الدرجة.

نظرت الفتاة إليه ووجهها قد احمر خجلا، ثم قالت: لم آكل منذ ثلاثة أيام.

التفت الشاب إلى النافذة وهو يميل برقبته ويحدق ببصره الثاقب، ثم قال: مازالت السماء تثلج والجو بارد في الخارج، نامي الليلة هنا وغدا عودي إلى منزلك.

قالت بنبرة يتخللها الحزن وقد خط على وجهها الشاحب التعب:

ـ شكرا لك.

انتاب الشاب فضولا كبيرا تجاه الفتاة ولم يكن من عادته التطفل أو الثرثرة لكنه أراد أن يسألها ليشبع فضوله.

ـ هل لي أن أسألك عن اسمك؟

قالت دون تردد:

ـ آآه.. اسمي "سراب".

ـ "سراب" !اسم غريب وجميل.

ـ غريب؟ كيف غريب !

ـ لا أعلم رأيت أن معناه غريب، فتاة بريئة وجميلة مثلك كان يمكن أن تسمى اسما ظريفا.

لم تقل سراب شيئا ظلت صامتة، شعر الشاب أنه قد أزعجها بكلامه، نطق قائلا: محاولا أن يصلح الوضع:

ـ حسنا لا تهتمي لكلامي أنا فقط أريد بحديثي هذا أن أجعلك تتحدثين، اسمك جميل ومعناه.. اممم...

رفع رأسه إلى السماء وأخذ يفكر ثم قال: أجل السراب هو شيء كالوهم يحدث كثيرا في الصحراء.

أوو...دعك مني، أنا أدعى "ناسك"

قالت وكأنها كانت تحاول تقليده:

ـ آآه.. اسم غريب أيضا لم أسمع به من قبل !!!

نظر إليها ناسك بتعجب ثم ضحك بصوت مرتفع، فهم أنها تريد أن تقلده، لكنها لم تضحك كانت صامتة وشاردة كان يبدو عليها التعب، تعب الروح، نطقت بكلمات مليئة بالامتنان قالت:

. شكرا لك ياسيد" ناسك "على مساعدتك لي لقد أنقذت حياتي الضائعة.

. لم أفعل شيئا يستحق الشكر.

دخلت سراب إلى غرفة جميلة كانت تحلم بها منذ صغرها، سرير مرتب وغطاء دافئ كان حلم فتاة قضت سنينا من عمرها مشردة من شارع لشارع، نامت سراب وهي تتذكر ملامح الشاب "ناسك"، كان شابا وسيما طويل القامة نظيف الملابس، مرتبا ومهذبا في الكلام، كانت وسامته تأسر قلب أي فتاة تراه، نامت سراب بين أحضان غطاء دافئ ووسادة ناعمة محشوة بالريش، في تلك اللحظة كان ناسك يفكر في قصة هذه الفتاة سراب كان يسأل نفسه وهو واقف أمام نافذة الغرفة، يا ترى ما قصة هذه الفتاة !! لما أشعر أنها غريبة الأطوار.

مالفت انتباه ناسك هو عيناها، كانت شديدة السواد كليال صيفية وبراقة ككوب مضيء، الأمر ليس بتلك الغرابة أن لون حدقتها أسود، الغريب في الأمر أن بؤبؤ العين واسع لدرجة أنه لا مكان للبياض في عينيها، شكلها وصغر سنها وبراءتها التي كانت تنعكس من ملامحها وهدوئها المريب، كانت توحي لناسك أنها فتاة بريئة لا يمكن أن يخشى منها أحد.

حقيقة الأشياء لاتفهم إلا إذا غصنا داخلها، وأحيانا لا نعرف قيمة الأشياء حتى لو تعمقنا، نتيه نطفو حتى نرسو.

● قبل عشرين سنة

قبل عشرين سنة مضت وفي ليلة مظلمة دامسة وشتاء بارد، وكان المطر غزيرا وصوت الرعد المدوي الذي يزلزل القلوب وسنا البرق يكاد يخطف الأبصار، تعالت صرخات "حنين" لم تستطع تحمل آلام المخاض وهي في المشفى، وخلف الباب قدم "رامز" تارة ذهاب وتارة إياب وهو يمسك كفيه بقوة وقلبه يخفق من الخوف و منفطر لحال زوجته العزيزة، في انتظار مولوده الجديد وفجأة سمع بكاء طفل صغير فزع قلب رامز اجتاحته نشوة عارمة، خرجت الممرضة وهي تبتسم لرامز وقالت: مبارك ابنة جميلة.

كانت فرحة "رامز"كبيرة بسماع ذلك الصوت الذي جعل قلبه يخفق أقوى، دخل يهنئ زوجته

. مبارك والحمد لله على سلامتك.

أمسك ابنته بهدوء كأنه خائف لا يعرف كيف يحملها وأخذ يهزها بين يديه والسعادة بادية عليه رسمتها تلك الابتسامة العريضة على وجهه، رن الهاتف...

. ألو..مرحبا "رامز" كيف حال "حنين "هل ؟ أنجبت ؟ هل هي بخير؟

ـ هههه على رسلك يارجل أنت تسأل كثيرا، أجل حنين بخير وقد أنجبت ابنة جميلة جدا إنها تشبه والدتها.

ـ مبارك عليك يا "رامز " أنت محظوظ لك زوجة رائعة والآن إبنة، بلغ حنين سلامي وتهاني الحارة.

نظر "رامز" إلى "حنين" ثم قال:

ـ إنه "حازم" يتصل يسأل عنك لقد بدا مهتما جدا لسلامتك.

ردت حنين قائلة وهي تبتسم وانطبعت عليها ضحكة هادئة:

ـ ههه.. أكيد يكون مهتما، أليس صديق الطفولة؟

ـ أجل إنه صديق وفي، آآه على فكرة ماذا سنسمي ابنتنا، فكرت في أن نسميها" جنى " مارأيك؟

"جنى" ! اسم لطيف وجميل مادام هذا الاسم من اختيارك سنسميها "جنى".

● بعد مرور أربعة أشهر.....

ـ قد مضى أربعة أشهر على ولادة ابنتنا إنها تكبر بسرعة.

ـ أجل إنها محظوظة لها أب رائع.

ـ أريد لابنتي أن تكبر وتصبح ذات شأن، أريدها أن تكون طبيبة أو مهندسة.

ـ عليك أن تكون مهتما بها أولا لأنك مشغول دائما بأعمالك.

ـ معك حق، أنت تعرفين أنه يجب أن أهتم بالشركة، لا يمكنني الاعتماد على أحد.

ـ لكن حازم يساعدك.

ـ أجل حازم شخص رائع يقوم بكل شيء ويحمل عني أعباء الشركة أفكر أن أكافئه.

قام "رامز" وهم بالخروج، تبعته حنين قائلة:

ـ " رامز" إلى أين أنت ذاهب؟

ـ ذاهب في موعد عمل، سأذهب أنا و"حازم" إلى لقاء أحد رجال الأعمال إنه أمر يتعلق بالشركة.

ـ آآه لاتنسى أن تتصل بي وتطمئنني على حالك.

ـ لا تقلقي سأتصل.

مشى" رامز" خطوات نحو العتبة ثم التفت إلى الخلف برقبته وأخذ ينظر إلى حنين نظرات فيها شيء من الشوق والخوف، كانت عيونه المحدقة تحكي ما أراد رامز أن يقوله لكن يصعب الفهم. استغربت " حنين" انتابها شعور لم تعرف معناه، نطقت بكلام خافت: هل نسيت شيئا ما؟

- آه. لا فقط أردت أن أقول لك اهتمي بابنتنا "جنى".

خرج" رامز" تبعته "حنين" بنظراتها، لم تقل أي شيء لكن خفقات قلبها المتسارعة التي لم تعرف كيف تهدئها وتقنعها أنه الخوف العادي الذي تشعربه كل زوجة.

حل الظلام عم السكون وحنين تجلس على طاولة العشاء تنتظر مجيء زوجها وهي تحدث نفسها، غريب لماذا هاتفه مغلق؟ لما لم يعد حتى الآن؟ ليس من عادته أن يتأخر هكذا؟ ربما مكروه حدث له، وخطر ببالها أن تتصل بصديقهما "حازم"، أخذت الهاتف ويداها ترتعشان وقلبها يخفق بشدة.

- ألو.. "حازم "مساء الخير كيف حالك أريد أن أسالك عن "رامز" أهو معك !

- من ! "رامز".. لا ليس معي لم أره اليوم.

- كيف لم تره لقد أخبرني أنه ذاهب للقائك، قال أنه لقاء عمل.

- أبدا لم يكن أي لقاء بيننا ولما أكذب عليك؟ ربما "رامز" يخبئ شيئا ما عنك.

سقط الهاتف من يدي حنين التي كانت ترتجف وأخذت تمشي وهي شاردة، عجزت عن التفكير كان الهاتف على الأرض ينبثق من سماعته صوت حازم ..ألو.. ألو..حنين..

حل الصباح، لبس الظلام نسيجا من نور فتلاشى وتبدد، لكن حنين غشتها ظلمات لم تعرف طعم النوم، قررت أن تخرج لتبحث عن" رامز" وهي تحمل ابنتها بين ذراعيها، ذهبت إلى كل مكان قد يذهب إليه زوجها لكن دون جدوى، مرت الأيام و"حنين" في أسوء حالاتها و"حازم "يبحث معها ويواسيها، لم يفارقها للحظة، "حازم" كان سعيدا في قرارة نفسه أنه قريب من "حنين"، ربما كانت له فرصة كبيرة لم تكن له من قبل، هذا ما أراد أن يصل إليه، تدهورت حالة "حنين "وسكن الحزن قلبها أصبحت شاحبة الوجه هزيلة لم يعد يحلو لها لا أكل ولا نوم إنطفأت كما تنطفئ الشمعة ولم يعد لها نور، كزهرة داهمها الذبول قبل الأوان.

وهكذا مرت الأيام ولا أخبار عن حال زوجها ورفيق دربها "رامز".

رنّ جرس الباب وحنين تطعم ابنتها، نظرت إلى الباب كانت تأمل أن يكون" رامز "وضعت ابنتها "جنى" وأسرعت إلى الباب وعندما فتحت الباب وإذ بحازم يحمل باقة من الورود، انطفأت اللهفة في عينيها كما ينطفئ الجمر الملتهب في الماء، نظرت إليه باستخفاف هذا أنت! ضحك "حازم " أجل هذا أنا هل أنا مزعج إلى هذه الدرجة؟

- كف عن الثرثرة وتفضل.

دخل "حازم" بنفس خبيثة ووجه ترسم عليه ابتسامة ماكرة، جلسا يتحدثان و"حازم" في نفس الوقت يفكر بالكلام الذي جاء من أجله، صمت كلاهما كأن على رؤسهم الطير وكأنه لايوجد مايقال.

- أح أحم أحم آآه "حنين " أريد أن أقول لك شيئا مهما.

- تفضل قل.

كان الأمر صعبا على حازم أن ينطق بما يجول في خاطره وما يكنه صدره، أخذ يتأتئ في الكلام

ـ أنا..أنا أريد الزو..اج.. بك.

نظرت حنين إلى حازم نظرة يملؤها الذهول ولم تنطق بكلمة، كانت تمهد لصرخة قوية، انفجرت كبركان ينثر الحمم، صرخت بصوت مرتفع، ما الذي تقوله هل جننت؟ ما دهاك؟ أنسيت أنني امرأة متزوجة وأنت رجل متزوج؟

ـ أجل أعلم ذلك، لكن أنا أفكر في مصلحتك، رامز ذهب ولن يعود أبدا أعتقد أنه سافر مع امرأة أخرى وتركك وحدك، لقد قام بخيانتك.

ـ اصمت لاتكمل كلامك لقد انخدعت بك كنت أظنك صديقا وفيا ولكنك تريد أن تطعن ظهر صديقك وتأخذ منه زوجته وهو على قيد الحياة ولم يمضِ على غيابه إلا شهر.

ضحك حازم ضحكة استهزاء وقال بكل ثقة: فكري بالأمر كل هذا لمصلحتك، أريد أن أكون سندا لك ليس من اللائق أن أتواصل معك ولا أحد في المنزل ماذا سيقول الناس؟ رجل يتردد كثيرا على منزل امرأة.

كانت حنين تنظر إليه وهي لاتصدق ماتسمع، نظرتها إليه وهي ترفع حاجبها الأيمن بابتسامتها المليئة بالاستهزاء والمقت ثم قالت:

ـ وهل فكرت ماذا سيقول الناس وأنا أتزوج من رجلين؟ هل فكرت ماذا لو رجع رامز، كيف لي أن أتزوج وأنا على ذمة رجل؟ ثم إني لا أعرف أين زوجي وماذا حدث له، كيف لي أن أتزوج ونحن مازلنا مرتبطين؟ هل أنت تتحدث من كامل عقلك ياحازم، ثم من طلب منك المجيء؟ لا أحتاج عطفك أغرب عن وجهي، لا أريد رؤيتك أنت تجعلني أشمئز منك ومن نفسي، أغرب لا أريد رؤيتك.

قام حازم من مكانه تبعته حنين وأخذت تدفعه إلى الخارج وهي تصرخ وتقول: أخرج من بيتي لا أريد رؤيتك.

خرج حازم غير مبال وهو واثق من أنه سيتزوجها يوما ما حتى لو أجبرها بالقوة.

جثت حنين على ركبتيها وأخذت تضربهما بقبضة يديها وهي تصرخ وتبكي على ما ألم بها وهي تقول: أين أنت يا "رامز" تعال وانظر ماذا يحدث لي..

قد تحاط بك المصائب دون سابق إنذار ودون أن تتوقع، منا من يتخطاها بكل شجاعة ومنا من يقع أسيرا داخل قوقعه الحزن، ليس سهلا أن تتحرر من ضعفك، من مشاعرك التي تقيدك والأصعب من ذلك تلك الصدمات التي تحدث تغييرا جذريا في حياتك، ولك الاختيار في أن تتغير للأحسن أو الأسوء.

مرت الأيام ولم يظهر أي خبر عن "رامز"، تمكن "حازم" من السيطرة على ممتلكات "رامز" الشركة والبيت وحتى السيارة، طبعا كان "حازم" يخطط لهذا منذ زمن ودبر المكائد وأحاط بصديقه وبزوجته.

الطمع و الجشع ليس له حد، إن توغل في قلب الإنسان والأسوء من ذلك أن يخطئ المرء وهو يرى نفسه على صواب.

بعدما سيطر حازم على كل شيئ أجبر حنين على الخروج من منزلها، أما حنين الآن وقد اكتشفت حقيقة حازم ونواياه الخبيثة فقدت رغبتها في الحياة، لكن ماجعلها أقوى هي ابنتها "جنى" تلك الطفلة الصغيرة التي مع ولادتها ولدت المصاعب في حياتها، أخذ حازم حنين و ابنتها إلى بيته لتعيش هناك، كان على حنين أن تتقبل الوضع حتى تفكر في كيفية الخلاص من هذا المأزق الذي وضعت فيه، مرت الأيام وحنين في بيت حازم ولا شيء يذكر عن "رامز".

لم تفقد الأمل أو بالأحرى أنها كانت تريد أن توهم نفسها بالأمل، كانت تشعر أن زوجها لن يعود لكنها لم ترد أن تضعف.

وذات مرة كانت تتجول بين أركان البيت إذ بها تسمع أصواتا مرتفعة خُيل إليها أنه شجار، اقتربت من الصوت أكثر حتى سمعت صوت امرأة قالت في نفسها:

ـ إنها زوجته ربما هي تخاصمه بسببي، ماذا أفعل ياترى؟ لا، ربما هي فرصة لي، شجارهما سيكون في صالحي أو ربما تطردني من البيت هكذا أستطيع التخلص من شر حازم.

اقتربت حنين من الباب وبدأت تنظر من زاوية الباب الذي كان مغلقا إلا قليلا.

ـ لما لا تفهمين قصدي يا "عهد" أنا أريد أن أساعد هذه المرأة، إنها زوجة صديقي العزيز.

ـ هاهاها هل تظنني حمقاء أم غبية؟ أنا أعلم أنك تسعى خلف هذه المرأة وأعلم أنك السبب في غياب زوجها.

أمسك "حازم "زوجته من شعرها وجرها إليه بقوة ثم قال:

ـ ما الذي تقولينه!

ـ أجل لقد سمعتك وأنت تتحدث إلى "رامز "كنت أشك في تصرفاتك لذا تبعتك حيث التقيت أنت ورامز ورأيت كل شيء.

ـ ما الذي رأيته؟

في تلك اللحظة كانت حنين تسترق السمع ورغبتها في معرفة ما جرى جعلتها تتمالك نفسها وتلصق أذنها على الباب وهي تحاول بكل جهدها أن تسمع كل ما يقال.

ـ أنت تعلم ماذا رأيت، رأيتك وأنت تقوم بقتل صديقك رامز فقط من أجل الحصول على رزقه وزوجته.

عم الذهول "حنين "وتغير لون وجهها، تسارعت نبضاتها، جف الريق في حلقها وأخذت تتراجع خطوات إلى الوراء والدموع تنهمر كالمطر على خديها، أسرعت في صمت حملت ابنتها" جنى" وخرجت من المنزل هاربة تركض وتنظر خلفها وهي تبكي لا تعرف أين تذهب والخوف يملأ قلبها، كانت تركض وتنظر خلفها خشية أن يلاحقها حازم في تلك اللحظة خرج حازم من المطبخ وقد أشبع" عهد " زوجته ضربا وانتبه على أن "حنين" ليست موجودة في البيت بعد ما بحث عنها في أرجاء المنزل وأخذ ينادي.."حنين" أين أنت "حنين"، خرج يركض بسرعة كان خائفا من أن تكون قد سمعت حديثه مع زوجته، ركضت حنين وكانت وجهتها إلى الغابة.

دخلت الغابة وهي تجري وتتنهد وتنظر خلفها وتمسك بابنتها بقوة وتتعثر تارة وقدماها مليئة بالدماء، فطريق الغابة شائك، اختبأت خلف شجرة كبيرة لتستريح وابنتها تبكي تحاول اسكاتها لكنها لم تنجح في اسكاتها، ربما كانت جائعة أو أنها كانت تشعر بالخوف الذي كانت أمها تشعر به، وصل حازم إلى الغابة كان يعلم أنه الطريق الوحيد الذي يمكنها أن تسلكه وفجأة سمع صراخ طفل صغير حينها علم أنها موجودة وأخذ ينادي: "حنين" أين أنت عودي معي هذا المكان خطر عليك وعلى ابنتك.

وعندما سمعت صوته حملت ابنتها و واصلت الجري حتى وصلت الى أعلى الجبل، كان ذلك الجبل به قمة عالية كانت هناك مغارة لم تكن بادية للعيان إذ أن الضباب كان يغشى المكان وصلت "حنين" ولم تعرف أين تواصل سيرها كانت

تعلم أنها النهاية ولا مكان تختبئ به، تقدمت نحو المغارة ووضعت ابنتها عند مدخل المغارة خشية أن يكون داخل المغارة حيوان مفترس، أخذت تجول حول المكان علها تجد مهربا، كان المكان به ضباب كثيف وعلى حافة الجبل منحدر إذا أطلقت بصرك لن ترى نهاية المنحدر، وصل حازم وقد أنهكه التعب أخذ يتنفس بسرعة وهو يحاول استرجاع أنفاسه ثم قال بأنفاس متقطعة وهو يضع يديه على ركبتيه منحني الظهر:

. حنين لماذا هربتي ألا تثقين بي؟ أريد حمايتك وحماية ابنتك.

ـ اصمت لا تقل أي كلمة حديثك يجلب لي الغثيان، أتظنني غبية لا أعرف ماذا تخطط له؟ أعلم أنك غدرت بزوجي وقتلته لكن أخبرني لماذا؟ لقد وثقنا بك، كنت دائما الأخ والصديق الوفي.

قاطعها وهو يضحك:

ـ هاهاها وهذا ماجعلني أُجن أنني كنت في نظرك أخا وصديقا، أخبريني فقط ما الذي أعجبك في رامز لما اخترته، لقد نشأنا معا وكنت مهتما بك كثيرا، ألم تري إعجابي بك؟ ألم تري كيف كنت أنظر إليك دائما؟ هاهاها أجل أنا من قتلت رامز قتلته ولست نادما على ذلك، لما هوأفضل مني؟

كان حازم يتحدث وحنين تبكي بحرقة ولم تقل أي كلمة، كانت مندهشة مما تسمعه وحازم في حالة جنون يتحدث باستهزاء، تارة يضحك وتارة يبكي !!

ـ أجل قتلته، كان دائما هو الأفضل في الدراسة، الأفضل في العمل الأفضل في معاملتك له أنا لم أكن أي شيء في نظرك، أنا كنت مجرد دُون، أجل مجرد دُون لهذا كنت أحسده أنت لم تعرفي حجم العذاب والألم الذي كنت أشعر به، أنت لم تعرفي كيف أنني كنت أتعب من لعب دور الصديق الودود لكن في داخلي كان

هناك شيطان غاضب، لأحصل عليك يجب أن أزيح العثرة التي تعيق طريقي ورامز كان شوكة لابد من انتزاعها.

. وتقتله؟ هل كان يجب أن تقتله؟ هل تعتقد أنني سأسامحك على فعلتك، هل تظن أنه يمكنني العيش مع قاتل زوجي؟ هل تراني بهذه الوقاحة؟

ـ مع الوقت ستنسينه، سنتزوج وسنعيش معا وسأربي ابنتك كابنة لي ولن تحتاجي لأحد.

ـ في أحلامك يا حازم...

وبدأت حنين تتراجع إلى الوراء خطوة بعدها خطوة وهي تبكي وتقول:

. لن أسامحك يا حازم ستصيبك لعنتي ولعنة رامز مدى عمرك سأكون شبحا يطاردك أين ما ذهبت سأكون كابوسا يقلق نومك لن أسامحك على فعلتك يا حازم.

ـ حنين لا تفعلي هذا بي انتبهي حنين.

اقتربت من الحافة ونظرت إلى الأسفل فلم ترَ شيئا، كان الضباب كثيفا لم تفكر حنين في حل آخركان ذلك خيارها الوحيد، رأت أن حياتها ستكون جحيما رفقة حازم فاختارت السقوط في الهاوية ولم تفكر قط في مصير ابنتها، أغمضت عينيها لأن الحقيقة التي كانت أمامها كانت قاسية أغمضتها لأنه كان صعبا عليها أن تراها وأن تواجهها.

بسطت يديها كأنها طائر يريد أن يحلق لكنها لم ترد أن تحلق بل أرادت أن تهوي، نظرت إلى حازم والحزن والألم يملأ عينيها، أغمضتهما وكانت تلك آخر نظرة، وألقت بنفسها على ظهرها إلى الهاوية.

أسرع حازم وجثا على ركبتيه ليمسك بها كانت تهوي وهو ينظر إليها ولم يستطع فعل شيء، مد يده وهو جاث على ركبتيه وكان ينظر إليها بعيون مليئة بالأسى، آخر كلمة قالتها لن أسامحك وكان لهذا الصوت صدى كانت الجبال تردده لن أسامحك... لن أسامحك..وأتبعها يصرخ حازم بأعلى صوت حنيييين....

أخذ يمسك التراب بكفيه ويصرخ بالبكاء، ما خطط له لم يكن، وحنين المرأة التي أحبها بصدق طول عمره والتي حفرت في قلبه قد هلكت وكان هو السبب في هلاكها.

هكذا كانت عاقبة الأمر الذي خطط له بنفس خبيثة لم يفلح في شيء، شتت عائلة وشتت نفسه ولم تعد سوية، النفس إن أطعتها أهلكتك لكن إن أتعبتها بالعصيان تقومت واتزنت، وهذه الحقيقة قليل من يفهمها.

أما عن حازم عاد يجر الخطى وقد بلغ منه اليأس مبلغه عاد وهو يحمل تلك المشاعر التي ضيعته وضيعت أحب الناس إليه.

وفي صباح اليوم التالي وسط الغابة حيث الأشجار التي كانت تزين الغابة، إن مددت بصرك تكاد لا ترى زرقة السماء إلا عبر تلك الوريقات الخضراء التي تتراقص مع النسمات الباردة وتلك المراعي الخضراء المكتسية حلة الربيع، كان هناك رجل يرعى، كانت له معزتان يرعى بهما كان الرجل يدعى" حطاب" وقد كان يجمع الحطب ليأخذه إلى بيته الصغير.

كان الشتاء باردا، رجل فقير ليس له ما يدفئ بيته سوى عيدان من الحطب، فجأة سمع "حطاب" بكاء طفل صغير، انتابه قليل من الخوف أراد أن يهم بالرحيل ظنّا منه أنه شبح فليس من المعقول أن يكون هناك طفل صغير وسط هذه الغابة في

أعالي الجبال، أخذ يفكر هل يذهب ليكتشف الأمر أم يذهب ولا شأن له بما يجري، لكنه استجمع قواه، قاده الفضول وصعد إلى الجبل وإذ بطفلة صغيرة عند مدخل المغارة تبكي وتصرخ، رق قلب "حطاب "على تلك الطفلة أخذ ينادي من هناك هل من أحد هنا؟ لكن لا أحد يرد سوى صدى صوته المتردد، أمسك الطفلة وأخذها معه الى بيته الصغير المتواضع، دخل حطاب على زوجته" جهينة "وأخذ ينادي جهينة ! جهينة !

ـ ما الأمر لماذا تصرخ! هاا ماذا تحمل بيدك !!

ـ ماذا أحمل في رأيك أرنبا؟! إنها طفلة ألا ترين؟

ـ أعلم أنها طفلة ولكن من أين وكيف وجدتها!

جلس حطاب وأخذ يروي لزوجته ماحدث وهي تحمل تلك الطفلة "جنى" بشغف ثم قالت:

ـ آه مسكينة طفلة بجمالها وبراءتها ترمى هكذا في أعالي الجبال؟ أمرغريب..

ـ مارأيك أن نربيها؟

قالت جهينة والرغبة تملأ قلبها.

. نربيها !!!!

. أجل.

. لا مانع لدي إنها نعمة من الله، لم أرزق بأولاد وقد بعث الله لي هذه الطفلة، آه كم أنا سعيدة ولكن ماذا سنسميها؟

ـ أمممم لنسمها "سراب".

. " سراب " ! ولما هذ الاسم الغريب.

. أظن أن الاسم يناسبها لأنه عندما وجدتها كانت كالسراب، كان هناك ضباب كثيف حول الجبل وكنت أراها من بعيد، كانت كالسراب وهي تبكي أحسست بصداع في رأسي، كان الأمر غريبا لكني تماسكت ولو أني لم أتماسك كنت سأسقط على الأرض.

. أمر غريب، ما قصة هذه الطفلة ؟

. لا أعلم لكني حقا أحببتها.

. من الآن" سراب " هي ابنتنا.

● بعد مرور 18 سنة.....

. سراب، تعالي يا ابنتي ساعديني في جمع الحطب.

. أنا آتية يا أبي.

جهينة تنظر من نافذة المطبخ وهي تحدث نفسها.. آآه لقد كبرت سراب بسرعة كم أنا سعيدة بها مرت ثمانية عشر سنة بسرعة حتى أني لم ألحظ نموها، أتمنى أن يبقى لي عمر حتى أراها تكبر أكثر وتصبح عروسا.

كانت سراب فتاة رشيقة ذات مظهر جيد، بيضاء البشرة وذات عيون واسعة سوداء متوسطة القامة وعلى وجهها ترسم ابتسامة بريئة.

. أبي، انظر يا أبي طائر جميل.. آآه أظنه مصاب.

. أجل إنه مصاب.

- أريد أن أساعده يا أبي.

- أنت طيبة يا ابنتي حسنا سنساعده.

كانت فرحة سراب كبيرة وهي تساعد ذلك الطائر المصاب.

كانت سراب سر سعادة حطاب وزوجته جهينة، سراب كانت تعتبر حطاب وجهينة والداها الحقيقيان فهما لم يخبراها بالحقيقة بعد.

ومرت الأيام إلى أن أتى يوم كانت سراب رفقة حطاب وهي ترعى معه الغنم.

- يا ابنتي لا تبتعدي العبي بالقرب من هنا.

- حاضر يا أبي لا تقلق.

كان حطاب يراقبها وهي تتجول عبر الأرجاء، تتنقل كالنحلة من زهرة لزهرة إلى أن لفت انتباهها أرنب جميل أبيض اللون بالقرب منها، رسمت على وجنتيها ابتسامة زادتها وسامة شعرت برغبة كبيرة في الإمساك به وانطلقت خلفه تركض وهو ينط من مكان لمكان وهي تركض خلفه وتقول انتظر سأمسك بك، ولم تشعر حتى وجدت نفسها قد ابتعدت عن أبيها حطاب نظرت حولها أدركت أنها تاهت، أرادت العودة لكن لم تعرف كيف، عم الضباب حول المكان وانعدمت الرؤية.

وأخذت تنادي أبي.. أبي هل تسمعني؟ أخذت تمشي حتى وصلت إلى أعلى الجبل، شعرت بالخوف الشديد لأن المكان مخيف بقدر ما هو هادئ إلا أنه مريب، تقدمت خطوات حتى سمعت صراخا قويا فزعت واشتد خوفها وتسارعت نبضات قلبها وبدأت الأصوات تقترب منها، لم تعرف ما مصدر الأصوات لكنها كانت تسمع أصواتا مختلفة كضجيج شارع، كانت تدور في مكانها تلتفت حولها يمينا وشمالا تبحث عن مصدر الصوت ولم تشعر إلا بظلام يغشي عينيها حتى أغمي عليها وسقطت على الأرض.

وعندما فتحت عيناها كانت تنظر لها عيون مليئة بالخوف والحيرة قامت وهي تصرخ..

. سراب لا تخافي نحن أبويك، حضنتها "جهينة "بين ذراعيها وطبطبت على ظهرها علّها تهدأ.

قالت سراب وهي ترتجف وتبكي بكاء طفل صغير:

. أنا خائفة يا أمي، خائفة رأيت أشياء غريبة.

قال حطاب وهو يحاول أن يهدئ من روعها:

- لم يحدث لك شيء أنت بخير، لا تقلقي نحن معك.

حل الصباح واخترقت أشعة الضوء الستار المسدول على النافذة، استيقظ ناسك واستدار برأسه نحو النافذة، أزعجه الضوء المنبثق كخيوط نسيج بيضاء قام من فراشه واتجه نحو النافذة، أزاح الستار داهمه الضوء القوي أغمض عينيه لم يستطع أن يقاوم شدة الضوء، أخذ يفتح عينيه ببطء وإذ بالسماء تثلج، كل شيء في الخارج يرتدي حلة بيضاء، غطى الثلج كل الأرجاء، كان ينظر وهو يفكر ويحدث نفسه ياترى ماقصة تلك الفتاة لما أشعر أنها غريبة بعض الشيء؟ أشعر أن هالة مريبة حولها، مازالت السماء تثلج ماذا سيحدث لهذه الفتاة إذا خرجت في مثل هذا الجو يجب أن أعرف قصتها.

استيقظت سراب فتحت عينيها لتجد نفسها في غرفة هادئة جميلة، كان يصعب عليها النهوض لم ترد أن تخرج من فراشها الدافئ كانت أول مرة تنام فيها على فراش كذلك الفراش، استيقظت وأخذت تتجول في أرجاء البيت ورأت ناسك

داخل المطبخ كان يجهز فطور الصباح كانت تنظر إليه من بعيد، شعرت براحة في داخلها كانت تؤمن أنه إنسان جيد قسمات وجهه وملامحه السمحة كانت توحي لها ذلك.

ربما تغيرت نظرتها للحياة، من يدري قد يسوق الله لك سندا يرشدك إلى الطريق وحكمته يخبئها في هيئة بشر.

استدار ناسك ورأى سراب تنظر إليه، تبسم لها بابتسامة ساحرة زادت من وسامته وقال:

. استيقظتي! أنت فتاة كسولة وضحك.

شعرت بالإحراج ولم تقل أي كلمة، جلسا على مائدة الطعام وطلب منها أن تأكل.

. كلي، لا تستحي المنزل منزلك.

. آه شكرا لك.

. الجو مازال باردا في الخارج ومازال الثلج يتساقط هل تستطيعين السير والرجوع إلى بيتك؟

نظرت إليه وتوقفت عن الأكل قالت: أجل أستطيع ثم سكتت.

شعر ناسك أن هناك أمرا يزعجها نطق قائلا:

. آنسة سراب هل لي أن أسألك؟

لم تقل سراب شيئا سوى تلك الكلمة المبهمة بصوت لا يكاد يسمع: أم..

. ماقصتك لما كنتي ملقاة على الأرض في هذا الجو البارد أين أهلك؟ ربما هم يبحثون عنك؟ إن كنتِ تريدين أن تتصلي بهم وتطمئنيهم عن حالك سأعطيك هاتفي.

سراب صامتة لم تقل أي شيء، أكملت الأكل في صمت ثم حملت نفسها وخرجت دون أن تقول أي كلمة، وكأن في نفسها عتب هي تعلم أنه لامكان يحتويها ولا عائلة تلم شتاتها وتحتضنها. خرجت ولاحقها ناسك بنظراته وهي تمشي وسط الثلج تجر الخطى والحزن يملأ قلبها الكسير، ما إن ابتعدت قليلا حتى شعر ناسك بالشفقة عليها وشعر بالندم، أحس أنه طردها دون أن يشعر خرج مسرعا دون أن يفكر، لحق بها وهو ينادي سراب !سراب ! التفتت سراب حولها ورأت ناسك يركض نحوها، شعرت بسعادة كبيرة أحست أنها ستعود إلى ذلك الركن الآمن، كم هي متعبة الحياة وقاسية على فتاة في عمر الزهور محتوم عليها الذبول.

وصل ناسك ثم قال: آسف ياسراب تركتك تذهبين في جو كهذا، هيا عودي معي.

عادت وهي تشعر بالراحة، لم تخف من أن تعيش في بيت شاب لكن خافت أن تعود إلى الشارع الذي لا يرحم أو تعود الى قريتها التي طردتها شر طرد.

كانت سراب تتساءل ما الذي يحدث معها! ماذا يجري حولها! لم تفهم، الكل يتهمها بأشياء لم تفعلها، الكل يراها فتاة النحس التي إذا مرت بمكان أحدثت خلفها كارثة، كانت هذه كلماتها وهي تحكي لناسك قصتها.

لكن ناسك لم يفهم من قولها شيئا، كان كلامها كاللغز المحير، قاطعها ناسك وقال لها:

. ارتاحي، لا أريد أن أعرف عنك شيئا، فقط البيت بيتك.

حل المساء واكتسى الليل حلة الظلام، انطرح ناسك على سريره وخلد إلى النوم وعندما انتصف الليل سمع صوتا في المطبخ، قام ليرى ماسبب هذا الصوت؟ أحس بشيء خفي مر حوله، اتجه نحو المطبخ، دخل فلم يستطع رؤية شيء،

كان الظلام دامسا، لم يرَ سوى عيون ذات بريق تنظر نحوه، شعر بالخوف الشديد أسرع في إشعال الضوء، وإذ بسراب تحمل كأس الماء، كان قلبه يخفق بقوة لكن سرعان ما هدأ حين رأى سراب قال لها باستغراب:

. لما أنت هنا في هذا الظلام؟ لما لم تقومي بإشعال النور؟

لم تقل أي كلمة، رجع الى مكانه لكن لم يستطع النوم، شعر أن أمرا غريبا يحدث وأخذ يفكر لكنه استسلم للنوم أرهقه التفكير.

ومع حلول الصباح الباكر استيقظ ناسك ليستقبل يوما آخر مجهولا، وجد سراب مستيقظة تحضر فطور الصباح، أخذ ينظر إليها ويفكر فيما حدث البارحة لكنه تردد ولم يسألها.

جلس على المائدة وأخذ يحدثها قائلا:

. هذا البيت هو بيتي الصغير أجلس كثيرا في هذا البيت لأنني أحب الوحدة وقراءة الكتب وبما أنك هنا سأعود إلي منزل والدي إنه بالقرب من هنا وأنت يمكنك العيش هنا الوقت الذي تريدينه.

لكن سراب انزعجت من كلامه، أحست أنها قد أثقلت عليه بوجودها، حدقت ببصرها إليه وقالت:

. كلا لايمكنني أن أخرجك من بيتك سأغادر فورا...

لكن ناسك قاطعها قائلا: كلا لا يمكنك الخروج أنا لا أعلم قصتك لكني متأكد أنك دون مأوى.

كانت تعابير الحزن بادية على وجه سراب لما يعتريها من شحوب، قالت له وهي عازمة على إخباره عن حقيقة ما جرى معها.

. أجل في الواقع أنا دون مأوى ولكني سأخبرك بكل قصتي وبكل ماحدث معي وآمل ألّا أزعجك بحديثي.

شعر ناسك لأول مرة أنه يريد أن يعرف ما لا يعنيه، شخصيته الهادئة وحبه للعزلة تغلب عليها هذا الفضول سرعان مارد عليها قائلا:

. لا..لا تفضلي كلي أذان صاغية.

كانت سراب تروي حكايتها لناسك منذ طفولتها وناسك يصغي لها بانتباه ولم يقاطعها بأي كلمة.

قبل سنتين مضت وفي القرية التي كانت تعيش فيها سراب كانت تدعى قرية الذئب لقبت بهذا اللقب لأن القرية كانت موجودة بالقرب من الغابة وكانت الذئاب تهاجم القرية كل مرة وتفترس أغنام الرعاة، عُرفت بهذ الاسم منذ القدم، وكان أهل القرية أناسا بسطاء لا يظهر عليهم الترف.

ذات يوم جاء رجل من أهالي القرية قاصدا بيت حطاب، كان يدعى السيد "عوني" كان رجلا غنيا كثرة ماله جعلت منه رجلا متسلطا، له بأس شديد وقوة عرف بها وسط الناس، كان ذا بنية ضخمة يمشي مختالا بين أهل القرية والكل كان يضع له ألف حساب، وقف السيد "عوني" أمام عتبة الباب ضخامة بنيته جعلت من الباب الخشبي يبدو كأنه بيت للأقزام.

بدأ ينادي بصوت قوي حطاب! حطاب!، سمع حطاب صوته فزع توقع الأسوء لكنه خرج إليه مسرعا فتح الباب وقال وقلبه يرتجف من الداخل، كما أنها بادية على قسمات وجهه تلك الرهبة والخوف، قال بصوت يتخلله الانزعاج:

. اه السيد "عوني" مرحبا بك تفضل.

. لم آتي لأدخل يا "حطاب" جئت لأسترجع نقودي التي أعرتك إياها.

. لكني لا أملك المال الآن اصبر علي بعض الوقت.

تعصب السيد عوني وانفعل بسرعة كأنه أراد حقا أن يسمع هذا الجواب من حطاب، برزت عروق جبينه وتقارنت حواجبه الكثيفة وأمسك حطاب بقبضة يديه القويتين وانتشله من الأسفل، رفعه إلى الأعلى وألصقه على الحائط وهو يضغط بقبضته على صدره، صرخ في وجهه كأنه يريد أن يلتهمه ولعابه يتطاير في وجه حطاب كأنه تنين ينفث النار.

. يبدو أنك تسخر مني لقد صبرت عليك حتى نفذ الصبر مني، إن لم تُعد لي نقودي ستكون نهاية حياتك، ثم دفعه بقوة على الأرض سقط صريعا، صرخت جهينة بأعلى صوتها.

. مات "حطاب" وهي تمسكه والدماء تنزف من رأسه، سمعت سراب صراخ أمها دخلت مسرعة وعندما رأت مشهد أبيها والدماء تنزف صرخت صرخة كأنه دوي، سقطت على الأرض مغمى عليها لم تعرف جهينة من تحمل أولا زوجها أم ابنتها..

حل الظلام وساد الصمت وفي منزل حطاب كانت سراب تعتني بالجرح الذي على رأس أبيها الذي غطاه الشيب وتضمده له، أخذت تسأل أباها وكأنها تعاتبه، لم يهن عليها حال أبيها، لماذا أخذت المال من السيد عوني يا أبي أنت تعرف أن طبعه سيئ !

. أعلم يا ابنتي لكن، هو الوحيد الذي يملك المال وقبل أن أذهب إليه طرقت كل الأبواب ولم أجد عند أحد سواه.

كانت سراب حزينة وهي ترى أباها في ذلك السن الكبير يهان ويظلم، شعرت بالقهر لكنها كانت تعلم أنها أضعف من أن تعين أباها أو ترد عنه الظلم.

في الصباح الباكر سمعت جهينة دقدقة الباب، اعتصر قلبها أحست أن أمرا سيئا سيحدث، ترددت في فتح الباب لكنها تشجعت ورأت أنه لا بد من فتحه، تقدمت خطوات نحو الباب.. يد تمسك مقبض الباب ويد وضعتها على صدرها علّها توقف شدة النبض داخلها.

فتحت الباب وإذ به السيد عوني يقف بقامته الطويلة الضخمة ثم قال لها بنبرة حادة: نادي على "حطاب".

جاء حطاب يمشي خطوات متأنية ثم وقف عند الباب وقال ماذا تريد؟ إن جئت من أجل المال فأنا لا أملكه وافعل ما بدا لك.

تعالت ضحكات السيد عوني لما سمع كلمات حطاب المليئة باليأس، ثم قال:

. على رسلك يارجل لم آتي لآخذ منك المال ولكن جئت لأعتذر منك عما بدر مني البارحة لقد كنت حقا فضا معك، في تلك اللحظة لم يشعر حطاب بالراحة مما قاله بل ازداد خوفه وعلم أن في نفس "عوني" مكر وكيد، فجأة ظهرت أمامه "سراب" نظر "عوني" إليها ظل شاردا لم يحرك له جفن، شعر بشعور غريب توتر قليلا وبدت عليه علامة الانزعاج، ثم قام من مكانه وخرج مستأذنا، حتى أنه لم يقل ما أراد أن يقوله.

لم تفهم "سراب" ولا "حطاب" ما الذي جاء من أجله "عوني" ولا تصرفه الغريب.

ومرت الأيام شمس تشرق وشمس تغيب وظلام الليل يخفي في جوفه الكثير والنهار في قرية الذئب لم يعد نهارا، ما الذي يحدث أشياء غريبة وحوادث كثيرة هذا هو حديث الساعة لاتسمع إلا تلك الهمهمات وأنت تمشي وسط الطريق وعلى الرصيف هؤلاء البائعون يلملمون أغراضهم يخشون أن يصيبهم قرع ما، أصبح الناس الذين يعيشون في القرية يرون أشياء غريبة لم يعرفوا سببها لغز ما هناك في القرية.

كان يعتقد الناس أن القرية أصبحت مسكونة تسكنها أرواح شريرة، وكل يوم يسمع خبر، احتراق متجر للأقمشة ومرة وجد رجل خدوشا على جسمه كأن الذئاب نهشته ومرة اختطاف، وعم الرعب والخوف في تلك القرية ولم يعد يغمض لهم جفن.

وذات يوم كانت "سراب" ترعى الأغنام كعادتها فقد كانت تجد سعادتها في رعي الغنم والاستمتاع بتلك المناظر الخلابة داخل الغابة حيث كانت ترعى، عادت إلى البيت وهي تمسك بطنها من الجوع همت بالدخول تحاول أن تطلب من أمها أن تحضر لها الطعام حتى فوجئت بالسيد "عوني" داخل البيت وعلامة الشر بادية على وجهه، دخلت خلسة تمشي على أصابع قدميها، لم تحاول استراق السمع لأن صوته كاد يصل إلى آخر القرية.

سمعته يهدد حطاب قائلا: له أنه سيبيع المنزل رغما عنه إن لم يدفع له المال الذي أعاره إياه لكن حطاب المسكين أخذ يتوسل إليه ويخبره أنه لا يملك المال وأنه سيدفع له عما قريب، لكن غطرسة عوني جعلته لا يهتم بما قاله له حطاب، قام من مكانه وهم بالخروج لكنه عند خروجه التقى بسراب عند الباب حيث كانت واقفة تستمع لحديثهم، نظر السيد عوني إلى سراب شعر بقليل من الخوف، لكن جشعه وتجبره جعله يفكر بخبث، نظر إليها وابتسم ابتسامة مليئة بالمكر ثم استدار وعاد إلى حطاب وقال له:

. لقد وجدت الحل أريد منك أن تعطيني هذه الفتاة مقابل المال الذي أدينه لك.

وقع كلام عوني كالصاعقة على حطاب شعر أن قدماه لم تعد تحملانه، استشاط غضبا مما سمع واحمر وجهه كأن الدماء تدفقت من عروقه.

لم تقل سراب أي شيء كانت واقفة كالخشبة، رد حطاب على عوني وقال بكل ثقة . أفضل الموت على أن تأخذ ابنتي.

رد السيد عوني محاولا أن ينفض من على كلامه سوء الظن الذي رآه في عيني حطاب.

. على رسلك يارجل أنا أريد أن آخذها لتعمل عندي وهكذا تكون قد سددت الدين الذي عليك، إنها فتاه جميلة أريدها أن تعمل في المحل وسأدفع لها أضعاف الأضعاف ما رأيك يا حطاب!

لم ينطق حطاب لكن سراب نطقت وكأنها تريد أن تسبق أباها بالكلام، أنا موافقة سأعمل لأسدد دينك يا أبي.

لكن حطاب قال لها كلمات مليئة بالدفء أنت صغيرة يا ابنتي ولا تعرفين شيئا.

ردت بكل ثقة: لا تخف يا أبي سأكون بخير.

في اليوم التالي ذهبت سراب رفقة السيد عوني أخذها إلى المحل الذي أرادها أن تعمل فيه وعندما دخلت وجدت المكان مكتظا بالناس يلعبون الورق ويتقامرون، هذا يضرب هذا وهذا يشتم ذاك لم يكن مكانا يليق بفتاة مثلها، اندهشت سراب وشعرت بخوف شديد، تراجعت للوراء خطوة خطوة لكن عوني أمسك بيدها وأخذ يجرها ورمى بها داخل غرفة رثة مليئة بالزبالة حبسها لكي لا تهرب لم تفهم سبب هذه المعاملة، إتكأت على الحائط جمعت قدماها وضمت بيديها ركبتيها وطأطأت رأسها ولم تعرف بما عليها أن تفكر، أمضت ليلتها وهي تبكي خائفة لم تتعود على هذه المعاملة السيئة ولم تبتعد يوما عن والديها، كانت تحدث نفسها ماذا سأفعل؟ لايمكن أن أعمل في هذا المكان إنه قذر حقا، أتمنى أن يأتي أبي ويساعدني أشعر بالخوف..

سرعان ما داهمها النعاس حتى غطت في نوم عميق نامت وهي لا تعرف مصيرها وماذا ينتظرها وفجأة استيقظت على صرخات تتعالى حريق....حريق أطفئوا النار، أرادت الخروج لكن علمت أن الباب مقفل لكنها حاولت النجاة بأي طريقة ما إن أمسكت بمقبض الباب حتى وجدته مفتوحا تعجبت ثم خرجت مسرعة وهربت إلى بيتها وهي تركض وتنظر خلفها خشية أن يلاحقها أحد دخلت على أبيها حطاب وهي تبكي وحالة الذعر بادية على وجهها أمسك بها حطاب وقال لها: لا تخافي أنت بأمان.

أخذت تروي لأبيها ماحدث وهي تنتفض من الخوف وترتعد وحطاب يهدئ من روعها.

وبعد مرور أسبوع جاء السيد عوني وقد تشوه وجهه وأصابته حروق في جسمه من حادث الحريق الذي حدث في محله، دخل على حطاب دون أن يطرق الباب فقد ركل الباب بقدمة حتى كاد أن يقلع من مكانه ثم دخل والشر يتطاير من عينيه، أخذ يتوعد حطاب بالقتل لكن حطاب لم يفهم شيئا من كلامه ولم يفهم لما هو يتوعده.

قال حطاب محاولا أن يستفسر عن الأمر.

. عفوا يا سيد عوني ما الذي فعلته ابنتي حتى تجعلك غاضبا هكذا؟

لكن السيد عوني كان يستشيط غضبا ويقول أنا متأكد من أن ابنتك هي من تسببت بالحريق لا داعي لأن تنكر ذلك.

أنكرت سراب ذلك وقالت وهي ترتعد من الخوف:

. كيف وأنا كنت محجوزة ولم أخرج حتى سمعت الصراخ في الخارج؟

. إن كنت محجوزة كيف تمكنتي من الهرب؟

. أنا وجدت الباب مفتوحا.

. كيف مفتوح؟ وأنا من أقفلته بيدي ثم إني كنت أراك في أحلامي وأنتي تتوعديني بالقتل، كنت حقا مرعبة لا أستطيع أن أنسى ذلك الكابوس، كانت عيونك تشع كلهب من النار.

قاطعه حطاب قائلا: ولكنك تقول أنك رأيتها في حلم وأنت تعلم أن الأحلام ليست حقيقة.

. أنا متأكد أنه ليس حلما، كانت تطاردني كل ليلة منذ أن جئت إليك أول مرة.

كانت سراب مختبئة بين أحضان أبيها كطفلة صغيرة وتقول:

. صدقني ليس لي دخل، صدقني أنا بريئة، نظرت إلى أبيها بعيونها البراقة، صدقني يا أبي أنا بريئة ليس لي علم بما حدث.

نطق حطاب وهو متعب قال بكل ثقة:

. ابنتي سراب لا يمكن أن تفعل شيئا كهذا أنا ربيتها وأعرفها حق المعرفة إنها لا تستطيع أن تؤذي نملة فكيف يعقل أن تفعل شيئا شنيعا كهذا؟

قال عوني مستهزئا:

. الذئب أيضا لا يؤذي نملة لكنه يفتك بأنيابه فريسته دون رحمة.

عندها خرج غاضبا وعيونه ترمي بالشر، قال بصوت خفي وهو يتوعدهم:

. سنرى لاحقا.

أخذت سراب تبكي بين أحضان أبيها وهي تقول لما يا أبي؟ لما يتهمني الكل بأنني شريرة وأني أسبب لهم الأذى صدقني لا علاقة لي بما يحدث.

أخذ أبوها يواسيها ويطبطب على كتفيها ويقول:

. أعلم أنك فتاة جيدة يا ابنتي لكن حظك سيء ويبدو أن أهل هذه القرية لا يحبوننا لذا يجب أن نرحل بعيدا من هنا.

لكن سراب انزعجت من قول أبيها ثم قالت:

. لما علينا أن نترك أرضنا وديارنا ونرحل، نحن لم نخطئ بشيء هذا ظلم.

. أجل يا ابنتي نحن لم نخطئ لكن حظنا أخطأ، إن الفقراء مثلنا لا ينظر إليهم أحد وإن نظروا! نظروا باستحقار ونحن لا نملك أن نرد الظلم يا ابنتي.

. أليس جبنا أن نستسلم يا أبي؟

. ليس جبنا ولا استسلاما فقط هو هروب إلى السلام، أن تعيش براحة بال هو سر السعادة في هذه الحياة.

. السعادة! كيف أحصل على السعادة يا أبي؟ دون المال دون أن يكون لي بيت كبير وملابس رفيعة وسيارة فاخرة و..هههه أظن أنني بالغت.

. السعادة ليس في كل ذلك، السعادة في أن نرضى بما نملك.

. أجل أنت محق فسعادتي هي أمي وأنت يا أبي.

حضنت أباها وكان حضنه وطن وسكن وأمن وملجأ تهرب إليه من حوادث هذا الزمان.

مرت أيام وأيام وسراب كعادتها عائدة من الغابة وتسوق الأغنام متجهة إلى بيتها الصغير، حتى سمعت ضجة كبيرة والناس يصرخون استغربت ما الأمر !! وإذ بأهل القرية يتوجهون إلى منزلها مسرعين يصطدم هذا بهذا، تخلل سراب شيء من الخوف أسرعت هي الأخرى محاولة أن تفهم ماذا يحدث فوجدت بيتها الصغير يحترق وقفت مذهولة غير مصدقة لما تراه بقيت واقفة والناس يركضون يحملون الدلو يحاولون إطفاء النار، كان المشهد مريعا على فتاة صغيرة

ليس لها مأوى سوى بيت صغير يضمها وأب وأم كانا لها كل شيء، كانت واقفة كصنم والدموع تهطل على وجنتيها وتبلل الأرض، كانت تنظر واللهب يكاد يصل عنان السماء ويتصاعد معه ذلك الدخان الأسود، صوت الخشب وهو بين أحضان اللهب يتآكل ويضمحل كان كالسهم يخترق فؤادها لم تتمالك نفسها، صرخت بأعلى صوتها أبـــي.. أمـــي.كانت صرخة ضياع وألم وقهر تمنت لو أن ما تراه مجرد حلم، دخلت بين الناس وهي تصرخ أنقذوا أبي وأمي وحاولت أن تدخل لكن هناك من أمسك بها ومنعها، كان شابا صغيرا يسكن في القرية كان يدعى "لامع "كان يمسك بها وهي تصرخ، دعني أدخل أبي وأمي بالداخل، لكنه قال لها هذا خطر عليك النيران تشب في كل مكان، لا تقلقي سنحاول إخراجهم.

لكنها كانت أقوى من قبضته أفلتت منه ودخلت مسرعة غير مبالية بالنيران التي تلتهب دخلت وهي تصرخ تبحث عن أبويها، كان سقف البيت يلتهب احترق كل شيء وجدت أمها جهينة على زاوية ذهبت مسرعة إليها لكنها وجدتها جثة هامدة ضمتها بقوة وهي تبكي بكاء يذيب الحجر ثم انتبهت إلى أبيها الذي كان مختبئا تحت مائدة كبيرة أسرعت إليه وكان أملها أن تجده حيا وصلت إليه حملته بين يديها وهي ترتجف نظر إليها كان وجهه أسود كمدخنة.

قال بصوت خافت ممزوج بالألم والخوف:

. عليك أن تخرجي من هنا المكان أصبح خطرا.

لكنها لم تستمع إليه وأخذت تجره بكل قوتها أملا في إخراجه دخل "لامع" وساعدها في إخراجه وقام رجال القرية بإخراج جهينة وقد صارت جثة هامدة.

أخذوا حطاب إلى المشفى كان يحتضر أصر على رؤية ابنته سراب، دخلت سراب وألقت بنفسها على أبيها وبدأت تبكي بكاء الطفل الضائع كانت عيون حطاب

مليئة بالدموع، قال لها بصوت خافت يتقطع مع الأنفاس، كان صدره يصعد وينزل كأنه يحاول أن يتنفس بقوة ليحظى ببعض الوقت مع ابنته ثم قال لها:

. يا ابنتي أريد أن أقول لك سرا كتمته سنينا طويلة من حياتي وحان الوقت لأخبرك الحقيقة:

لكن سراب كانت تبكي بشدة وتقول لا أريد أن أعرف أي شيء أريدك أن تبقى معي، قاطعها حطاب قائلا: أنا لست أباك الحقيقي ولا جهينة أمك، لقد وجدتك فوق الجبل، جبل الأرواح داخل مغارة، كنت صغيرة جدا في ذلك الوقت وجميلة عندما رأيتك أحببتك وتعلق قلبي بك ولم أستطع الذهاب من دونك لذا أخذتك معي ومنذ ذلك الحين أصبحتِ ابنتي المدللة الغالية وصدقيني إعتبرتك ابنتي من صلبي ولم أشعر ولو للحظة أنك لست ابنتي.

في تلك اللحظة شعرت سراب بألم شديد أحست أن قلبها يعتصر كأنه حلم كأنها ضائعة كانت تتمنى لو أن ما يحدث مجرد حلم، لكنها صرخت بكل قوتها قائلة:

. وأنا أريدك معي إلى جانبي لا أعرف أحدا سواك إلى من تركتني يا أبي إلى من ؟

قال حطاب وهو يحاول أن يلتقط نفسه الأخير ابحثي عن أهلك قد تجدينهم يوما!!.....

أغلق حطاب عينيه ونام بسلام إلى الأبد لكن بالنسبة لسراب كانت تلك بداية الضياع في حياتها، أمضت الليل كله وهي مستلقية على أبيها وهي تبكي وتبكي إلى أن نامت.

وفي صباح اليوم التالي أشرقت الشمس على القرية لكن غربت شمس سراب ولن ترى الصبح أبدا، كان هذا ماتشعر به سراب كانت تعلم أنها ستعاني في تلك القرية، إلى أين ستذهب؟ أي منزل سيأويها! فقد أحرق السيد عوني منزلها انتقاما لما حدث له، لكن أهل القرية لم يقولوا أن السيد عوني هو من أحرق المنزل وتسبب في موت حطاب وزوجته كان لهم حديث أخر.

كانت تمشي سراب وسط القرية تجر الخطى وقد اعترى وجهها الشحوب، تمشي لا تعرف أين تذهب وهي تمشي وأهل القرية يرمقونها بنظرات حادة ويتهامسون في ما بينهم، لم تكن تسمع من كلامهم سوى كلمات كانت تتردد على مسامعها.

. انظروا إليها إنها فتاة نحس جلبت النحس لوالديها ولأهل هذه القرية.

. أجل سمعت أنها ليست ابنة حطاب وجدها في جبل الأرواح..

. حقا جبل الأرواح؟ ربما هي شيطان أو طيف متجول لا تقتربوا منها قد تؤذيكم أجل أبعدوا أولادكم عنها أظنها شبحا.

كان هذا حديث أهل القرية بينما كانت سراب تمشي في أرجاء القرية، سقطت سراب على الأرض وهي تبكي، وضعت يديها على أذنيها حتى لا تسمع أي شيء لأن كلماتهم كانت كالخنجر يطعن قلبها المتوجع.

حل الظلام وغيمت السماء فاشتد سواد الليل وبدأت الأمطار تتساقط قطرة تليها قطرة وهي تصب على وجهها الحزين وامتزجت حبات المطر الباردة بتلك الدموع الحارة المالحة ولكنها لم تطفئ صبابة قلبها، كانت سراب تمشي من مكان لمكان لم تجد أي مأوى وهي تمشي وجدت نفسها أمام منزلها نظرت بعيون ذابلة كان كل شيء محترق رغم أن كل شيء في البيت اختربت إلا أنه المكان الوحيد الذي قد تلجأ إليه، لم تأكل منذ أيام لكنها لم تشعر بالجوع، ماكانت تشعر

به هو الألم والوجع نامت بين الركام، كانت تحلم بأيامها السعيدة مع والديها هكذا أمضت أيامها متسولة بين أرجاء القرية، هذا يطردها وذاك يضربها وقليل من يشفق عليها وشاع بين أهل القرية أن سراب هي طيف يجول بالليل وينتقم من أي شخص يؤذيها، هكذا قضت سراب أيامها ومرت الأيام وهي متشردة من مكان لمكان وأصبح كل فعل شنيع سببه سراب حتى ولو لم تكن هي، كان الأشرار في تلك القرية يفعلون المنكرات ويتهمون طيف سراب بجرائمهم المفتعلة إلى أن اتفق أهل القرية على أن يقتلوها رغم أنهم كانوا يخافون منها إلا أنهم اجتمعوا و قرروا ذلك.

سمع ذلك القول فتى يدعى "رائد" استرق السمع خلسة وهم يكيدون ويمكرون حينها أسرع باحثا عن سراب ليخبرها بالأمر، وجدها عند زاوية من منزلها المخترب جاء يركض وهو يقول: اهربي ياسراب أهل القرية يمكرون بك انجِ بنفسك، اضطربت سراب وشعرت بخوف شديد وهربت مسرعة لكن أهل القرية اكتشفوا أمر هروبها ولحقوا بها وأخذوا يركضون خلفها وهي تجري وتنظر خلفها اشتد المطر وحل الظلام وخرجت سراب من القرية دخلت المدينة وهي تركض وأهل القرية خلفها يصرخون اقتلوها لا يجب أن تعيش، اختبأت بين زقاق إحدى البيوت الكبيرة وهي تركض تعثرت وسقطت على الأرض ولم تستطع النهوض، استلقت على ظهرها مستسلمة دون أن تحاول، بدأت حبات الثلج تتساقط تُخيل لها من بعيد صورة أمها وأبيها كانا يناديان عليها وهي تبتسم بوجه حزين، أغمضت عينيها واستسلمت إلى قدرها المحتوم.

في تلك اللحظة انتبه ناسك لوجود فتاة ملقاة على الأرض كاد الثلج أن يغطيها، وقف ناسك واستغرب من وجودها في ذلك المكان حملها إلى بيته وهذا ماكان من أمر سراب وقد حكت له كل ماجرى لها.

احتار ناسك لما سمعه من قصة سراب فلم يسمع في حياته قصة كهذه القصة، وفجأة تذكر ما حدث في منتصف الليل وكيف أنه وجد سراب في المطبخ لكنه هز رأسه وحاول أن يبعد من رأسه الأفكار المتلاطمة قال ناسك لسراب:

. قصتك حقا غريبة فلم أسمع ولم أرَ ظلما كالظلم الذي عشته بين أهل تلك القرية لابد أنك عانيت كثيرا وأنتي في هذا السن الصغير لكن لا تقلقي هذا البيت اعتبريه بيتك ولن أسمح لك بالمغادرة حتى تجدي حلا لمشكلتك.

تبسمت سراب تخللتها نشوة عارمة، أحست أنها قد نجت من الأهوال التي مرت بها ولن تكون مشردة ولن تخرج إلى أي مكان لكن فجأة خطرعلى بال سراب شيء ما أزعجها في نفسها، خافت أن يحدث شيء سيء لناسك ويظن أنها السبب في أذيته كانت خائفة وخوفها كان ممزوجا بمشاعر لا تعرف معناها كانت تفكر في كل شيء يحدث حولها لم تشعر بشيء في داخلها ولم تفهم حقيقة واقعها.

في تلك اللحظة تذكرت كلمات والدها وهو يقول لها أنها ليست ابنته فقط في تلك اللحظة أحست أن الأمان الذي كانت تستظل به، قد انزاح وأنها الآن قد أصبحت وحيدة لا تعرف لها أصلا، ورغم هذا الكثير يتهمها بأنها سبب الحوادث التي تصيبهم كانو يرونها كالشبح الذي يطاردهم ويفزعهم عند نومهم ويصيب لعناته عليهم.

كانت تتحدث داخلها بنفس كسيرة كيف يكون الشبح وكيف يكون البشر وهذه الأحاسيس التي بداخلي ماهي حقيقتها؟ هل أنا مثل الناس فيما أختلف عنهم قامت من مكانها نحو مرآة كانت تقابلها وأخذت تنظر لوجهها بتمعن وهي تلامس خدها ثم هزت رأسها يمينا وشمالا محاولة أن تخرج تلك الأفكار من رأسها قائلة:

. آآه ماهذه الأفكار لا أريد أن أفكر في شيء.

صعب جدا أن تكون وحيدا في هذا الوجود لم يكن الشتاء باردا بالنسبة لها رغم قسوة الشتاء في تلك السنة كانت تشعر ببرود في داخلها لم تعد تحضنها يد أبيها وأمها ولن يشفق عليها أحد لن ينظر إليها أحد كما كان يفعل والدها، كف الحنان التي كانت تمدها إليها أمها والقلب الرحب الذي كان يحتويها بين ضلوع والدها تلاشى واختفى وتناثر وأصبحت الأيام طوالا كالسنين.

هكذا أمضت سراب ليلتها تقلب صفحات الأيام التي مضت وفي صباح اليوم التالي سمعت سراب قرع الباب ذهبت مسرعة لفتح الباب وعندما فتحت الباب وجدت ناسك أمامها يحمل في يده كيسا استغربت مما رأت، تبسم ناسك وقال:

. ماذا ألا تريدين مني أن أدخل !!

توترت وكان الخجل باديا على وجنتيها التي احمرت كبتلة نعمان ثم قالت:

. لا تفضل أنا آسفة.

دخل ناسك وتبعته سراب ثم سألته باستغراب، لماذا طرقت الباب وأنت صاحب المنزل ليس من المعقول أنك لا تملك مفتاحا.

وضع ناسك الكيس على الطاولة وتبسم لها.

. أجل أملك مفتاحا لكنك فتاة ومن غير اللائق أن أقتحم المنزل دون إذن منك حتى لو كنت المالك لهذا البيت فمن واجبي احترام من يسكنه.

ابتسمت وأحست بنشوة بداخلها، دخل ناسك المطبخ وأخذ يحدثها.

. سراب، هذه بعض الخضروات والفاكهة واشتريت بعضا من اللحم جئت لأطمئن عليك وسأذهب لعملي.

كان يتحدث وسراب تنظر إليه دون أن تقول أي كلمة ربما كانت مستغربة فناسك الوحيد الذي يعاملها بلطف شعرت بسعادة كبيرة تغمرها، شعرت أنها تستريح من ثقل أيام شاقة مرت عليها. كان عمل ناسك بسيط رغم أن والده كان يملك شركة كبيرة إلا أنه كان يعارض بشدة أن يعمل مع أبيه لأنه كانت لديه طموحات وأحلام كان يسعى لتحقيقها، كان يعمل داخل شركة للطباعة و نشر الكتب كانت تلك هوايته قراءة الكتب وعمله كان مريح له لأنه يجد متعته بين الكتب.

مرت أيام على مكوث سراب في منزل ناسك لم تكن تخرج من المنزل لأنها لا تعرف أصلا أين تذهب وذات يوم شعرت برغبة في الخروج من المنزل، خرجت تمشي خطوات متأنية وهي تراقب المساكن التي حولها مشت خطوات حتى لمحت امرأة تمسك بعصا كانت المرأة تمشي والعصا تسبقها بالخطوات فهي كانت تستدل على الطريق بعصاها، بدا أنها ضريرة، أخذت سراب تراقبها من بعيد دون أن تقترب منها كانت تلك المرأة تقطن ببيت صغير ربما فيه غرفتين وكان بفناء ذلك المنزل بئر وفوق البئر دلو معلق بحبل متين، كانت تراقبها وهي تقترب من البئر أمسكت الحبل وأرخت الدلو إلى قاع الجب وأخذت تسحب الحبل إلى الأعلى ثم أمسكت بالدلو وأخذته وإذ بالماء مختلط كان لونه أحمر كأنه دم امتزج بالماء، فزعت سراب لما رأت المشهد وأخذت ترتجف وهي تحاول أن تنظر مرة أخرى وتمعن النظر لعلها لم تنظر جيدا، أخذت المرأة الدلو وأدخلته إلى منزلها كان أغرب مارأت سراب، دخلت وهي تمسك يدها بقوة وترتجف من الخوف.

وفي المساء عاد ناسك دق الباب كالمعتاد سمعت قرع الباب لكنها شعرت بالخوف لم تفكر أن ناسك هو من يطرق الباب فقد كانت صورة الدلو المليء بالدماء لا تفارق مخيلتها، ظل ناسك يطرق الباب ثم فتح الباب ودخل وهو ينادي بأعلى صوت سراب! أين أنتي سراب ! وهو يجول بأركان البيت دخل غرفتها فوجدها في زاوية البيت تخبئ نفسها بغطاء سميك لكن ذلك الغطاء لم يحجب عنها الخوف الذي كانت تشعر به، اقترب ناسك منها وقال:

. مابالك؟ لما أنت بهذه الحالة؟ هل حدث شيء ما؟

أخرجت رأسها ونظرت إليه، كانت عيونها حمراء لامعة، فزع ناسك وابتعد عنها تسارعت دقات قلبه تغيرت ملامحه اعتراه الشحوب لكن سرعان ما أغمض عينيه ليحاول أن يدقق في ما رأى. نظر إليها مرة أخرى وجدها ترتجف من الخوف وعيونها مليئة بالحزن، كانت كطفلة صغيرة بريئة، ذهل ناسك مما رأى ثم قال في نفسه ربما أنا متعب هيئ لي ما رأيت، أخذ يهدئها ويسألها عن السبب لم تخبره لأنها لم تعرف أن ما رأته حقيقة أم وهم.

أشرقت شمس اليوم التالي قررت سراب الخروج وعند خروجها مرت بنفس المكان لكنها فوجئت بنفس المشهد، لكن هذه المرة لم يكن الدلو مليئا بالدماء، كانت تسمع صوتا صاخبا كأنه صراخ أو ضجيج كصوت نفر كبير من الناس، كان صدى تلك الأصوات قوي لدرجة أن سراب لم تتحمل وضعت يديها على أذنيها، علها تسد أذنيها وتمنع تلك الأصوات المدوية التي أزعجتها كثيرا، عادت مسرعة إلى المنزل دخلت وأغلقت الباب بقوة، اتكأت بظهرها على الباب ثم نظرت إلى أعلى، كانت تحاول أن تفهم ما الذي يجري للحظة فكرت في أن تخبر ناسك بما حدث لكنها ترددت.

جاء ناسك كعادته، دخل البيت وهو يحمل في يده علبة شكولا، في داخله كان يفكر في أن يعوضها عما لاقته في حياتها لأنه كان يراها فتاة بريئة وقد تحملت فوق طاقتها برغم صغر سنها نادى عليها:

. سراب أين أنت تعالي أحضرت لك شيئا.

نطقت بكل ثقة تغيرت نبرة صوتها الهادئة إلى نبرة قوية توحي أنها مرتاحة في بيت ناسك ولم تعد تشعر بالإحراج.

. عدت أخيرا.

. أها هل كنت في انتظاري.

. أوو.. أجل أردت أن أخبرك عن شيء.

. تفضلي قطعة الشكولا هذه إنها لذيذة ستعجبك.

. شكرا لك حقا لن أستطيع أن أرد جميلك أبدا.

. أوو يكفيني أن أرى ابتسامة على وجهك هكذا سأشعر بالراحة.

في نفس الوقت كانت تفكر كيف تخبره بالقصة وهل سيصدقها كانت مترددة وكان ذلك بادٍ على ملامحها.

. مابالك أراك متوترة وفي فمك كلام؟

قالت له وهي تنظر إلى الأرض: لقد رأيت شيئا مريبا وأردت أن أخبرك به لأنني حقا خائفة

. أخبريني ما الأمر؟

روت له ما حدث كانت تحكي له وهي ترتجف من الخوف لم تعرف مما هي خائفة هل هي خائفة مما رأت أم هي خائفة من نظرة ناسك إليها ؟

استغرب ناسك مما قالت ثم قال هل أنت متأكدة ؟ غريب تلك المرأة تعيش في ذلك المنزل منذ سنين ولم أرَ أو أسمع أي شيء عنها أو أي شيء غريب يحدث عندها.

ـ صدقني أنا لا أكذب هذا ما رأيته حقا.

. لالا أنا لم أقل أنك تكذبين ولكن ربما ما رأيته مجرد هواجس أو أوهام.

. أجل لقد قلت هذا في بداية الأمر لكني رأيت هذا أكثر من مرة.

. لا بأس اهدئي، سأتحقق من الأمر لا تخافي تلك المرأة حقا لا أعرف أصلها عندما كنت صغيرا أخبرني أبي أن هذه المرأة ضريرة وليس لها أحد لهذا ساعدها وأتى بها إلى هنا.

صمت ناسك لبرهة وشرد ثم قال بصوت خافت ولكن حقا هناك أمر غريب لا أعرف لماذا كان أبي يمنعني من الذهاب إليها أو التحدث معها لماذا ياترى؟

قالت سراب: هذا يعني أنك لم تكن تزر تلك المرأة الضريرة ولا تعرف أي شيء عنها؟

سكت ناسك ثم قام يتجول في أنحاء البيت ذهابا وإيابا وهو يفكر دون أن يقول أي كلمة، في تلك اللحظة بدأت أفكار كثيرة تدور في عقل ناسك.

سأل نفسه، أجل لماذا هذه المرأة موجودة منذ سنين ؟ ما حكايتها ! لما لم يحكي لي أبي عنها ما علاقتها بأبي؟

كان ناسك شارد الذهن يحدث نفسه وسراب واقفة تنظر إليه من بعيد حينها قال ناسك:

. اسمعي يجب أن نكشف السر وراء وجود هذه المرأة الضريرة.

في اليوم التالي عقد ناسك العزم على زيارة المرأة التي حدثته عنها سراب خرج برفقة سراب متجها إلى منزل تلك المرأة، كانت سراب تختبئ خلف ناسك كانت خائفة، وصل ناسك عند مدخل الباب توقف، توقفت سراب خلفه، أخذ نفسا عميقا ثم طرق الباب بقبضة إصبعيه السبابة والوسطى، انتظر قليلا ثم وضع يده على مقبض الباب وقام بفتحه، طل برأسه لينظر ثم نادى بصوت مرتفع مرحبا! هل لي أن أدخل؟

لم يجب أحد، تقدم خطوات أخذ ينظر نحو كل زاوية من البيت وجد امرأة كبيرة بالسن تحمل عصا كانت مستديرة إلى الخلف عندها قال بصوت مرتفع:

مرحبا! أيتها الخالة عفوا دخلنا عليك هكذا دون إذن منك أستسمحك.

تقدم خطوات نحوها ثم قال:

. أنا أدعى ناسك وهذه صديقتي سراب كنا مارين من هنا فأردنا أن نقوم بزيارتك هل تسمحين لنا بالدخول!

ردت سراب محاولة السخرية من ناسك، أولسنا بالداخل!

تبسم ناسك وقال: أنتي قليلة الكلام لكنك تعرفين كيف تسخرين.

وضعت يدها على فمها محاولة أن تكتم ضحكتها الظريفة.

أما تلك المرأة لم تنطق بكلمة فقط أشارت بعصاها، فهم ناسك أنها تريد منهم الجلوس، تقدما خطوات نحوها كان المنزل مظلما قليلا، ربما كانت تغلق النوافذ وهذا ما كان يمنع دخول أشعة الشمس، أخذا ينظران الى أركان المنزل، كان المنزل رثا وقديما حتى الكراسي وطاولة الطعام كانت قديمة وأخشابها تآكلت، كانا ينظران والدهشة تملؤهما، كان البيت يعود لعصور قديمة وكأن لا أحد يسكنه، جلسا وبدآ ينظران إليها وكانت المرأة متوترة وتضرب بعصاها على الأرض، لم

تقل أي كلمة لكن الانزعاج كان باديا على وجهها، كان وجهها شاحبا وعليه خطوط رسمت في وجهها رغم أن سنها كان يبدو صغيرا قليلا إلا أن الشيب خط خطوطه وعلامة البؤس بادية عليها ربما هي السنين، سنين التعب، الألم، البؤس من يدري ؟ هي من خطت التجاعيد على وجهها، قام ناسك وذهب إليها، تقدم نحوها ببطء وأمسك يدها، في اللحظة التي أمسك يدها هدأت وسكنت أحست بشعور دافئ لم تعرف لما شعرت بالراحة ولما هي تشعر بالأمان وهو يمسك يدها، أمسكها ومشى معها خطوات وأجلسها بجانبه.

نطقت سراب وقالت: لا تخافي يا خالة جئنا هنا لزيارتك والتعرف عليك، وفجأة بدأت المرأة تضطرب أزعجها صوت سراب لم تقل المرأة شيئا لكنها كانت تعبر لسراب أنها منزعجة من زيارتها، أحست سراب بذلك حينها قامت من مكانها وخرجت مسرعة دون أن تقول أي كلمة.

لم يفهم ناسك شيئا مما رأى حتى أنه لم يتمكن من منع سراب من الخروج، بدأت الأحداث تتغير في حياة ناسك وأصبح عليه أن يتعامل مع أمور رأى أنها لا تخصه ولكن وجد نفسه يعيش ذلك الدور رغم إرادته هذا ما أحس به ناسك.

لحق ناسك بسراب خرج من منزل المرأة بعدما اعتذر منها وحين خروجه وجد سراب بالخارج عندها سألها قائلا:

. مابك ؟

. لا أعرف لكني شعرت بصداع وأحسست بشعور سيئ يختلج صدري.

استغرب ناسك من قولها ثم قال:

. ماذا يحدث لقد انزعجت المرأة من وجودك وحتى أنت توترت هل من الممكن أن هناك علاقة بينكما؟

. لا أنا لا أعرفها ولم أرها من قبل.

أخذ ناسك يفكر ووجهه يملؤه الذهول، ما الأمر !ما الذي يحدث !غريب لما تلك المرأة الضريرة لم تتحدث معنا! هل من المعقول أنها خرساء؟ يجب أن أعرف السر وراءها ونظر إلى سراب ثم قال: حتى هذه الفتاة غامضة!

قرر ناسك أن يذهب لزيارة تلك المرأة وحده حتى يفهم ما الذي يحدث، طرق الباب ودخل كان الباب مفتوحا نظر يمينا وشمالا لكنه لم يجد أحدا، اقترب أكثر كان المكان مظلما وجد تلك المرأة جالسة قرب الموقد أخذ ينظر إليها كان شعرها شديد السواد وبه خطوط الشيب وعيناها بيضاء لا يوجد بها سواد ووجهها شاحب يملؤه حزن كبير كان يشعر بها وهذا ما جعله يريد أن يعرف حقيقتها كان يقول في نفسه لما أنا مستغرب من وجود الظلام في هذا البيت؟ هذه المرأة كفيفة لاترى النور ليس هناك فرق بين أن تضيء المكان أو تتركه بظلامه، آآه كم هو أمر مؤسف أنا حقا أرثي لحال هذه المرأة، تحسست وجوده أمسكت العصا وقامت مشت خطوات وهي تشير بعصاها يمينا وشمالا وهو ينظر إليها بحزن عميق قال لها:

. مرحبا أيتها الخالة آسف دخلت دون إذن.

تبسمت المرأة كانت ابتسامتها كالنور يشع من وسط ظلام دامس، تبسم ناسك عندما رأى ابتسامتها أمسكها من يدها وأجلسها وجلس قربها وبدأ يتحدث إليها.

. أيتها الخالة منذ زمن بعيد وأنت تعيشين هنا ولم أفكر للحظة بزيارتك أو بالتقرب منك، أنا حقا مقصر في هذا الأمر، ولكن هل تسمحين لي بزيارتك كل يوم والاعتناء بك لابد أنك عانيتي لسنين وأنتي تعيشين وحدك.

آه نسيت أن أعرفك على نفسي أنا "ناسك" جارك أسكن بالقرب منك والفتاة التي كانت معي تدعى سراب إنها فتاة يتيمة تقطن بمنزلي حاليا حتى تجد لها مكان تأوي إليه.

ظلت المرأة صامتة لم تقل أي شيء.

. أووو هل أنا أثرثر يبدو أني تحدثت كثيرا إن كنت أزعجتك بحديثي سأذهب.

هزت المرأة رأسها توحي له بأنها لا تمانع بوجوده.

. اه.. لما لا تتحدثين معي؟ ما اسمك لما تعيشين وحدك هنا؟

لم تقل أي كلمة.

. أنتي لا تستطيعين التحدث أم ماذا؟

أخرجت المرأة لسانها ففزع ناسك وقام من مكانه، كانت خفقات قلبه متسارعة وعيناه بارزتان مما رأى.

كان لسانها مبتورا لم يقل ناسك أي شيء بقي ينظر والدهشة مرسومة على وجهه، أحس بألم شديد داخل قلبه، امرأة تعيش بمنزل عتيق ضريرة خرساء لابد أنها تعاني الكثير جلس قربها وأمسك يدها كانت لمسته لها تأثير على تلك المرأة أحست بدفء وحنان لم تشعر بهم من قبل، كان شعورا غريبا لامرأة عاشت سنينا وحيدة قال لها:

ياخالة أنا لا أعرف ماقصتك بالضبط ولكن متأكد أن هناك أمورا كثيرة حدثت في حياتك وحقا لدي فضول كبير حتى أعرف ماذا يخفيه لسانك المبتور، هل تستطيعين الكتابة ؟هزت رأسها توحي له بأنها تعرف.

. هذا جيد في المرة القادمة سأحضر ورقة وقلم هكذا سنتمكن من التواصل بشكل جيد. وبعد أن حل الظلام كان ناسك في غرفته جالسا على حافة النافذة

وكانت النافذة تطل على منزله الصغير الذي تعيش فيه سراب، كان يفكر في كل شيء ويحدث نفسه ، ماذا يجري هل أنا أحلم أم أنها حقيقة، سراب ما حكايتها مع أهل القرية يطاردونها ويتهمونها أنها روح شريرة تؤذيهم وتنتقم منهم ولكن لما أراها فتاة عادية بريئة لايكمن أن تؤذي نملة أم أنها عكس ذلك تخفي نواياها وتذمر الشر، آه أجل عندما جاءت أول مرة أذكر ذلك المشهد حين كانت في المطبخ وكانت وسط الظلام أذكر كيف كانت تبدوعيونها أجل، وفي اللحظة التي كانت خائفة وترتجف كانت عيونها تشع وكانت حمراء إن القصة أشبه بالقصص الخيالية.

أووه..أخذ يضرب رأسه لاالا مستحيل لا يجب أن أشك في شيء بل يجب أن أسعى خلف الحقيقة.

كانت أول خطوة يخطوها ناسك هو أن يسأل أباه عن تلك المرأة الضريرة، دخل إلى فراشه وأخذ يغطي نفسه يحاول أن ينام لكنه بات الليل كله يتقلب في الفراش، غزت الأفكار رأسه، تأرق ولم يستطع النوم.

حقا أمر مزعج حين تغزوك تلك الأفكار المزعجة التي تسأل فيها نفسك كثيرا لكن دون أن تجد الإجابة لذلك.

سطعت شمس اليوم التالي وعند طاولة الطعام كان ناسك جالسا يمسك فنجان القهوة يحتسي قليلا ثم ينظر إلى الباب، لاحظت أمه ذلك التي كانت تجلس بجانبه لكنها لم تسأله.

حتى جاء أبوه، تقدم خطوات ثم جلس مقابله وضع جريدة كان يمسكها حينها أخذت أم ناسك تسكب القهوة له في تلك اللحظة كان ناسك يقول في نفسه بما أبدأ وماذا أسأله؟

كان بادٍ على ناسك الشرود ووالده يحدق به ويراقب تصرفاته، هم ناسك أن ينطق لكن والده سبقه قائلا:

. ها قل لي يا ناسك ماذا فعلت في أمر تلك الفتاة هل عادت إلى أهلها أم مازالت هناك؟

صمت ناسك كان يمسك بفنجان القهوة وينظر إلى الفنجان لم يجرؤ على النظر إلى أبيه.

. لما لا تجيب أنا أسألك، كانت نبرة الصوت الحادة لوالد ناسك توحي بصرامته وجديته.

قال ناسك بصوت خافت وكأنه لايريد أن يسمع والده.

. لم تعد بعد.

. ولماذا لم تعد ما الذي تنتظره؟ مهما كان لا يجب أن تبقى هناك إنها فتاة وقد تسبب لك المشاكل وقد يتحدث الناس عنك بالسوء.

. أو يا أبي دعك من حديث الناس، الفتاة يتيمة ليس لها أحد سأنظر في أمرها لاحقا، ألا تظن يا أبي أني أشبهك؟

. أجل أنت ابني لابد أن نتشابه.

. لا أنا أقصد شيئا آخر.

. ما هو؟

. أنت في ما مضى أحضرت امرأة ضريرة وخرساء وقد جعلت لها مأوى وهي لحد الآن موجودة ولم تقم بطردها يوما أظن أني سأفعل مثلك، ألا ترى أن الزمن يعيد نفسه !!

في تلك اللحظة أصبح وجه والده شاحبا لايتدفق فيه قطرة دم، وضع فنجان القهوة من يده وقال:

. ليس من عادتك أن تحدثني هكذا، ماذا يدور في خلدك؟

ـ لا يا أبي أنا لا أقصد أي شيء حادثتك من باب المزاح فقط، في الحقيقة أريد أن أسألك يا أبي ما حكاية تلك المرأة ؟

صرخ بصوت مرتفع ولعابه يكاد يغسل وجه ناسك ثم قال:

. لماذا تسألني هل الأمر مهم بالنسبة لك؟

. لا يا أبي إنه مجرد فضول وآمل أن تشبع فضولي.

. لقد تأخر الوقت سأذهب إلى العمل.

قام والده من مكانه والغضب يسيطر عليه أمسك الجريدة بقبضة يده القوية كاد أن يمزقها من شدة غضبه، خرج من المطبخ وكانت قدماه تتخالف أحس أن الباب بعيد كان يخشى أن يلاحقه ابنه ويسأله أو يلح عليه، انتبهت أم ناسك أن مفاتيح السيارة على الطاولة، لحقته مسرعة وتنادي عليه " حازم " انتظر توقف "حازم" التفت خلفه ليجد زوجته تمسك بمفتاح السيارة مدت إليه المفتاح أخذه منها بالقوة ثم خرج وأغلق الباب خلفه بالقوة وكأنه أراد أن يقلعه من مكانه، صعد سيارته وأحس أنه عاد عشرين سنة إلى الوراء، شغل سيارته بدأت السيارة تهتز أحس أن الأرض تهتز تحت قدميه أمسك مقود السيارة وهو يهز رأسه كان يريد أن ينفض من ذاكرته أحداث الماضي وفجأة لمح من بعيد شخصا كان كهيأة امرأة تقطع الطريق، فرك عينيه بكلتا يديه وإذ بذاك الخيال يتقدم نحوه لم يبصر جيدا وجه ذلك الخيال كان أشبه بسراب في صحراء شديدة الحر عندما كان يحاول أن ينظر من تكون، كان يضع في رأسه صورة امرأة عاشت

في قلبه وعقله وذكرياته طول تلك السنين، أخذ ينظر بتمعن وعيونه بارزة، اقترب وكل لحظة يقترب فيها ذلك الخيال يخفق قلب حازم بسرعة اقترب أكثر وإذ بتلك المرأة تلتطم بزجاج السيارة صرخ حازم قائلا: حنين ! كان وجه حنين ملطخا بالدماء هذا ما رآه حازم، أغمض عينيه كان هناك صراع في داخله أيفتح عينيه ليرى أمامه أم يبقيهما مغلقتين ولا يريد أن يرى حقيقة الأمر لكن الشوق الكبير الذي في داخله الذي كان يحمله كل هذه السنين وطيف حنين الذي كان يؤنس نفسه أحيانا برؤيتها في أحلامه والكابوس المزعج الذي كان يراوده ولم يهنأ له نوم، جعل من حازم جسدا بلا روح، روح معلقة حيث رمت حنين نفسها وجسد يمشي بين الناس ولا يعرف حقيقته أحد.

فتح عينيه وأمعن النظر فلم يجد شيئا سوى فتاة صغيرة في مقتبل العمر تقطع الطريق تعجب من حاله، تنهد ببطء وساق سيارته ذاهبا إلى عمله في تلك اللحظة كانت سراب هي من تقطع الطريق ذاهبة إلى المحل لتشتري بعض الحاجيات وعندما كانت خارجة من المحل التقت بناسك، نظرت إليه كان وجهه يبدو كقطعة من نورهذا ما كانت تراه عينا سراب في عالمها المظلم والغامض، كان ناسك هو قنديلها المنير.

لوح ناسك بيده وقال:

. مرحبا سراب.

ردت والابتسامة مشرقة على وجنتيها، مرحبا.

. امم يبدو أنك نشيطة اليوم.

. ههه أجل أردت أن أشتري بعض الحاجيات.

. ما رأيك أن نتنزه؟ منذ أن جئتي إلى هنا لم تخرجي ولا ليوم من البيت ألا تشعرين بالملل؟

. في الواقع أحب التنزه ولكن لم أفكر بالأمر فأنا أخشى...

ثم صمتت وحنت رأسها إلى الأرض كأنها لم تستطع البوح، لكن ناسك رد عليها بسرعة كأنه لايريد أن يكلفها عناء الحديث.

. لا تخافي لن يصيبك مكروه وأنا معك.

ذهبا معا وهما يتبادلان أطراف الحديث ثم قال:

. إلى أي مكان تفضلين الذهاب؟

. أي مكان مريح لا أمانع.

. حسنا سنذهب إلى حديقة الألعاب.

نظرت إليه وهي متعجبة، هاا حديقة الألعاب !!

. ألم تزوري حديقة الألعاب من قبل!

. في الواقع لم أذهب إليها أبدا.

. غريب! ألم يأخذك والداك في صغرك.

قالت بنفس كسيرة وصوت حزين أبي كان رجلا فقيرا بالكاد كان يأتي لنا بالطعام.

نظر إليها ورأى الحزن باديا على وجهها، قال معتذرا، أنا آسف لم أقصد ماقلت.

. لا، في الحقيقة كنت سعيدة جدا مع عائلتي، كنت أذهب مع أبي كنا نجمع الحطب معا ونرعى الأغنام ههه كان لي جدي صغير أسميته أبيض لأنه كان أبيض اللون، كان ناصعا مثل الثلج أتحدث إليه وأحكي له.

كانت سراب تحكي وابتسامة جميلة مليئة بالشوق مرسومة على وجنتيها، ثم قالت:

. أتعرف ياناسك؟ كان كل شيء جميل في قريتنا وفي تلك الغابة حيث كنت دائما أنا وأبي غير شيء واحد.

نظر ناسك بتمعن إليها وقال ماهو؟

. غير ذلك الجبل.

. جبل !! أي جبل !!

إذ بصوت من بعيد يقترب بأنفاس متقطعة.

"ناسك" ناسك" استدار "ناسك "وإذ به يلمح صديقه يجري متجها نحوه.

. اه هذا أنت.

. مرحبا كيف حالك يارجل لم أعد أراك كثيرا.

. مؤخرا كنت منشغلا كثيرا.

نظر صديق ناسك إلى سراب ثم نظر إلى ناسك ووجهه يرسم تعابير الاستغراب.

قال ناسك وهو يحاول أن يبدد ذلك الاستغراب البادي على وجه صديقه.

. اه نسيت هذه سراب، ثم نظر إلى سراب وقال: هذا صديقي المقرب "خليل".

صافح "خليل" سراب وقال: تشرفت بمعرفتك.

- وأنا أيضا.

نظر "خليل" إلى سراب بقي شاردا وهو ينظر إلى عيونها وناسك واقف، انزعجت سراب من نظراته، عندها أمسكه ناسك من ثيابه وجره بعيدا عن سراب وقال له:

. ماقصتك ألم ترَ فتاة في حياتك !

سحب خليل يدي ناسك من ثيابه وقال: أنا أسف فقد شعرت بشيء غريب انتابني.

. حسنا مارأيك أن ترافقنا إلى حديقة الألعاب.

. على الرحب والسعة.

سار الثلاثة معا بخطوات متفاوتة كانت سراب تمشي تارة خلفهم وتارة أمامهم لأن بصرها كان يتعب وهي تحدق بالأرجاء، أما ناسك وخليل فقد كانا يمشيان دون أن يقولا أي شيء حتى وصلا إلى الحديقة، وصلا إلى حديقة الألعاب وقفت سراب تنظر وتتأمل وهي مندهشة، كانت هذه العبارة التي نطقتها:

. واو... هذا رائع إنه أجمل مما توقعت.

كانت السعادة تخط على وجهها وترسم على وجنتيها ابتسامة جعلت ناسك وهو ينظر إليها يشعر بالغبطة، لكن خليل هو الذي لم يفهم شيئا كانت أسئلة كثيرة تدور في خلده لكنه لم يقل أي شيء.

سأل ناسك سراب قائلا:

. ماذا تريدين أن تأكلي يا سراب؟

. أحب البوضة لم آكلها منذ زمن، لفت انتباهها طفلة صغيرة تمسك غزل البنات وهي مارة بجانبها نظرت سراب وقالت هذه هذه..

ضحك ناسك ثم قال:

. هذه الحلوى تدعى غزل البنات.

. ما هذا يا ناسك هل هذه الفتاة بدائية من غير المعقول أنها لا تعرف اسم هذه الحلوة.

شعرت سراب بالإحراج واحمر وجهها خجلا، نظر ناسك إليها كانت الحمرة التي على خدها كأنها رقائق النعمان، ابتسم وقال سراب أعجمية إنها من غير بلادنا لهذا لا تعرف كيف تسمي الأشياء مثلنا.

. قل هذا يا رجل.

اشترى ناسك البوضة، أشفق على حالها قال في نفسه هل من الممكن لهذا الكائن اللطيف أن يؤذي؟

حل المساء وعاد الجميع إلى المنزل رافق ناسك سراب إلى البيت وعندما وصل عند باب المنزل وقف وقال هنا تنتهي نزهتنا اليوم.

- ههه شكرا لك لقد استمتعت كثيرا اليوم.

. حسنا في أي وقت تحبين الخروج والتنزه أنا هنا مستعد أن أجوب بك العالم بأسره، حسنا سأذهب إلى المنزل لدي بعض الأعمال، أدخلي أنت وإن احتجتي أي شيء أنا هنا قريب منك، إلى اللقاء.

. إلى اللقاء.

كان ناسك قد ذهب وسراب ترمقه بنظراتها الباردة ثم حدثت نفسها قائلة:

تجوب بي العالم بأسره يا ناسك !!! أ تستطيع ذلك؟

بينما كان ناسك ذاهبا إلى المنزل مر على منزل المرأة الضريرة حدثته نفسه أن يدخل ليراها ويسأل عنها دخل إلى المنزل وجد الباب مفتوحا أخذ ينادي:

. أيتها الخالة أين أنت؟ أنا ناسك كنت مارا وأردت أن أسال عنك.

بحث في أرجاء المنزل المظلم لكن لم يجدها ثم قال:

. غريب أين ذهبت؟

وفجأة أحس بأنفاس تدغدغه من خلفه خفق قلبه وتسارعت دقات قلبه استدار خلفه ببطء.

فزع ولكنه سرعان ما هدأ.

. هاا هذه أنت لقد أفزعتني لم أشعر بخطواتك.

ظهرت على المرأة ابتسامة بطيئة كاد وجهها أن يشع، كادت تمحي خطوط البؤس من وجهها الشاحب، مدت يدها كأنها تبصره وأمسكت بيده، كان ناسك في تلك اللحظة يشعر بالخوف، كان يجدها حقا امرأة غريبة ولكنه تبع خطاها وأجلسته وجلست قربه، رفعت يدها نحوه وهي تتحسس مكان وجهه، كانت تريد أن تلامس ملامح وجهه وضعت يديها الباردتين كالجليد، لم يمانع ناسك ظل ساكنا لم يتحرك وضع يده على يدها التي كانت تلامس وجهه وقال:

. أيتها الخالة هل أحضر لك ورقة وقلم أريدك أن تعبري لي عن طريق الكتابة.

أخرج ورقة من جيبه وقلما ووضع الورقة بين يديها وجعلها تمسك القلم ثم سألها:

. ما اسمك ؟ أريد حقا ان أناديك باسمك.

كانت مترددة لم ترد الكتابة لكنه أمسك يدها وقال اكتبي، خطت بالقلم على الورقة، نظر إلى ماكتبت وقال أها اسمك "عهد" اسم جميل، تبسمت "عهد "ثم قال سأسالك مرة أخرى هل أنت مرتاحة في هذا المكان؟ كتبت "لا" قال لها معك حق فالمكان غير مريح، ثم قال: لما تعيشين هنا وحدك؟ كتبت ليس لي أحد أنا وحيدة في هذا العالم، قال هل أنت متزوجة، هل لك أولاد من قبل؟ لكن المرأة لم تكتب بل سمع ناسك صوت الورقة وهي تمزق بين أصابعها وبدا الانزعاج على وجهها، قال حسنا لن أضغط عليك سآتي لزيارتك كل يوم وأنا مستعد لمساعدتك بأي شيء تحتاجينه.

كانت تلك الليلة أثقل ليلة على ناسك فقد كان يفكر في كل مايحدث من حوله، حكاية سراب وحكاية عهد المرأة الضريرة الخرساء، كان يشعر أنه في حلم وأن ما يفكر به مجرد وهم، نام ناسك منشغل البال لكنه استيقظ على صراخ مرتفع،

قام مسرعا نحو الصوت وإذ بصوت خارج من غرفة أبيه، رأى أباه يخرج من الغرفة في حالة ذعر ذاهبا الى الحمام ليغسل وجهه لحقه ناسك:

. مابك يا أبي هل رأيت كابوسا؟

لا بأس يا بني عد إلى النوم إنها كالعادة كوابيس مزعجة.

كالعادة، كابوس حنين لم يفارقه فهو يراها في أحلامه، يرى ذلك المشهد ويتكرر له دائما، يرى حنين وهي تهوي من أعلى الجبل إلى الهاوية ويسمع كلماتها تدوي في أذنه.

في صباح اليوم التالي بينما ناسك في الطريق يمشي التقى بصديقه "خليل".

. مرحبا ناسك.

. أهلا خليل.

. مارأيك أن أعزمك ياصديقي؟

. لا شكرا لدي عمل.

. هيا يا رجل لم نتحدث منذ زمن.

. حسنا.

جلسا معا في إحدى المقاهي وأخذا يتبدلان أطراف الحديث ثم سكتا.

. مابك يا ناسك تبدو شاحبا لابد أنك لم تنم جيدا.

. أجل أنا فقط أشعر بالتعب.

. أريد أن أسالك يا ناسك ما قصة تلك الفتاة سراب هل هي قريبتك؟

. قبل أن أجيبك ماذا رأيت فيها عند لقائك بها أول مرة كيف كانت تبدو؟

. في الواقع لا أعرف كيف أصف شعوري... عيناها شديدة السواد كأنها ليل مظلم ولها بريق ككوكب مضيء.

. أظن أن هذا أمرعادي كلنا نختلف في الشكل.

. لا..لا هناك إحساس غريب انتابني حين نظرت إليها، أحسست أن عيونها عالم آخر، شيء ما يجذبك ويجعلك تنظر وتريد أن تنظر وتتعمق أكثر وأكثر، حقا لا أعرف كيف أصف شعوري لكن حقا هذه أول مرة أشعر بهذا الشعور الغريب.

تحدث ناسك في نفسه، غريب حتى أنا أحسست بنفس الشعور عندما رأيتها أول مرة، حقا شيء ما خلف سراب يجب أن أعرفه.

. مابك شارد الذهن هكذا أخبرني من تكون هذه الفتاة؟

حينها قرر ناسك أن يخبر صديقه بكل شيء وكل ماحدث كان ناسك يتحدث وخليل مندهش مما يسمع قال: كأني أسمع قصة خيالية أو خرافة.

قال ناسك أرجوك ابقِ هذا الأمر سرا بيننا لأنه إن تسرب الخبر ستتأذى سراب كثيرا وخاصة أنها مطاردة من قبل أهل قريتها.

. أعدك أن يبقى سرا بيننا ولكن أتريد الصدق؟ إن هذه الفتاة حقا مريبة ألا تظن أن أهل القرية محقون؟

- لا.. لا مستحيل، سراب فتاة بريئة لم تؤذي أي أحد.

- أنت طيب يا صديقي مازلت تصدق الناس، هل تريد الصدق؟ أظن أن تلك الفتاة مجرد شبح إنها طيف على هيأة فتاة يوما ما ستقتلك سترى ذلك.

. كف عن الهراء.

. هههههه ماذا هل أخفتك؟

. ولما تخيفني فأنا لا أصدق مثل هذه الخرافات.

. قبل هذا كنت أسمع من جدتي حكايات كثيرة عن الأشباح والأرواح.

. حسنا توقف عن هذا لا تملأ رأسي بالتفاهات، سأذهب الآن أراك لاحقا.

ذهب ناسك وهو يمشي خطوة تليها خطوة ويفكر في كلام صديقه، أحس بالخوف في داخله لكنه كان يقاوم.

في المساء عند عودته من عمله قصد بيت سراب وعندما وصل إلى الباب تردد بالدخول، كان يشعر ببعض الخوف بقي واقفا حتى فتح الباب ببطء دون أن يطرق الباب، فزع ناسك وتراجع إلى الخلف ظهرت سراب أمام الباب ثم قالت:

. هاا ناسك أنت هنا، ابتسمت وقالت إنها صدفة أن أراك أمام الباب تفضل بالدخول.

لكن ناسك تراجع إلى الخلف وقال كلمات متقاطعة كان يتلعثم سرعان ما تراكمت في رأسه كلمات صديقه عندما كان يحدثه عن حقيقة سراب.

كانت سراب تنظر إليه بستغراب وتقول:

. مابك هل هناك شيء ما؟

. لا فقط كنت أفكر في أمر ما، ما رأيك سراب أن نذهب لزيارة الخالة "عهد"؟

ـ الخالة" عهد" من تكون ؟

. أقصد الجارة الضريرة.

. أها.. اسمها "عهد".

. أجل لم أخبرك ماحدث معي حين ذهبت إليها، سأحكي لك كل شيء ادخلي.

دخلا المنزل وجلسا، وأخذ ناسك يحكي لها كل ماحدث مع المرأة الضريرة، تفاجأت سراب مما قاله ناسك عندها قالت:

. هكذا إذا؟ لسانها مبتور، لابد أن هناك أحد ما فعل هذا بها من أجل أن يعاقبها أو.. ثم سكتت.

تقدم ناسك بوجهه ونظر إليها عن قرب ثم قال: أو.. ماذا !

. أو أنه لا يريدها أن تقول شيئا ما لا ترى ولا تتحدث.

. تخمينك جيد أنت ذكيه ظننتك حقا فتاة غبية.

. ماذا أنا غبية؟

. هههه أمزح معك، ولكنها تستطيع الكتابة لقد نسي الفاعل أن يبتر يديها.

وضعت إصبعها على فمها وقالت: اسس اصمت قد يسمعك الفاعل ويفعلها.

- ماذا؟هل تظنين أن الفاعل موجود في هذا المكان؟

. لا أعرف ولكن فقط أردت أن أنبهك.

قال ناسك في نفسه لماذا أشعر أنه يجب أن أصدق كل كلمة تقولها هل لها حقا علاقة بالأرواح؟ يجب أن أراقب سراب وحتى الخالة عهد إنهما غريبتين حقا لكن لما الخالة عهد تضطرب كلما أحست بوجود سراب؟ لا..لا الأمر حقا فيه لبس ما، أظن أن خليل محق يجب أن أكشف خيوط الحكاية، حكاية سراب الطيف المزعوم وحكاية الخالة عهد في ذلك البيت المهجور وأظن أن هناك علاقة بينهما.

أصر ناسك على سراب أن تذهب معه لزيارة الخالة عهد كان عليها أن توافق، لايمكنها رفض طلب له، ذهبا معا وفي طريقهما إلى بيتها توقفت سراب لبرهة، نظر إليها ناسك وقال : لمَ توقفتِ!

قالت بصوت خافت وقد بدا عليها الانزعاج، أسمع صوتا ينادي من بعيد لا أعرف صاحبه.

قال ناسك وهو متعجب: لكني لا أسمع أي صوت..

. هناك! أشارت بإصبعها السبابة إلى البئر، هناك أسمع صوتا، إنه صوت مزعج أحس بضيق في صدري أشعر أن شيئا ما يسحبني إلى هناك، نظر ناسك إليها وكان بها حمرة في عينيها أدرك أنها ليست بخير تقدم نحوها ووضع في أذنيها

قطعتين من منديل كان في جيبه كان يريدها ألا تسمع لأن الصوت يؤثر على عقلها، هدأت وبدأت ترتجف قال لها: لا تخافي لايوجد شيء إن كنتِ تريدين العودة إلى البيت عودي.

. لا، أريد أن أذهب معك.

وقفا أمام الباب طرق ناسك الباب ثم دخل، دخلت سراب وهي خلفه ترتجف من الخوف نادى ناسك: أيتها الخالة مرحبا! فجأة تحسست سراب أن شيئا خلفها، استدارت ببطء ثم صرخت بأعلى صوتها، فزع ناسك معها وإذ بها عهد واقفة لم تتحرك من مكانها شعر ناسك حقا بالخوف أحس أنه يعيش في حكاية رعب لكنه تمالك نفسه وابتسم قائلا:

. مرحبا أيتها الخالة نحن آسفون دخلنا بيتك وأحدثنا هذه الفوضى.

أمسكها من يدها وأجلسها وجلس بقربها وأشار إلى سراب بعينيه حتى تجلس، جلست سراب ومازالت تشعر بالخوف، نطق ناسك سائلا الخالة:

. أيتها الخالة هل لي أن اسألك ؟ وأتمنى أن تجيبيني، أعطاها القلم والورقة كانت موضوعة على الطاولة وقال: لماذا تنزعجين كلما أحسستِ بوجود سراب؟ هل تعرفينها أم أنها تذكرك بشيء ما ؟ أمسكت القلم بيدها التي كانت ترتجف وبدأت بالكتابة وناسك يتابعها بنظراته كان يسرق بعينيه كل حرف تكتبه أمسك الورقة وقرأها بصوت مسموع "إنها تذكرني بشيء ما في الماضي" ثم استدار نحو سراب قائلا:

. لماذا تشعرين بأشياء غريبة كلما رأيت الخالة عهد؟

قالت سراب بصوت منخفض لا أعرف فقط ينتابني شعورغريب وأشعر كأن ضجيجا في رأسي وأصوات مزعجة وأحس أن هناك أيدي تمسك بي وتجذبني.

توترت عهد وأرادت النهوض لكن ناسك أمسك بيدها وأجلسها وقال:

. هل هناك شيء ما؟ أخبريني حقا أريد ان أفهم تعبت وأنا أفكر في كل هذه الأمور التي تحدث. أخذت عهد تكتب وسراب وناسك ينظران إلى الورقة كانت عيون ناسك كمثل ذلك الظمآن يتعطش إلى معرفة ما يجري حوله، أمسك الورقة بلهفة وبدأ يقرأ كانت سراب تنظر إلى ناسك وعيونه تتوسع، نظر إليها وقال "جبل الأرواح".

في تلك اللحظة عم الصمت لأن العقول كانت مذهولة لا تسمع إلا صوت الأنفاس تتصاعد، على ناسك أن يستوعب ماحوله نظر ناسك إلى سراب وهو حائر الفكر ثم قال: هل تعرفين جبل الأرواح ؟ في تلك اللحظة عادت به ذاكرته عندما كان يرافق سراب إلى حديقة الألعاب فقد ذكرت شيئا كهذا، لم تقل سراب أي كلمة، أعاد سؤالها أخبريني هل تعرفينه؟

قالت: أجل أعرفه ثم قامت من مكانها مسرعة وخرجت من المنزل، نظر إلى عهد وقال هل لي أن أعرف عن جبل الأرواح هذا؟ وما قصته ولماذا قلتِ أن سراب لها علاقة بجبل الأرواح ؟ أخذت تكتب على الورقة، لا أستطيع أن أقول أكثر ثم كتبت مرة أخرى" لاتبحث عن أشياء إن تظهر حقيقتها تسؤك "

لكن ناسك قام مسرعا أيضا خرج ليتبع سراب وجدها جالسة على مقعد في حديقة المنزل اقترب منها وجلس بجانبها، نظر إليها وجدها تبكي كانت الدموع تنهمل من على خديها كأنها طفلة صغيرة ضائعة لا تعرف الطريق إلى قلب أحد.

. لما تبكين يا سراب لهذه الدرجة أزعجك هذا الموضوع؟ لا بأس إن كنتِ لا تريدين أن تقولي أنت حرة في كتمانك للسر.

نظرت إليه نظرة الخائف الذي لا يعرف كيف يبرر قوله ثم قالت كلمات يتخللها الحزن:

. أنا لا أكتم أي سر لقد أخبرتك بقصتي كلها ولم أخفِ عنك شيئا.

أجابها وكأن به عتب يلقيه في كلماته ولا يريد أن يوضح لها خشية أن يجرحها كلامه:

. إذن لما لم تخبريني عن "جبل الأرواح"؟

. لأنني لم أكن أعرف من هو هذا الجبل حتى أخبرتني به تلك العجوز.

. حسنا أنا أسمع منك أخبريني ماذا رأيت في ذلك الجبل وماذا تعرفين عنه..

. عندما كنت صغيرة وكنت أذهب إلى الغابة مع والدي أذكر حينها كان يمنعني من الذهاب إلى ذلك الجبل وعندما كنت أسأل والدي عن السبب كان فضولي أقوى من رغبتي في الذهاب إليه، كان يقول لي أن المكان خطير وأنه إذا ذهبت هناك سأتأذى، كنت أسمع كلام أبي ولم أكن أقترب من ذلك المكان طاعة لوالدي، حتى أتى ذلك اليوم، كنت ألعب بالقرب من بحيرة صغيرة كانت البحيرة كقطعة من السماء لزرقتها وصفاء مائها، كنت أجعلها مرآتي أرى من خلالها ملامحي وأنا أداعبها بتلك الحركات، حركات المهرجين، حقا كان الأمر مسليا بالنسبة لي حتى لاح لي أمام ناظري أرنب أبيض ناصع أعجبني كنت أحاول الإمساك به وتبعته إلى أن وصلت إلى أعلى الجبل كان هناك ضباب كثيف لم أكن أستطيع الرؤية، كان المكان هادئا لكنه مريب، كنت أمشي ولا أعرف إلى أين أذهب ولم أعرف طريق العودة فجأة وجدت نفسي أمام مغارة كبيرة اقتربت حتى سمعت صوت طفل صغير يبكي فزعت وكنت أنظر في كل اتجاه وأحسست أن الأرض تدور حولي وبدأت أسمع أصواتا مزعجة وكان هناك صوت مدوٍّ لم أستطع التحمل

وقعت على الأرض وحين استيقظت وجدت نفسي في المنزل وأبي وأمي ينظران لي والخوف يملأ أعينهما. كنت خائفة جدا منذ ذلك الحين أصبحت أحس بأشياء تدور من حولي كنت لا أنام إلا وأرى كوابيسا، أرى وجوها غريبة وأجساما مخيفة تحوم من حولي وأحيانا أسمع صوتا يناديني يقول لي سراب تعالي إلى هنا تعالي ويحاول أن يسحبني إلى أعلى الجبل، أقوم حينها مفزوعة من نومي وأحيانا أرى وجوها مخيفة ووجوها ملطخة بالدماء وتقول لي انتقمي، أقوم مفزوعة مرة أخرى وأنا أصرخ، في تلك الفترة كنت أمر بظروف صعبة كان أبي يعاني من الشكاوي كل مرة يأتي أحد ويقول له ابنتك فعلت كذا وكذا رغم أني لم أكن أفعل أي شيء، كان أبي يصدقني لكني كنت أرى في عيونه نبرة الحزن وهذا ما كان يؤلمني، لم أكن أعرف إن كان يصدقني حقا أم لا وأصبحت حالتي تتدهور من السيئ إلى الأسوء وتغيرت حياتي.

قد أخبرتك بكل ما حدث لي مع أهل القرية، أذكر أن والدي حينما كان في المشفى وكان يخبرني عن حقيقة أنني لست ابنته قال أنه وجدني عند مغارة بأعلى الجبل، أظنه نفسه جبل الأرواح لكني حقا أكره التفكير في كل هذه الأمور يشعرني بصداع، لكن منذ أن التقيت بك وأنقذت حياتي أصبحت أشعر بالأمان والهدوء.

ابتسم ناسك وقال لا تخافي لن يحدث لك مكروه، سأقف معك حتى النهاية ولكن هل تمانعين في أن أبحث أمر حقيقة مايحدث حقا أريد أن أعرف هل يزعجك الأمر؟

ابتسمت وقالت: لا مادمت معي أعلم أنك لن تؤذيني وأنك ستقف إلى جانبي.

. أعدك أني سأقف معك إلى النهاية، كانت هذه الكلمات كشعاع شمس دافئة تدفئ بها قلب سراب.

الأمر ليس بتلك الصعوبة فقط حين يضع الأصدقاء يدهم يدا ليد تتذلل الصعاب ويذوب الجليد المرصع بشعاع الصدق.

قضى ناسك تلك الليلة وهو يفكر في كل ماحدث،عجزعن معرفة مايحدث، أخذ يحدث نفسه، جبل الأرواح، سراب والخالة عهد، البئر المشؤوم، هناك علاقة ما تجمعهم، كيف لم أنتبه لهذه الأمور إلا بعد أن جاءت سراب، حديثه مع نفسه جعله يشعر بالنعاس، نام وهو يأمل أن يجد في الغد معنى لكل هذه الحكاية.

غط ناسك في نوم عميق وأخذت تراوده أحلام غريبة، ماهذا المكان إني لا أرى شيئا، العتمة شديدة، أين أنا؟ فجأة سمع صوتا يقترب منه، لا تخف أنت بأمان إلى حد هذه الساعة، التفت ناسك وقال: من هنا من يتحدث، كان صوت امرأة لكنها لم تظهر له، قالت له لقد اخترت أن تركب السفينة وعليك أن تكون قبطانا جيدا إما أن تنجو وإما أن تغرق، لكن تذكر أن السفينة ليس لها مرسى، وأخذ صدى ذلك الصوت يتكرر " تذكر أن السفينة ليس لها مرسى " استفاق ناسك مفزوعا والعرق يتصبب على جبينه، وأنفاسه القوية تتصاعد كأنه كان يختنق، قام من مكانه وهو يشعر بتعب كأنه لم يكن نائما، شعر بالخوف أدرك أن الحلم ليس بأضغاث أحلام إنما حلم له تفسير ولكن ليس للحلم مفسر حتى يفسر.

أمضت سراب يومها وهي تنظف المنزل لكن حنفية المطبخ قد أصابها عطل ولم تعرف كيف تتحكم بقوة الماء المتدفق بغزارة من الصنبور فكرت بناسك فهو الوحيد الذي يمكنه مساعدتها، ذهبت متجهة إلى بيت ناسك وصلت إلى بيته وطرقت الباب، فتحت أم ناسك الباب استغربت وقالت عفوا من أنت؟

. مرحبا أنا سراب أقطن بالبيت المجاور جئت أبحث عن ناسك فأنا أحتاجه في أمر.

. ها تفضلي بالدخول.

دخلت سراب كانت أول مرة تدخل فيها بيت ناسك كان البيت كبيرا جدا وجميلا كانت تنظر إلى أرجائه راقت لها تلك الصور التي كانت على الجدران، كانت أول مرة تشاهد فيها بيتا بهذا القدر من الجمال.

. تفضلي اجلسي لاتبقي واقفة هكذا سأنادي على ناسك.

جلست وعيناها تنظر إلى كل ركن من أركان البيت نظافة المكان و العطر الفواح الذي كانت تستنشقه وهي مغمضة العينين، في تلك اللحظة كان حازم خارجا من البيت لمح سراب وهي تجلس على الأريكة، بدا له أنه شخص مألوف تقدم نحوها خطوة تليها خطوة أحست بخطوات خلفها استدارت بسرعه متحمسة لتنظر خلفها ظنًا منها أنه ناسك وعندما استدارت نظر حازم إليها فبدا له وجه من نور، خيلت إليه امرأة جميلة تبتسم له، شعر للحظة بالسعادة ثم نطقت شفاهه دون أن يشعر" حنين ".

. عفوا يا عم أنا أدعى سراب صديقة ناسك.

انتبه حازم وكأنه يستيقظ من حلم ثم قال: سراب من أنت؟ كأني رأيتك من قبل.

. أجل ربما رأيتني بالقرب من هنا فأنا أقطن بقربكم.

أخذ يحدث نفسه لماذا أشعر أني أعرف هذه الفتاة، ثم هم ليسألها عن أهلها، ابنة من تكونيـــ.....

قاطعه ناسك قائلا: أه سراب أنتِ هنا مرحبا بك في منزلي، أبي هذه سراب الفتاة التي حدثتك عنها، سراب هذا أبي وهذه أمي هذه عائلتي.

ظل حازم ينظر إليها وجد فيها شبها كبيرا لشخص كان يعرفه منذ زمن وأخذ يحدث نفسه هل يعقل أنها مصادفة؟ هل من المعقول أن يكون هناك شبه لها؟ يقال يوجد من الشبه أربعين.

لكن الأحاسيس التي تنمو داخلنا ليس لها شبه، إنها فريدة في هذا الكون تتشابه الأشكال والألوان ولكن القلوب وماتحمله بين الضلوع لا يشبهها شيء.

قال في نفسه أشعر بشيء غريب كأن حنين تقف أمامي وهي في سن العشرين أذكرها جيدا عندما كانت صغيرة إنها حقا تشبهها.

خرج ناسك مع سراب ليصلح لها العطب وظل حازم شارد الذهن يفكر في كل شيء، أعادته نظرة سراب إلى عشرين سنة مضت، للحظة تذكر ابنة حنين ثم قال: أظن أن ابنة حنين قد ماتت لايمكن أن تنجو في تلك الغابة وفي ذلك الجبل أظن الذئاب قد أكلتها أذكر أنني عدت ولم أجدها لكن هل يعقل أن الذئاب أكلتها لالالا. مستحيل أن تكون حية فلا أحد يجرؤ على الذهاب إلى ذلك المكان أمسك رأسه وقال إلى متى وأنا أتعذب هكذا متى أستريح؟ حنين إلى متى تظلين تلاحقينني هكذا ألم تغفري لي طول هذه السنين وتذكر لحظة سقوط حنين من الهاوية وآخر كلمة قالتها له لن أسامحك ياحازم انكسرت نفس حازم وقام يجر الخطى وزوجته تراقبه من بعيد وتقول في نفسها ما الذي فعلته لتعاني كل هذه السنين ولتكون أسير تلك الكوابيس.

أما عن ناسك فقد أصلح الحنفية لسراب ثم قال لها:

. لقد أنهيت إصلاحها ياسراب هل أنا بارع؟

ضحكت وقالت: بالتأكيد أنت قدوتي، ثم قالت إنها أول مرة أرى فيها والديك.

. إنه خطئي كان علي أن أعرفك عليهم منذ زمن.

- أمك لطيفة جدا.

سكت كأن حزنا تخلل ملامحه ثم قال: في الواقع هي ليست أمي.

. ماذا ليست أمك! من تكون ؟

. إنها زوجة أبي، أمي توفيت منذ أن كنت صغيرا وتزوج والدي وترعرعت بين يديها أنا أعتبرها مثل والدتي حقا.

. أليس لك أخوة؟

. بلى لدي أخت، إنها تعيش عند جدتي و تدرس هناك.

. أين؟

. في قرية الأترج.

. أترج !!!!!

. أجل ألم تسمعي بها؟

. لا لم أسمع بها.

. إنها قرية ليست بعيدة عن مدينتنا سميت هكذا لأنها كانت مشهورة بأشجار الأترج.

. اه فهمت.

كانت تلك أول مرة تتحدث فيها سراب كثيرا وتسأل كثيرا رغم أن ناسك انتبه إلى ذلك غير أنه كان يشعر بالغبطة كون أن سراب تغيرت حالتها النفسية، كان مستعدا أن يسمعها طول الوقت ويجيب على أسئلتها الكثيرة ثم قال:

. ولي أخت أخرى أيضا.

. حقا أين تعيش؟

. تعيش هنا.

. هنا أين؟ لم أرَ قط أي فتاة في هذا المكان.

. أنظري من تلك الزاوية على يمينك إذا التفتت ورأيتها سترين أنها تنظر نحوي، إنها تشبهك كثيرا.

. حقا!

التفتت سراب رأت نفسها في المرآة تأملت المرآة ونظرت نحو ناسك في انعكاس المرآة وابتسمت.

كان ناسك فتى يحب قراءة الكتب، القصص والروايات لكن بالنسبة له الحكاية تبقى حكاية والواقع يبقى واقعا لكنه لم يدرك أن الحكايات لا تنسج خيوطها إلا قصص من الواقع، عقد العزم على أن يكشف خيوط الحكاية وأحس أنه الشخص الغريب في الحكاية، عندها الشخص الوحيد الذي فكر أن يقصده هو صديقه خليل لكي يساعده.

. أخبرني يا صديقي ما الذي يقلقك؟

. أصدقك القول كنت دائما أظن أنني مخطئ وأحيانا أقنع نفسي أنني أتوهم لكن أمور كثيرة حدثت تجعلني أقتنع بكلامك لهذا أريد أن تساعدني في حل هذه العقدة التي هي من حولي.

. ما الذي يقلقك يا ناسك؟

. لقد راودني حلم أو بالأحرى كابوس مزعج جعلني أفكر كثيرا في ما يحدث.

. ما الذي رأيته؟

. لا أعرف كيف أصف لك الحلم لكنني أشعر أنه ليس حلما، مازلت أشعر بذلك الخوف الذي شعرت به في الحلم وصوت تلك المرأة يبدو مألوفا لي كأني سمعته من قبل كأنها تريد مني أن أفكر جيدا قبل أن أتخذ أي قرار هذا ما فهمته من الحلم، أخبرني يا خليل ما معنى أن لا يكون للسفينة مرسى؟

. امم دعني أفكر، أظن أنها تخبرك أنك ستعيش طول عمرك مبحرا في المحيطات ثم ضحك بأعلى صوته.

. إنه ليس وقت المزاح أنا جاد.

. كنت أمازحك.

. أريد أن أعرف الحقيقة أصبحت هاجسا بالنسبة لي، أريدك أن تساعدني.

. اعدك أنني سأساعدك هل تريد أن نبدأ البحث الآن؟

. أجل لكن كيف سنبدأ البحث؟ دعنا نجمع الأحداث مع بعضها البعض لعلنا نجد منفذا.

. دعني أخمن مكانك، بدأت العقدة من سراب، فتاة وجدتها في ذلك الجو البارد المثلج مرمية على الأرض، أتيت بها إلى بيتك دون أن تعرف أصلها حكت لك قصتها مع أهل القرية وكيف أذوها وطاردوها ثم قصة المرأة الضريرة والعجيب في الأمر أنها خرساء ولسانها مبتور أليس غريبا أنك لم تكتشف الأمر طول هذه السنين؟

. لا أعرف، كان أبي يمنعني من زيارتها لذا تعودت على الأمر ولم أكن أفكر في زيارتها ولا ليوم حتى أني نسيت أمرها ما جعلني أقوم بزيارتها هو سراب وما رأته منها.

. إذن أنت محق، سراب تربطها علاقة مع المرأة الضريرة وأظن أن والدك يخفي عنك شيئا عن حكاية تلك المرأة.

. إنه يخفي الكثير يا صديقي، الكثير.. قالها ناسك وتنهد ثم سكت.

وضع خليل يده على خده وهو يفكر كيف يحل القضية المعقدة ثم نطق وقال: إذا نبدأ من أبيك هو يخفي شيئا ما إذا عرفناه سنعرف باقي الحكاية.

قال ناسك: حسنا أعرف أن هناك شيء ما بينه وبين عهد لكن لا أظنه يعرف سراب فما علاقة سراب بعهد؟

. لقد فهمت، علاقتها بعهد هو جبل الأرواح وأبوك علاقته مع عهد أمم ماذا تظن ياصديقي.

. حسنا لنترك الأمر ولنتحدث فيما بعد عن هذا الموضوع لقد تعبت من التفكير حقا.

قام ناسك وهم بالذهاب، مشى خطوات حتى لوح خليل بيديه ونادى: انتظر نسيت أن أخبرك أني أريد أن أرى الخالة عهد حقا لدي فضول لأراها.

استدار ناسك إليه ثم قال: على الرحب ياصديقي متى أردت تعال لزيارتي سآخذك لتتعرف عليها.

. إذا كان الأمر يتعلق بمتى أردت فأنا أريد الآن.

ضحك ناسك ثم غادر.

بقي خليل واقفا وهو يهز برأسه ثم قال لابد أني سأستمتع كثيرا.

حل الظلام وعم الصمت حول الأرجاء لكن هدوء الليل يعكس عاصفة في عقول الحائرين عندما يوضع الرأس على الوسادة تهطل على المحبين أشواق وعلى الحائرين أفكار وعلى المحزونين ذكريات، كان ناسك مستلقيا على ظهره في

سريره يضع ذراعيه تحت رقبته وهو ينظر إلى سقف الغرفة ويفكر، تذكر اسما قد خطر على باله "حنين " من تكون حنين لطالما سمعت أبي يذكر هذا الاسم عندما كان يستيقظ من كوابيسه، وأيضا سمعته يقول لسراب حنين هل يعقل أن أبي فقد صوابه، اه خطرت لي فكرة سأسأل أمي عن هذا الاسم ربما تعرف بعضا عن ماضي أبي.

استدار ناسك ونظر إلى النافذة كانت هناك نجمة تلمع أخذ ينظر إليها حتى غفت عيونه ونام

وفي الصباح الباكر وعند طاولة الطعام كانت أم ناسك زوجة أبيه والتي كانت تدعى "مرام"

ناسك لم يشعر معها أنها زوجة أبيه لأنها كانت تهتم به كابنها الحقيقي كانت قد حضرت فطور الصباح جلس ناسك وقال أين أبي لا أجده على المائدة؟

. لقد ذهب إلى عمله باكرا.

. اه حسنا، أخبريني كيف حال أختي "سديم " هل تتصل بك؟

. إنها بخير لا تتصل علي كثيرا لكنها أحيانا تقوم بالاتصال وتسألني عنك.

. هذا أمرجيد.

أخذ ناسك يشرب القهوة وهو يحدث نفسه كيف سيسألها ثم تشجع وقال: أمي..

. نعم يابني..

. أريد أن أسالك هل تعرفين امرأة أو فتاه تدعى" حنين"؟

انصدمت " مرام" من قول ناسك وأخذت يدها ترتجف وفنجان القهوة يتزحزح في يدها ثم وضعت الفنجان ونظرت إليه وقد بدا الانزعاج على وجهها.

. لما تسأل هذا السؤال وكيف خطر ببالك هذا الاسم؟

. كيف باعتقادك خطر هذا الاسم على بالي؟ أليس أبي كلما يستيقظ صارخا يوقظنا بهذا الاسم؟ لقد حفظته منذ صغري هيا يا أمي أخبريني لم أعد صغيرا أنا كبرت وأصبحت أفهم مايجري حولي.

. حسنا سأخبرك لكن عدني ألا تخبر والدك بالأمر.

. أعدك.

. منذ أن تزوجت والدك وهوعلى هذا الحال كان دائما كئيبا وحزينا ونومه قليل، وعندما ينام يتحدث في أحلامه.

. ماذا كان يقول أثناء نومه؟

. أذكر أنه كان يردد اسم" حنين" ويقول لا تفعلي هذا بي "حنين " ثم يستيقظ فزعا وأحيانا أراه يحدث نفسه في الحمام كنت أظن في البداية أني تزوجت من رجل مجنون لم أكن أجرؤ على سؤاله، صبرت وتعودت على حاله وذات مرة طلبت منه أن يذهب إلى الطبيب ليفحصه لكنه صرخ في وجهي قائلا: أنا لست مجنونا أنا إنسان عاقل أعرف مايدور من حولي لكن قلبي هو أكثر ما يؤلمني، حينها أدركت أن له ماض يتعلق بفتاة ربما "حنين" كانت له علاقة معها ربما تركته أو ماتت أو...

. أو ماذا يا أمي؟

. هناك احتمالات كثيرة لكن متأكدة أن الأمر جلل.

. وماذا إذا عن قصة المرأة الضريرة التي تعيش في ذلك البيت القديم؟

. في الواقع لا أعرف عنها الكثير قال لي والدك أنها قريبته وليس لها أحد جاء بها لتعيش هناك لأنه ليس لها مأوى.

. إن كانت قريبته لما جعلها تعيش في ذلك المكان القديم الرث لما لا يأتي بها هنا ويهتم بها.

. لا أعرف، لم أستفسر عن هذا الأمر أنت تعرف أباك إنه صارم ولا يحب من يناقشه.

خرج ناسك ووجهته إلى صديقه خليل الذي أصبح سنده الوحيد، التقى به كالمعتاد في المكان الذي يلقاه فيه دائما، كان خليل مولعا بلعب الورق وكان بارعا في ذلك، وصل ناسك وقف عند رأسه نظر خليل خلفه ثم قال:

. هذا أنت؟ هيا تعال وشاركنا اللعب.

. أنت تعرف أني لا أحب هذا النوع من اللعب انهض ودع عنك هذا أحتاجك.

أمسك ناسك بخليل من قميصه وجره إليه.

. على رسلك ياصديقي ماذا هناك؟

. تعال معي وسأخبرك بكل شيء في الطريق.

حكى ناسك لصديقه كل ما قالته له أمه، فكر خليل وقال: إذا كان الأمر هكذا يجب أن نعود إلى الماضي.

توقف عن الكلام برهة وهو يحدق بعينيه الواسعتين إلى السماء، ضم يده اليسرى على صدره ورفع يده اليمنى وضعها على خده وهو يلوح بإصبعه السبابة، ثم قال أجل وجدتها! نحضر سراب ونطلب منها أن تتصل بالأرواح الشريرة وتأخذنا هناك إلى ذلك العالم السفلي سنرى هناك عالما آخر تحت الأرض وسنرى كل شيء قد حدث!!

اقشعر بدن ناسك وضرب خليل على رأسه، ما بك هل جننت؟ هل تظننا في عالم الخيال؟ أنت تتابع الأفلام كثيرا ومتأثر بهم.

. ها أنت لا تصدق أنه يوجد حقا أشباح؟ جدتي كانت تحكي لي كل يوم قصة عن عالم الأرواح

. أنت قلت تحكي لي قصة يعني مجرد خرافات أو أساطير، أنا حقا مخطئ جئت إليك كي تساعدني وها أنت تسخر مني.

. هاي.. انتظر يارجل سنفكر في حل لدي فكرة.

. ماذا هل ستدخلني في عالم الخرافات والأساطير؟

. لا..لا ما رأيك أن نبحث في الأرشيف.

. أرشيف !!!!

. أجل.. ألا يوجد في بيتكم مكان مثل القبو أو أي غرفة توضع فيها الأشياء القديمة الغير مستعملة؟

نظر ناسك إلى خليل ثم قال: أجل هناك قبو في بيتنا كيف غاب عني شيء كهذا، هيا بنا لنذهب.

كان على ناسك أن ينقاد إلى أي شيء قد يؤدي به لمعرفة الحقيقة.

دخل ناسك وخليل إلى المنزل وقصدا القبو، كان ناسك متخوفا لم يعرف سبب هذا الشعور رغم أنه متشوق لمعرفة حقيقة ما يحدث إلا أنه كان خائفا ربما كان يخشى أن تصدمه الحقيقة لأن في داخله كان يشعر أن هناك شيء ما، وصلا إلى غرفة قديمة دخلا وكلاهما كانا يرقبان المكان دخل ناسك وخلفه خليل كان المكان مظلما، أشعل خليل النور كانت خيوط العنكبوت تغطي المكان لم يكن المكان مرتبا كانت موجودة به بعض الصناديق يغطيها الغبار، كان ناسك وخليل ينظران دون أن يتحدث أحد فيهم، خيم عليهم الذهول وفجأة سقط صندوق من الأعلى على الأرض ففزع خليل وناسك وتعالى الغبار كأنها زوبعة، وأخذا يلوحان بيديهما وهما يسعلان، جلسا ثم قال خليل: هذا المكان أظن أنه لم يدخل إليه أحد منذ سنين.

نطق ناسك: لا أظن أني أستطيع البحث في هذا المكان.

قام خليل من مكانه وقال: ما خطبك يارجل ثم سكت ونظر تحت قدميه، نظر إليه ناسك، مابك أرى الذهول على وجهك! رفع خليل قدميه ثم ضرب الأرض برفق، اسمع يا ناسك.

. ماذا اسمع؟

. أظن أن هناك بوابة لمكان آخر، قام ناسك ضرب الأرض بقدمه برفق ثم تقدم نحو خليل ضرب الأرض بقدمه برفق وقارن بين الصوت الذي يصدره خشب الأرضية، أجل أنت محق.

تنحى خليل جانبا وجثى على ركبتيه وجثى ناسك معه وتحسسا الأرض بيديهما فوجدا فجوة، رفع ناسك اللوحة فإذا به باب صغير له مدخل صغير، رفعا الباب الصغير جانبا وكان هناك سلم نزل ناسك ولحقه خليل حتى وصلا إلى القاع، إذ بها غرفة مظلمة أخذا يمشيان خطوة خطوة، نطق خليل: المكان مخيف جدا أظن أنه مليئ بالأشباح، التفت ناسك إلى خليل ورفع كفيه وحاول أن يفزع خليل ليمتحن شجاعته ثم صرخ: شبح...صرخ خليل ووضع يده على صدره وقلبه يخفق مابك هل جننت؟ لقد أفزعتني.

ضحك ناسك وقال: ماذا هل تخاف حقا من الأشباح؟

. من يخاف من الأشباح، أنا فقط كنت شاردا لهذا أفزعتني، لكن المكان مظلم، ألا يوجد مكان ينبثق منه النور؟ أنظر هناك نافذة صغيرة فوق أنظر، قام خليل بوضع صندوق فوق صندوق وقام بفتحها حينها انبثق نورأنارالمكان كان كخيوط ذهبية يتخلله الغبار المتصاعد وخيوط العنكبوت التي ألقت شباكها على كل شيء موجود في ذلك المكان.

. وأخيرا نستطيع أن نرى.

كانت الغرفة صغيرة وكان بها مكتبة بها كتب كثيرة ومجموعة من الصناديق لم تكن مرتبة كان المكان به فوضى، قال خليل: أتساءل فيما إن كان بيتنا به مكان كهذا المكان !

. أنت غريب الأطوار تحب أن تعيش في الخيال أكثر من الواقع.

. باختصار ياصديقي أنا أحب التشويق، الحياة مملة بدون أن تكون هناك إثارة وتشويق.

. ها تأكدت جيدا أنك مجنون أو مهووس بالقصص والخرافات.

. أنا لست مثلك تقرأ الكتب ولا تعيشها.

. صحيح أنا أقرأ الكتب لكن أقرأ لأستفيد، لآخذ معلومة ثقافية، أنمي فكري وعقلي، لا أقرؤها لأصير مجنونا مثلك هههه.

. ها أنت تثرثر على غير عادتك، لنبحث عن أي خيط يوصلنا إلى ما نبحث عنه، انظر يا ناسك هناك كتب كثيرة.

أخذا يمسكان الكتب وينفضانها من الغبار، كانت كتب مختلفة ومتنوعة، نطق خليل ما هذه الكتب؟ هل كان والدك مثلك يحب قراءة الكتب؟

. لا أظن ذلك فأنا لم أره يقرأ يوما كل حياته مكرسة للشركة والعمل.

تقدم ناسك خطوات فتراءى أمام ناظريه كتاب صغير أمسكه ثم تنفس بعمق وأخرج الهواء من فمه وتطاير الغبار من على ذلك الكتاب ثم قال: مذكرة! التفت خليل وتقدم نحوه ثم قال مذكرة!

نظرا إلى بعضهما البعض والتفتا إلى تلك المذكرة ونطقا معا بحماس وأخيرا !!! بدت السعادة على وجهيهما ثم قال خليل: وأخيرا وجدنا ظالتنا.

. أجل يا خليل وجدنا ظالتنا.

جلسا على إحدى الصناديق، كانت المذكرة بين يدي ناسك جلس وأخذ ينظر إليها، لم يستطع فتح المذكرة كان يشعر بالرهبة، ربما كان ناسك يخاف من معرفة الحقيقة كأنه كان يدرك أنه حقا توجد أمور مخفية.

. مابك ياناسك لما أنت متردد؟

. لا أعرف أحس بشعور غريب.

. مابك يا رجل؟ افتحه لقد بذلنا جهدا حتى وجدنا هذا الخيط، دعني أفتحه مكانك إن كنت خائفا.

نزع خليل الكتاب من بين يدي ناسك وهم بفتح المذكرة حتى هبت زوبعة خفيفة، تطايرالغبار وتطايرت الأوراق وسمع صوت كأنه صوت الريح، كان قلب ناسك وخليل يخفق بقوة كقرع الطبول ، ثم هدأت الزوبعة، اقترب خليل من ناسك وأمسك به وهما ينظران حولهما، كان قلب ناسك وخليل مثل الطبل وسكت كل شيء وعاد كل شيء إلى مكانه ثم تنفسا بعمق وتنهدا، قال ناسك:

. المكان حقا مريب مارأيك أن نخرج ونأخذ معنا المذكرة؟

. لا، ماذا لو أن أباك جاء إلى هنا واكتشف أن المذكرة ضائعة؟

. مستحيل كيف لأبي أن يأتي والمكان يوحي أنه لا أحد قد دخل هنا منذ سنين، لنلقي نظرة على محتوى المذكرة.

تحمس خليل وفتح المذكرة نظرا معا بتمعن فوجدا صورة كانت في بداية الصفحة، أمسكها ناسك ثم قال إنها صورة قديمة ولكن لما هي ممزقة.

. هل تعرف من بالصورة ياناسك؟

أشار ناسك بإصبعه هذا أبي وهذه ثم سكت.

. أكيد هذه أمك التي بجانبه ولكن من يكون الشخص الذي بجانب أمك من تعتقد؟ ولما الجزء من الصورة مفقود؟ أظن أن أباك تعمد تمزيقها.

كان خليل يتكلم وناسك ينظر إلى الصورة مستغربا أمسك خليل الصورة وقلبها فوجد مكتوب عليها التاريخ الذي التقطت به الصورة قال لناسك:

. انظر إن هذه الصورة قديمة إنها قبل ميلادك بسنين، ربما هذه الصورة التقطها والدك مع أمك قبل أن يتزوجا وأظن أن هذا الشاب هو صديق لهما، مزق أبوك الصورة لأنه كان يزعجه وجوده في الصورة، نظر خليل إلى ناسك وهو صامت شارد لم يقل أي كلمة، لوح خليل بيده على وجه ناسك وقال مابك؟ لما أنت صامت؟ فانتبه ناسك وقال: لا أنا معك، ثم أمسك الصورة وقربها لينظر إليها عن كثب وقال:

. لا أظن أن هذه المرأة هي والدتي، أنا أملك صورة لأمي، إنها لا تشبهها.

. ها إذا من تكون هل حبيبته ؟ هاي..لا تحزن يا صديقي حدث هذا منذ سنين، قاطع ناسك كلام خليل وقال انظر جيدا إلى الصورة إن هذه المرأة مألوفة أشعر أني رأيتها من قبل.

أخذ ناسك يفكر ثم قال بصوت مرتفع سراب !!

. ماذا سراب !!

. نعم إنها تشبه سراب.

. دعني أرى جيدا، أجل إنها تشبهها قليلا لكن هذه المرأة أجمل من سراب أظن أن هناك اختلاف في العيون سراب عيناها شديدة السواد وهذه المرأة مرحة وتبدو لطيفة جدا.

نظر ناسك إلى خليل وقال: أنت لم ترَ سراب أكثر من مرتين كيف لك أن تتذكر شكلها؟

. صحيح لم أرها كثير لكن منذ أول مرة رأيتها فيها رسخت في ذهني أستطيع أن أرسمها لك الآن.

. ولكني رأيتها أكثر من ألف مرة إنها تشبه المرأة التي في الصورة ولا أظن أن هذه صدفة.

ثم تذكر ناسك شيئا وقال أجل هناك علاقة تربط سراب بأبي أظن أن هذه المرأة اسمها حنين.

. حنين كيف عرفت اسمها.

. لقد سمعت أبي يذكر هذا الاسم أكثر من مرة وحتى عندما رأى سراب عندنا في المنزل ناداها بحنين.

انتبه خليل ثم ضرب رأسه بلطف لما نحن غبيان هكذا بين أيدينا المذكرة ونحن نجلس كالمجانين نحلل ونفسر دون أي دليل، ابتسم ناسك وقال أنت محق وعندما هم ناسك بتصفح المذكرة سمعا صوتا من فوق الغرفة، فزعا ظننا منهما أنه حازم، وضع ناسك المذكرة في المكان الذي وجداها فيه ثم صعدا السلم وعندما اقتربا من الخروج أخذ ناسك يختلس النظر وخليل خلفه قال خليل: هل هناك أحد؟

. لا أحد.

. إذا اصعد.

صعدا ثم وقفا ينفضان الغبار من على ثيابهما وقد أصبحت رثة ملتصقة بهما خيوط العنكبوت خرجا من الغرفة وذهبا الى الحمام لينظفا أنفسهما ثم خرجا وهما يتهامسان خوفا من أن يسمعهما أحد، أخذا يمشيان حتى وصلا أمام باب المنزل الذي تقطن به سراب حينها قال خليل:

. ما الذي تفكر به يا ناسك؟

. لا أعرف، لندخل لعلنا نجد خيط آخر.

طرق ناسك الباب نظر خليل إليه وقال: لما تطرق الباب !! ألست صاحب المنزل ألا تملك المفتاح !

استدار ناسك إلى الخلف وقال: لم أعد صاحب هذا المنزل منذ أن جاءت إليه سراب.

ضحك خليل ثم قال: أنت تبالغ ياصديقي.

فجأة فُتح الباب، نظر ناسك وخليل إلى بعضهما واقشعر بدنهما، دخلا معا بخطوات تليها خطوات نظرا ولم يجدا أحدا وأخذت عيونهم تحدق من كل جانب حتى شعرا أن يدا تلامسهما من الخلف يدا وضعت على الكتف نظرا وعيونهم بارزة ثم صرخا بأعلى صوت وعندما استدارا وجدا سراب تضع يدها على فمها وهي تضحك كطفلة صغيرة، حينها أشار خليل بإصبعه نحوها هذه أنت، أحس ناسك بالراحة عندما وجد سراب تضحك لأن بضحكتها تلك تلاشت تلك الأفكار المريعة التي في رأسه، جلسا وأخذا ينظران إليها وهي صامتة تنظر باستغراب ثم قالت:

. ما الأمر هل هناك شيء ما؟

قال خليل: لا يوجد شيء فقط أردنا أن نحدثك عن أمر وأتمنى أن تتفهمي موقفنا.

قال ناسك: اسمعي يا سراب أنا وخليل قررنا أن نبحث في أمر نراه شبهة، أمر يتعلق بك وبأشياء أخرى.

. ماذا تعني أنه يتعلق بي هل رأيت مني شيئا مزعجا؟ هل فعلت شيئا ما خاطئ هل..

. لالا .. لا تفهمي الأمر هكذا أريد أن أساعدك في العثور على أهلك وأريد ان أكشف حقيقة ما حدث معك في تلك القرية هل توافقين على ذلك؟

سكتت سراب وهي تنظر إلى الأرض وحزن عميق ارتسم على وجهها.

قال ناسك: ماذا قلتِ يا سراب هل توافقين؟

رفعت رأسها وقالت: أنا أثق بك وسأفعل أي شيء تطلبه مني، أنت الشخص الوحيد الذي أؤمن أنه لن يؤذيني ولا أنكر أنني أريد ان أعرف حقيقتي وحقيقة مايحدث لي.

نطق خليل وهو يضحك بسخرية ماهذا ياناسك سراب مطيعة لك أظن انها فتاة جيدة.

. ماذا تظن أتراها سيئة حتى تظن !!!

. لالالا، أعذروني زلة لسان.

تعالت ضحكات الجميع.

في قلب ناسك يرى سراب طفلة مسكينة يتيمة تحتاج حقا إلى سند، في عقله وفكره يعلم أن هناك أشياء ظاهرة تخفي أسرارا كبيرة.

في اليوم التالي اجتمع الثلاثة معا، أول خطوة كان عليهم أن يذهبوا إلى الغرفة السرية، المذكرة هي الخيط الذي إذا انسحب، فتحت العقدة ذهب الثلاثة معا ودخلا الغرفة، كانت سراب تتبعهم دون أن تقول أي كلمة فتح خليل باب المخبأ ونزلا السلالم كانت سراب آخرهم في النزول، أخذ ناسك يمشي ببطء هو وخليل يمشون بحذر خشية أن يحدث لهم مثل ما حدث من قبل، استدار ناسك فإذ به يرى سراب خلفه وهي تمسك رأسها بكلتا يديها وعيناها مغمضتان كأن صداعا قويا يكاد يفجر رأسها، اقترب ناسك منها وقال:

. مابك ياسراب هل تسمعين شيئا ما ؟

لكن سراب كانت منزعجة وكأنها تتألم بشدة، كان باديا ذلك على وجهها فقد كانت عروق رقبتها بارزة وهي تمسك رأسها بقوة وتهزه يمينا وشمالا وناسك وخليل ينظران دون أن يفعلا أي شيء. فتحت عيناها، كانت عيونها حمراء، كانت العروق داخل عينيها تتدفق بالدماء، صرخت بصوت مرتفع كان دوي صوتها كأنه ريح عاصف، تطايرت الأوراق في تلك الغرفة، وقعت سراب على الأرض وناسك وصديقه واقفان وكأن الطيرعلى رؤوسهم، كانا مندهشين من هول ما رأوا ولم يجدوا تفسيرا لما وقع، وفجأة تحرك ناسك بسرعة نحو سراب وأخذ يهدئها.

. سراب مابك هل تشعرين بشيء؟

نطقت بصوت خافت أشعر بصداع في رأسي.

. ماذا سمعتي ياسراب؟ لما انزعجتي هكذا؟

قالت له سمعت أصواتا كثيرة كانت تتردد على مسامعي.

نطق خليل صوت ماذا؟ ومن الذي سمعتي صوته؟

.لا أعرف لم يكن مفهوما أحسست أنني في دوامة و أنني أهوي إلى القاع، كانت الأصوات متفاوتة، صوت مرتفع وصوت منخفض هذا المكان غير مريح أريد أن أخرج.

أمسك بها ناسك وقال يجب أن تتشجعي لا تدعي هذا الأمر يتغلب عليك، أخذت تنظر في كل مكان ثم قالت هذا المكان كئيب أشم رائحة الحزن هناك صور معلقة على جدران هذه الغرفة.

قال خليل مستغربا وهو ينظر حوله: أي صور!

. لا أعرف هناك وجوه لكن بدون ملامح.

قال ناسك أنا مثلك ياخليل لا أفهم، أخذ ناسك المذكرة وجلس هو وخليل جانب سراب ثم قام ناسك بفتح المذكرة وأمسك الصورة وقال: سراب انظري إلى هذه المرأة ألا تذكرك بأحد؟

نظرت سراب وقالت لا لم أرَ هذه المرأة من قبل.

نظر خليل إلى ناسك والذهول بادٍ على وجوههم، قال خليل: ألا ترين أنها تشبهك قليلا؟ قالت: لا أعرف أنا حقا لا أعرف.

قال خليل وماذا تعرفين ؟

قاطعهما ناسك قائلا: لندع أمر الصورة جانبا ولنقرأ ماذا يوجد بالمذكرة، فتح ناسك المذكرة وبدأ يقرأ وكلما يقرأ يتعجب مما يقرؤه، كان حازم قد كتب كل ماحدث معه في مامضى منذ أن كان في سن الشباب، كانت كل الأسطر تتحدث عن حنين، كان ناسك يقرأ ويتصفح ورقة بورقة وهو متحمس لمعرفة كل شيء إلى أن وصلا إلى جزء ممزق لم تكن الصفحات كاملة، قال خليل أظن أن أباك يخفي سرا كبيرا... إذن، أبوك كان يحب امرأة اسمها حنين وهذه الصورة تشرح

ذلك، نطق ناسك: أي كان يحقد على زوج حنين كثيرا رغم أنه صديقه لأنه ظن أنه أخذ منه حنين، إذا ماذا عن أمي ماذا حدث لها.

قال خليل أظن أن الجزء المهم موجود في الصفحات الممزقة ولكن كيف سنعرف الحقيقة؟ علينا أن نعرف قصة حنين.

. ولكن كيف سنعرف يا خليل؟

نطقت سراب ولم يتوقع خليل وناسك أنها ستتحدث قالت: لنسأل الخالة عهد لا بد أن لها علاقة مع العم حازم، نظر ناسك وخليل إلى سراب ثم نظرا إلى بعضهما البعض باستغراب، كان الأمر مضحكا بالنسبة لهما فسراب قليلة الكلام وعندما تقول كلمة تعني ألف معنى.

كانت وجهتهما إلى منزل الخالة عهد وفي جعبتهما أسئلة كثيرة، كان ظمأ ناسك لمعرفة الحقيقة شديدا فهل ستروي عهد ظمأه وتطفئ نار الحيرة في صدره؟

وقف ناسك عند البئر وقال لخليل: هذا البئر يخفي حكاية.

. ماذا تظن أنه يخفي هل هناك مخبأ هنا أو كنز مثلا؟

. لا يا خليل لكن سراب قالت أنها سمعت أصوات من هذا البئر ورأت الخالة عهد تخرج دلوا مليئا بالدماء، فزع خليل ماذا! دماء أووو... اقشعر بدني.

تقدم ناسك نحو البئر أمسك بالدلو ثم أرخى به إلى الأسفل وأخذ يجر الحبل وعندما أخرج الدلو لم يجد شيئا سوى الماء، نظر خليل وقال مارأيك أن نطلب من سراب أن تفعل مافعلت لنرى ماذا سيحدث.

كانت سراب بالقرب منهم لكنها لم تكن منتبهة لما كانا يقولان، طلب ناسك منها أن تتقدم، تقدمت نحوه وأعطاها الدلو اقتربت سراب من البئر نظرت إلى قاع البئر وإذ بها ترى دوامة كبيرة وكانت هناك قوة كبيرة تجذب سراب نحو القاع،

انجذبت سراب إلى البئر وسقطت داخل البئر لكن ناسك أمسكها بقوة من يدها وأخذ يجذبها إلى الأعلى ولكن تلك القوة كانت تجذب سراب إلى الأسفل وسمعت سراب أصواتا مخيفة وهي تقول لها بصوت خافت "تعالي إلى هنا هذا مكانك تعالي" وهي تصرخ وتقول: لا أريد أن أذهب لا أريد.

صار خليل يسحب ناسك وناسك يسحب سراب حتى تمكنوا من إنقاذها، سقط الثلاثة على الأرض وأنفاسهم تتصاعد، فجأة رأى خليل ظلا طويلا ممتدا التفت خلفه والتفت ناسك وسراب معا ثم صرخوا مرة واحدة، ثم تنهدوا لما رأوا عهد خلفهم.

بالنسبة إلى ناسك كان دائما يظن أنه داخل حلم وأنه سوف يستيقظ يوما ما أما خليل فهو أكثر شخص يحب أن يعيش هذه الحكايات المشوقة فهو حقا كان يراها مشوقة ولم يهتم كونها حقيقة أم خيال.

الثلاثة جميعهم في منزل عهد ينظرون إليها بصمت يراقبون ماذا سيحدث وهي جالسة تمسك عصاها تنتظر أن يتحدث إليها أحدهم، في تلك اللحظة نطق ناسك أيتها الخالة جئنا إليك ونتمنى أن لا ترديا خائبين، حقا هناك أسئلة نريد أن نعرف إجابتها.

. اسمعي ياخالة إننا في حيرة من أمرنا نريد أن نعرف ماعلاقتك مع أبي ومن تكون حنين!! في تلك اللحظة أمسكت عهد بعصاها بقوة وارتجفت ثم قامت.

. أيتها الخالة أرجوكِ أخبرينا ما الفائدة من إخفاء الحقيقة أرجوكِ.

كانت عهد مستديرة إلى الخلف وكانت تهتز كورقة يابسة على غصن غض تتمايل مع الهبات، تقدم ناسك نحوها وجد الدموع تهطل من عينيها كودق ينزل من السماء، أدرك ناسك أن هناك حقا رابطة بينهما.

. أتبكين ياخالة! هل أزعجك سؤالي؟ أمسك بيدها وأجلسها وهي مازالت تبكي لم تستطع أن تنطق لأن ماتخفيه كان يخنق أنفاسها كانت تئن أنين المستغيث وهي تبكي، كان الجرح عميقا ولم يشفَ بعد.

كانت سراب تنظر صامتة، أمسك ناسك بورقة وقلم وأمسك بيد عهد ليعطيها القلم، أراد منها أن تكتب له ما لم تستطع أن تقوله منذ سنين، أمسكت القلم وهمت بالكتابة والثلاثة ينظرون و عيونهم على الورقة، فجأة فزعت عهد وخبأت الورقة والقلم تحت الكرسي استغربوا مما رأوا حتى دخل حازم نظر الكل ثم قاموا فزعين، بادٍ على وجوههم التوتر، عهد كانت أكثرهم توترا كانت ترتجف، نظر حازم ثم قال بصوت خشن فيه نبرة الغضب ماذا تفعلون هنا؟ نطق ناسك بسرعة: كأنه خائف أن ينطق قبله أحد ويكشف ماجاؤوا من أجله.

. كنا نتنزه نحن الثلاثة مررنا بجانب المنزل فأردنا أن نزور الخالة لنطمئن عليها لكن للأسف.. الخالة ضريرة وبكماء حتى أننا لم نستطع معرفة اسمها حتى نناديها به.

نطق حازم: وما شأنكم بمعرفة اسمها أظن أن الأمر لا يعنيكم!

نطق خليل: إنه الفضول ياعمي، حسنا سنذهب.

أمسك خليل بيد سراب وخرجا ولحقهم ناسك، اقترب حازم من عهد وهي ترتجف، اقترب أكثر ثم همس لها في أذنها وقال: حياتك ملك لي لا تنسي هذا ثم خرج وترك عهد ترتجف من الخوف.

في البيت الذي تسكن فيه سراب اجتمع الثلاثة معا يتحاورون قال خليل: ماهذا الحظ لما في الوقت الذي أرادت أن تخبرنا دخل أبوك ياناسك؟

نطقت سراب: هذا يدل على أن العم حازم يعرف الخالة عهد جيدا فنظرته لها كانت مليئة بالغضب، نطق ناسك: أجل ربما شك في أن الخالة قد أخبرتنا شيئا ما.

قالت سراب: رأيت الخالة ترتجف حتى أنها أحست بوجوده قبل أن يدخل.

فجأة سمعوا دقدقة الباب الكل كانت نظرته متجهة إلى الباب وتسارعت دقات قلوبهم وجفّ الريق في حناجرهم، أصبحوا يعيشون حالة رعب، قام ناسك وفتح الباب.

. أبي !!!

دخل حازم بوجهه الغاضب وقسماته التي تبعث على الخوف، صرخ في وجه سراب: ماذا تفعلين هنا لما لا تعودين من حيث أتيتِ؟ أنت تلعبين بعقل ابني.

. ماذا تقول يا أبي سراب ليست بهذا السوء إنها مجرد فتاة بريئة.

. اصمت أنت ما أدراك أنت، تقدم حازم نحو سراب أمسك يدها بقوة وجرها نحو الباب فتح الباب وألقى بها خارج البيت وأغلق الباب، صرخ ناسك في وجه أبيه قائلا: لما فعلت هذا؟

. أنا أدرى بمصلحتك.

أما سراب فكانت تمشي خطوة خطوة وهي تبكي بحرقة أحست أن ما حدث لها من قبل ستعيشه من جديد لم تعرف أين تتجه إلى أين تذهب لا أحد تعرفه أحست بالضياع، خرج خليل مسرعا لحق بها ونادى عليها التفتت نحوه قال خليل: إلى أين تذهبين ونبرة الإشفاق بادية عليه

. لا أعرف.

. أعلم أنك لا تعرفين تعالي معي سآخذك إلى مكان أنا أعرفه.

هزت رأسها وقالت: لا أريد أن أسبب لك المشاكل.

. لا تخافي سآخذك إلى منزل جدتي إنها عجوز طيبة.

أخذ خليل سراب إلى منزل جدته وناسك في حيرة من أمره حتى اتصل خليل ليطمئن ناسك عن حال سراب، قال لاتخف ياناسك سراب الآن مع جدتي لن أتركها تضيع.

. شكرا لك ياخليل أزحت حملا ثقيلا على كاهلي.

. لكن لما تصرف أبوك بتلك الطريقة؟ لما طرد سراب؟

. لا أعرف لكن أظن أنه مستاء منها أظن أن الأمر له علاقة بحنين.

. هل تعتقد أن حنين تشبه سراب حقا؟

. أجل اليوم تأكدت من هذا يجب أن نكتشف الأمر في أقرب وقت.

عندما اتصل خليل بناسك وأخبره أنه سيأخذها إلى بيت الجدة اطمأن وزاد تفكيره، أخذ يحدث نفسه: لابد أن أبي انزعج من سراب لأنها تذكره بتلك المرأة حنين، أنا متأكد أن الخالة عهد على دراية بما يخفي أبي.

في إحدى زقاق المدينة وفي إحدى البيوت القديمة كانت تعيش الجدة "سناء" جدة خليل وصل خليل وسراب إلى بيت الجدة، كانت جدران البيت عتيقة عليها خضرة داخل فناء المنزل كانت توجد به شجرة كبيرة كانت طويلة تمتد إلى عنان السماء وعلى غصن تلك الشجرة كانت هناك أرجوحة معلقة وأوراق الشجرة متناثرة على الأرض، كانت سراب تنظر من حولها، نطق خليل ماذا هل أعجبك المكان؟ قالت:

. أجل المكان هادئ ولكن تلك الشجرة مريبة.

. ماذا؟ مريبة كيف ذلك؟

نظرت إليه وقالت لا أعرف..

. هل تعلمين أنك دائما تقولين أشياء مبهمة ودائما لا تعرفين، أنت تضعيننا في دوامة، لا بأس لندخل.

كان الباب مفتوحا قليلا على زاوية حادة دخل خليل وسراب وأخذ ينادي بأعلى صوت جدتي، جدتي أين أنتِ ؟

كانت الجدة جالسة على كرسي هزاز وتحمل في يدها سنارتين خشبيتين كانت تحيك قبعة من صوف قال خليل: أنتِ هنا لما لم تردي؟ نظرت الجدة إليه من فوق نظارتها التي كانت تظعها على أنفها الحاد ثم قالت: ولم علي أن أرد في النهاية ستجدني أيها الولد الشقي.

. انظري جدتي لقد أحضرت معي صديقة، إنها سراب وهي الآن تحتاج إلى أن تبقى بعض الوقت هنا معك أتمنى ألا تمانعي في أن تبقى معك إنها حقا لطيفة ستسعدين برفقتها فقط بضعة أيام.. قاطعته الجدة قائلة: لقد أحضرتها حقا دون أن تسأل أولا فلم تطلب مني الآن؟ قال خليل: آسف لم يكن لدي وقت، نطقت الجدة هاا حسنا انا أمزح أصمت ولا تثرثر البيت مفتوح للجميع ليس لدي مانع في إبقائها هنا تفضلي يا ابنتي اجلسي.

كانت الجدة عجوزا طيبة كانت نحيفة خطت التجاعيد على وجهها خطوطا كانت تلك الخطوط تروي حكاية السنين التي مرت على عجوز كبيرة في السن مثلها، كانت سراب تنظر إلى الجدة وتراقبها بصمت، وهي تنظر إلى ملامحها ويديها كيف كانت تلاعب خيوط الصوف تلك اليد التي رسمت عليها تلك التجاعيد تخبر كم من أعمال قامت بها.

مضت تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا، خرجت سراب إلى فناء البيت تتجول بين أرجائه جلست في فناء البيت على كرسي خشبي تآكل مع مرور السنين وهي تضع يدها على خدها وتفكر في كل شيء كانت تشعر بسعادة كبيرة كون أنها التقت بأصدقاء طيبين وقفوا إلى جانبها وساعدوها في أحلك الظروف، بالطبع ناسك وخليل وهي تتذكر نظرت إلى تلك الشجرة، أمعنت النظر ثم قامت بخطوات بطيئة، كانت الجدة عند النافذة تنظر إليها من بعيد تريد الجدة أن ترى ردة فعلها خرجت الجدة متجهة نحو سراب استدارت سراب فرأت الجدة خلفها، أمسكت الجدة بيدها وقالت ما بك يا ابنتي؟ لما أنت هكذا منزعجة وحزينة؟ انفجرت سراب بالبكاء وضمت الجدة إليها وبدأت تبكي بشدة وهي تقول ساعديني أيتها الجدة إنني غارقة في ظلام دامس، أخذت الجدة تطبطب على ظهرها وتهدئ من روعها ثم دخلا وجلسا، سألت الجدة سراب ماذا رأيتِ عند تلك الشجرة؟ قالت سراب بحزن شديد: رأيت دماء تتقاطر ورأيت جثثا معلقة تتلاوح يمينا وشمالا لكن لم أستطع أن أرى وجوههم، هزت الجدة رأسها وقالت: إذن هكذا؟ إنني لم أخطئ، وراءك سر كبير.

في اليوم التالي جاء خليل ومعه ناسك، كان ناسك يريد أن يطمئن على سراب، دخلا فوجدا سراب في المطبخ تساعد الجدة في تحضير الغداء، شعرت سراب بسعادة كبيرة حين رأت ناسك أسرعت لترحب به قال ناسك:

. كيف حالك ياسراب هل أنت بخير؟ هل أنت مرتاحة في هذا المكان ؟

هزت رأسها وقالت: أجل كثيرا، الجدة تعاملني بلطف.

رحب ناسك بالجدة وجلس الكل على مائدة الطعام ليتناولوا الغداء أخذ ناسك يحدق بسراب وفي فمه كلمات أراد أن يقولها لها لكن خشي أن كلامه قد يؤذي مشاعرها لكنه استجمع شجاعته وقال: . أريد أن أسالك..

قالت نعم تفضل.

. هل خرجت هذه الأيام من منزل الجدة؟

. لا لم أخرج، أنا لا أعرف المكان كنت طيلة الوقت برفقة الجدة.

قالت الجدة: سراب لم تخرج من المنزل كانت ترافقني طوال اليوم ولم تغب عن ناظري.

شحب وجه ناسك ولم ينطق بكلمة، قال خليل ما الأمر قل ما يجول بخاطرك هل تخفِي عنا شيئا؟

قالت سراب: أجل ما الأمر هل هناك خطب ما ؟ نطق ناسك بهدوء: في الواقع هناك شيء غامض يحدث أمس، سمعت صراخ والدي يصرخ بصوت مرتفع عندما ذهبت إليه مسرعا وجدته في حالة جنون وكل شيء محطم حوله وعندما هدأ قمت بسؤاله عن الأمر قال أن سراب تظهر في كل مكان حوله وتنظر إليه بطريقة مخيفة وأنه يراها في أحلامه وهي تقول له كلمات لم يفهمها، حقا لا أعرف ما الذي يحدث..

حينها انزعجت سراب وهي تسمع هذه الكلمات كانت خائفة من أن يعاتبها ناسك لأن ناسك في نظرها هو العائلة الوحيدة لها في هذا العالم المظلم، خشيت أن يتخلى عنها، كانت ردة فعلها قوية قامت من مكانها وبدأت تبكي بصوت مرتفع وهي تقول لما أنا؟ لما الكل يتهمني أنا؟ لم أفعل أي شيء، لا أذكر أي شيء، لقد ضعت، الكل تخلى عني، أنا لست شريرة، أنا لست وحشا، أنا بشر لدي مشاعر

وأحاسيس لا يمكن أن أؤذي أحدا لدي ضمير، كانت منفعلة جدا ولم تدرك ما الذي كانت تقوله لكن ناسك قام من مكانه وأمسكها من يدها وقال:

. هدئي من روعك كلنا نعرف أنك بريئة أنا أؤمن بك وأصدقك أعدك أنني سأجد حلا لكل هذه المشاكل وسنجد الحقيقة.

نطقت الجدة: أظن أني أعرف بعض الشيء عما تبحثون عنه.

التفت الثلاثة معا محدقين بالجدة ونطقوا معا حقا !! جلس الثلاثة بقرب الجدة وعيونهم مليئة بالرغبة كأنها تروي عطشانا يمشي في صحراء كلهم كانوا متعطشين لمعرفة الحقيقة عندها نطقت الجدة بكل هدوء كانت الجدة تبدو حزينة نطقت وكانت نبرة صوتها خافتة كعجوز كبيرة في السن حركتها ثقيلة وكلماتها متقاطعة كلمة تليها كلمة اسمعوا يا أبنائي:

في مامضى منذ سنين.. سنين بعيدة كان هناك جبل أطلق عليه جبل الأرواح، انتشرت شائعات تقول أن ذلك الجبل تسكنه أرواح شريرة وأن كل من يذهب الى ذلك الجبل يختفي دون عودة قيل لأن ذلك الجبل تكثر فيه حوادث الانتحار، يقولون أنه من يصعد إلى ذلك الجبل يصاب بالجنون فيقتل نفسه أو يعود إنسانا آخرعلى غير طبيعته، هناك من يقول أن من يذهب إلى ذلك الجبل ويعود تسكنه الأرواح ويكون عبدا مقيدا تقوده الأرواح الشريرة، منذ سنين كانت تنتشر شائعات أن الذين يعودون من ذلك الجبل يعودون من أجل الانتقام لأن كل الأرواح هناك هي أرواح بشر ماتت أو قتلت وهي مظلومة لم تسامح ولم تغفرعند موتها وقبل موتها تمنت لو أن هناك من ينتقم لها، لهذا كل من يصعد الجبل يصاب بلعنة الأرواح، في البداية كنت أظن أن هذه الشائعات ليست حقيقة فأنا لم أكن أصدق أن هناك أرواح شريرة في هذا العالم عندما أتيت إلى هذا المكان كان المكان حقا

مريبا لم أكن أستطيع النوم، كانت الكوابيس تؤرق نومي، كنت أرى في حلمي امرأة مشنوقة معلقة بين أغصان تلك الشجرة الكبيرة الموجودة في ذلك الفناء، وأحيانا أرى وجه رجل مليء بالدماء، كانت هذه الكوابيس تراودني كل يوم وأنا أقوم مفزوعة، وفي يوم من الأيام كنت خارجة من المنزل رأيت رجلا جالسا بجانب الباب كان في حالة يرثى لها في تلك اللحظة لم أسأله من يكون كنت لاأخالط الناس كثيرا ولكن ذلك الرجل كان يتردد على المنزل كثيرا فانتابني الفضول في معرفة من يكون وسبب تردده على هذا المنزل خشيت أن يكون لصا لكني استجمعت قواي وخرجت لأجده جالسا في حالة يرثى لها، كان شاحب الوجه وهالات السواد حول عينيه كأنه لم ينم ليال طوال، وكان الحزن قد شق خطوطا في وجهه، سألته حينها عن سبب وجوده في هذا المكان لم يرد علي احترمت رغبته في عدم الرد ومرت الأيام على هذا الحال حتى أتى اليوم الذي دق الباب ودخل اتجه نحو الشجرة ثم جثى على ركبتيه وأخذ يصرخ بصوت مرتفع ويبكي وهو يقول سامحوني لقد أخطأت، بكى ذلك الرجل حتى خارت قواه وبعدما هدأ سألته عن السبب الذي جعله في هذه الحالة ولما دخل البيت هكذا عندها أخذ يحدثني عن قصته مع زوجته كانت بينهما مشاكل كبيرة قال لي ذلك الرجل أنه كان يطمع في مال زوجته وأنه أجبرها على أن تجعل أملاكها على اسمه لكنها رفضت ودار بينهما شجار ومن فرط غضبه أمسك بحبل وخنق زوجته حتى الموت في تلك اللحظة لم يعرف ماذا يفعل أخذ جثتها ولف الحبل حولها ثم علقها فوق الشجرة حتى يعتقد الجميع أنها انتحرت وشنقت نفسها، بعد مرور أيام جاء أخوها وقام بتهديدي كان يعلم أنني سبب موتها وقال إنه سيبلغ الشرطة عني تشاجرت معه من فرط غضبي أمسكت زجاجة وضربته على

رأسه، ارتد قتيلا لم أعرف ماذا أفعل أمسكته وحفرت حفرة تحت الشجرة وقمت بدفنه تحت التراب لكن منذ ذلك الحين لم أعش بسلام كان البيت مخيفا كنت كل يوم أرى طيفهم يلاحقني حتى كدت أجن قررت أن أترك المنزل وأبيعه رحلت بعيدا لكني لم أعش حياتي كباقي البشر كنت أرى طيفهم في كل مكان ليتني لم أفعل فعلتي، ليت الزمان يعود لأصحح أخطائي ليتني أستطيع طلب السماح منهم فيسامحوني على جرمي وخطئي في تلك اللحظة لم أستطع مساعدته قلت له سلم نفسك للشرطة ربما إذا أخذت جزاءك من العقاب سيكون إنصافا لزوجتك وأخيها، قام الرجل يجر الخطى وذهب منذ ذلك الحين لم أره ولم أعد أرى طيف تلك المرأة وأخوها لحد الآن. لا أعرف ماذا حدث لذلك الرجل هل اعترف بخطئه، هل مات أم مازال على قيد الحياة، حقا كانت تلك الأيام صعبة.

حينها نطق خليل وقال وهو متحمس: هذا يعني أن سراب لها علاقة بجبل الأرواح فهي وجدت هناك.

قاطعه ناسك ليس جبل الأرواح فقط، أظن أن لها علاقة بأبي والخالة عهد.

كان خليل متحمسا جدا، تقرب إلى الجدة وأمسك يدها ثم قال:

. أخبرينا عن قصة الجبل ياجدة.

تنهدت الجدة لم تقل أي كلمة لكن كان يبدو لهم أنها ستحكي لهم، جلس الكل حولها واقتربوا منها. كانت بادية على الجميع تلك اللهفة ورأت الجدة تلك اللهفة في عيونهم رغم أنها لم ترد أن تخبرهم إلا أنها أدركت أنهم شباب جامح لا يرد عزيمته شيء. همهمت الجدة بكلمات لم يفهمها أحد لكنهم لم يقاطعوها كانوا كلهم أذان صاغية، وأخذت تحكي لهم ما حدث في تلك الأزمنة الغابرة.

ـ في الواقع أنا لا أعرف الكثير عن هذا الجبل ولكن سأحكي لكم ما سمعته عنه، يقال أنه منذ أزمنة بعيدة كان ذلك الجبل محورا يتمركز فيه الزوار والسيّاح من كل مكان لما كان من حوله طبيعة خلابة وساحرة، من قبل كان يدعى جبل شبح الأوركيد كانت تنمو أسفل الجبل نبتة تدعى زهرة شبح الأوركيد، كان الزوار يأتون من كل مكان ومن بلدان مختلفة من أجل رؤية تلك الزهرة، تقول الأسطورة أن من يعثر على الزهرة سيحالفه حظ عظيم لهذا يتوافد الناس من أجل رؤيتها.

قاطعها ناسك مستغربا مما يسمع، زهرة شبح الأوركيد ! لم أسمع بها.

قال خليل: لقد قرأت عنها في بعض الكتب، هذه الزهرة نادرة جدا وهي تشبه السحلية أو الضفدع ولكن لها منظر رائع يقال أنها انقرضت وبعد سنوات عديدة ظهرت في بعض الأماكن وهي نبات متطفل ينمو على الأشجار، سميت بزهرة السحلية أو الضفدع لأن مظهرها يوحي بذلك.

. أها فهمت لهذا سمي الجبل شبح الأوركيد، أكملي القصة ياجدة.

. يحكى أنه كان هناك ثلاث فتية منهم فتاة برق وعاصف وسديم كانوا أصدقاء جيدين جمعتهم صداقة قوية، كان بينهم عهد أن يبقوا أوفياء إلى الأبد، وجهتهم كانت واحدة وهي رؤية زهرة شبح الأوركيد وصلوا إلى الغابة، بحثوا طويلا حتى وجدوها قرروا أن يخيموا تلك الليلة وفي الصباح يعودوا أدراجهم أوقدوا النار والتفوا حولها وأخذوا يتسامرون بينهم، والسعادة تملأ وجوههم ، لكن لايوجد كمال في أي شيء والنفس لا يعلم خباياها إلا الله، كان برق يحدث نفسه لابد لي أن أكون أفضل من عاصف الكل يعتبره الأفضل حتى سديم تفضله علي الحل الوحيد هو أن اقطف الزهرة وأعود بها إلى القرية ستكون لي شعبية كبيرة بين الناس وسأكون الأفضل وسيكون لي حظ وفير.

هذا ما كان يخطط له برق، قام برق من مكانه مدعيا أنه يريد أن يتجول وحده، خاطبه عاصف قائلا:

. لا تبتعد كثيرا قد يكون المكان خطيرا.

نطقت سديم بكلمات رقيقة: أجل أظن أن هذه الغابة مليئة بالذئاب عليك أن تكون حذرا

. لا تقلقوا يا رفاق لن أبتعد كثيرا.

اتجه برق نحو مكان الزهرة واقترب نحوها، كان يريد أن يقطفها لكن فجأة تغير وجهه وأصبح شاحبا والعروق بجسمه بارزة وعيونه كأنها شرارة من نار، شعر بأن شيئا قد حدث له، التفت خلفه ثم تقدم نحو أصدقائه وبدأ بمهاجمة صديقه عاصف وعاصف مندهش مما رآه من صديقه أخذ يتجنبه لم يفكر في مهاجمته والرد عليه، كان برق يحمل خنجرا بيده وهو يلوح به نحو صديقه وسديم تصرخ وتقول ما الذي يحدث؟ لما أصبحت فضا هكذا نحن أصدقاؤك، لكن برق كان يتصرف كوحش جائر لم يسمع لكلام سديم، اقتربت منه بحذر فكرت في طريقه لإيقافه كان عاصف يتجنب برق لم يرد أن يهاجمه لأنه صديقه الوحيد لأنه كان يدرك أن صديقه قد فقد صوابه، أشارت سديم لعاصف حتى يقوم بإشغاله أخذ عاصف يتحدث مع برق وبرق يهاجمه قال عاصف باستهزاء: أتريد أن تقتلني؟ لابأس سأحقق حلمك إن كان حلمك قتلي افعل ولكن لدي حل ألا تريد أن تأخذ الزهرة؟ أعلم أنك تريد أن تأخذها قبلنا سأعطيك الزهرة بنفسي، لكن برق لم يستمع له وهاجمه قائلا: حتى لوأعطيتني الزهرة لن أتردد بقتلك، أنت عائق بالنسبة لي طول عمري كنت أحسدك، دائما تجعل من نفسك الأفضل تجذب الآخرين حولك أنا أكرهك كنت أدعي رفقتك لكن كنت أتمنى دائما أن تختفي

وبينما هو يصب غضبه على صديقه أسرعت سديم بالهجوم نحوه وضربت يده سقط الخنجر من يده وأسرعت ممسكة بالخنجر وأخذت تركض وعاصف وبرق وراءها لكنها تعثرت على حجر، وسقطت على الأرض لكن للأسف كان ذلك آخر سقوط لها عندما سقطت سقطت على الخنجر، صرخ برق وعاصف بأعلى صوت لاااااا حملاها معا وأخذ برق يبكي بشدة ويقول انا آسف لم أقصد ذلك أخذت تنظر إليهم وهي تحاول أن تتحدث لكن كلماتها كانت متقاطعة قالت بصوت خافت وأنفاسها تتقطع "انفعالنا بدون سبب عبارة عن صراع في داخلنا دام كثيرا ولم نستطع أن نبقيه مسجونا بداخلنا " في النهاية كنا حقا كالإخوة ولم أتوقع هذه النهاية لكني حقا قضيت أوقات رائعة برفقتكم ولم أندم على صحبتكم وأغمضت عيناها، صرخ برق والندم يعصر قلبه والغريب في الأمر الدماء التي سالت من جرح سديم قد جفت لأن الشجرة التي كانت تنمو عليها زهرة الشبح قد امتصت تلك الدماء وأصبح لون الزهرة أحمرا بعدما كان أبيضا ناصعا، منذ ذلك الحين لم يعرف أحد ماذا حدث بعدها، هناك إشاعات تقول أن الصديقان قد أصيبا بالجنون وأصبحا يمشيان ويتحدثان بكلام غير مفهوم، أما جثة تلك الفتاة سديم لم يعثر عليها أحد وبقيت أحداث تلك القصة لغزا لم يفهمه أحد منذ ذلك الحين تغير كل شيء وأصبحت الغابة في ظلام دامس وانتشر ضباب كثيف غطى الغابة بأكملها فأصبح لا أحد يستطيع الذهاب هناك لما انتشرت من شائعات تقول أن من يدخل تلك الغابة لايمكنه العودة أبدا.

قال ناسك وهو يريد أن يفهم ما صلة هذه الغابة بالجبل؟

. لا أعرف بالضبط لكن الجبل متصل بالغابة يقال أنه تسكن ذلك الجبل أرواح شريرة كل من يدخل الجبل يفقد صوابه ومنهم من يختفي للأبد.

أخذ الجميع ينظر إلى بعضهم البعض ثم قال خليل: لقد اكتشفنا خيطا آخر قد يرشدنا إلى مانريد معرفته.

. ألا تظنّان أن الأمر زاد تعقيدا؟ كنا نبحث عن قصة سراب ثم قصة أبي والغرفة السرية وما حكاية المرأة التي في الصورة والتي تشبه سراب ثم قصة المرأة الضريرة ثم قصة الجبل والآن أصبحنا في قصة أخرى قصة الزهرة اااه رأسي يكاد ينفجر.

. أنا متأكد أن كل ماقلته له علاقة ببعضه البعض ياناسك.

قامت سراب منزعجة وقالت أريد أن أذهب.

رد عليها ناسك إلى أين؟

. لقد سببت لكم الكثير من المشاكل، لا أريد أن أزعجكم أبدا سأختفي ولن أسبب المتاعب لأحد.

. لن تذهبي إلى أي مكان ثم إننا نبحث في الأمر بملء إرادتنا لم يجبرنا أحد على ذلك، حتى لو ذهبتِ سيبقى الأمر عالقا في أذهاننا وسنصر على معرفة الحقيقة لأن الأمر الآن أصبح يتعلق بأبي والموضوع حقا بدأ يقلقني.

. ناسك محق الحقيقة لابد أن تظهر إن كنتِ خائفة ليس عليك التدخل سأبحث أنا وناسك عن الأمر.

. لالا، أنا حقا أريد أن أكون معكم فقط شعرت بالإحراج ضنّا مني أني أزعجكم.

ردت عليهم الجدة بكل هدوء: هل حددتم خطة كيف تبدؤون ؟

نظر ناسك إلى خليل ثم هزوا أكتافهم وقالوا في نفس الوقت: لم نعرف بعد.

طلب ناسك من سراب العودة إلى المنزل لكن سراب رفضت وقالت له:

. لا أستطيع العودة لأنني أخشى أن يطردني أباك مرة أخرى سأبقى برفقة الجدة أحببت حقا رفقتها.

. لا بأس إن كان الأمر يريحك إن احتجتِ لي تعرفين أين تجدينني.

مرت أيام على مكوث سراب ببيت الجدة وكان ناسك يتردد مرات لزيارة الجدة وسراب، فكر ناسك أن يأخذ سراب إلى التنزه برفقته كان يعلم أن نفسيتها متعبة مما حدث معها.

طلب ناسك من سراب أن تخرج معه للتنزه خرجا معا وهما يمشيان أحست سراب أن أحدا يتبعها التفتت بسرعة لكنها لم تجد أحدا.

. مابك؟

. لاشيء اعتقدت أن أحدا يسير خلفنا.

شعر ناسك بالخوف في داخله لكنه شعر حقا أن هناك من يراقبه، عادا إلى منزل الجدة وتناولا العشاء معا ثم خرج ناسك إلى حديقة كانت بمنزل الجدة، أخذ يفكر في كل ماحدث من حوله سمع صوتا استدار خلفه وإذ بسراب واقفة جلست قربه وبقيت صامتة، نظر إليها ناسك وجد الحزن في عينيها، تحدث معها بلطف، ما الذي يزعجك؟ ضحكت سراب ضحكة ممزوجة بألم وقالت وعيونها تلمع تغشتها دموع خفيفة:

. كل شيء يزعجني أحس أنني في كابوس كلما أردت أن أستيقظ أجد نفسي أغوص أكثر وأكثر، نظرت إلى ناسك وقالت هل أنا حقا إنسانة سيئة؟ هل حقيقتي غامضة؟ لماذا هذا الضجيج من حولي؟

تنهد ناسك وقال بابتسامة عريضة على شفتيه:

. أترين تلك النجمة المضيئة هناك؟

. أين؟

. هناك، ألمع نجمة في السماء التي بقرب القمر.

. أها رأيتها إنها جميلة.

. أنت أجمل منها يا سراب.

ابتسمت سراب واستنار وجهها كقمر مضيء ثم قالت له بسعادة كبيرة:

. أترى ذلك القمر يا ناسك؟

وضع كفه على جبينه فوق حاجبيه ثم قال: أين لا أراه؟

ضحكت ثم قالت: هناك، إنه ينير السماء ألا ترى!

. ههه أجل أراه لكن لا تخبريني أني أجمل من ذلك القمر.

. أنت مثله أنرت حياتي كما يضيء هذا القمر هذه الليالي الحالكة، كنت تائهة لا أعرف وطنا ولا أصلا ولا مقرا لكن عندما التقيتك تبدد الخوف الذي بداخلي وأصبحت أشعر أني حقا إنسان له حقه في الحياة وأصبحت أثق بك.

. هذا كلام جيد وأنا سأكون عند ثقتك، سأساعدك حتى النهاية، ستجدين أهلك وسنعرف الحقيقة خلف كل ماحدث، فقط هي مسألة وقت.

. أتعرف حتى لو لم أجد أهلي يكفيني أن أجد نفسي وقد وجدت نفسي بمعرفتي بك وبخليل وحتى الجدة لطيفة جدا معي أشعر بالأنس معها.

. حسنا دعكِ من الحزن ولنمضي معا لمعرفة الحقيقة.

. أجل سنعمل معا.

هكذا استطاع ناسك أن يصل إلى أعماق سراب ليخفف عنها ذلك الحمل الثقيل، كان يعلم أنها تنكر ذاتها وهذا أصعب شعور قد يتملك الإنسان، إنكار الذات وعدم الثقة بالنفس يجعل منك مجرد هيكل يمشي بين الناس دون حس أو روح، يجعلك تفقد رغبتك في الحياة في مواجهة الصعاب في أن يكون لك هدف تسعى إلى الوصول إليه، إنكار حقيقة نفسك، حقيقة وجودك كلها مثبطات تجعلك في مؤخرة الطريق.

حل الصباح وأشرقت شمس يوم جديد، اتفق الأصدقاء ناسك وخليل وسراب على الاجتماع معا. كانوا يفكرون في خطة من أجل الإيقاع بالشخص الذي يلاحقهم، أدركوا أن أحدا يراقبهم ويلاحقهم من مكان إلى مكان لهذا قرروا الإيقاع به وكشف حقيقته، كانت تمشي سراب في إحدى زقاق المدينة وحدها وفجأة قاطعها مجموعة من الفتية كانت تبدو عليهم أنهم من اللصوص وقطاع الطرق، اجتمعوا حولها وطلبوا منها أن تعطيهم النقود لكن الخوف كان باديا عليها وكانت ترتجف. أمسك أحدهم سكينا وهددها بالقتل إن لم تعطهم المال وفجأة سقط أحد منهم صريعا قد ضربه أحد بحجر على رأسه، والتف اللصوص يبحثون من الفاعل لكن أحد اللصوص أمسك بسراب كرهينة وأخذ يصرخ: من هناك إن لم تظهر سنقتل هذه الفتاة حتى ظهر فتى يرتدي ملابس سوداء وفي يده مقلاع ثم قال بكل ثقة:

. ها قد ظهرت أرني ماذا ستفعل؟

شعر اللصوص بارتباك شديد دفعوا بسراب بعيدا ثم فروا مسرعين عندها استدار الفتى وهم بالرحيل لكن خليل وناسك وقفا أمامه ثم قال ناسك إلى أين؟

أخذ الفتى ينظر من حوله وأراد أن يفهم ما يجري حوله قال خليل باستهزاء:

. لم أكن أتوقع أن خطتي ستنجح هكذا أنا حقا عبقري.

نطق الفتى وقال: هل أوقعتم بي؟

قال خليل كعادته يتكلم بازدراء، سمها ما شئت.

خاطبه ناسك أخبرنا من أنت ولما تلاحقنا في كل مكان؟

قال الفتى كيف علمتم أنني سأنقذ حياة هذه الفتاة، ولماذا وضعتم هذه الخطة؟

رد ناسك: منذ فترة لاحظنا أن هناك أحدا يلاحقنا وكانت سراب هي أكثر شخص انزعجت من الأمر لأنه عندما أكون بمفردي أنا وخليل لا نشعر بشيء وعندما نكون برفقة سراب نشعر أنه أحد ما يلاحقنا وقد أخبرتنا سراب أن هذا الأمر حدث معها منذ زمن منذ أن كانت بين أهلها في القرية وتكرر معها عدة مرات هنا في المدينة، أدركنا أن هذا الشخص يلاحق سراب وأنه لايريد أذيتها، لو كنت تريد ذلك لما لاحقتها منذ زمن دون فعل أي شيء لهذا وضعنا هذه الخطة حتى نتمكن من رؤيتك على حقيقتك.

ضحك الفتى وقال: أحسنتم لم أكن أتوقع أن أقع بين أيديكم بهذه السهولة وبحيلة سخيفة.

. تقول حيلة سخيفة؟ إذا أنت أيضا سخيف حتى تقع بهذه السهولة.

. لاتنزعج ياخليل حتى لاننسى مانحن هنا لأجله.

. لكنه حقا فتى مزعج، أخبرني لماذا تقوم بملاحقة سراب هل أنت من أهل القرية؟

صمت الفتى قليلا ثم قال: إنها قصة طويلة يصعب سردها يوما ما سنلتقي وأحكي لكما.

لاح ناسك بكفه رافعا السبابة وهو يلوح يمينا وشمال بكل ثقة محاولا منع الفتى من الذهاب ثم قال: لن أسمح لك بالذهاب أريد أن أعرف الآن كل شيء.

نطق خليل: نحن أصدقاء سراب ونريد أن نساعدها في معرفة الحقيقة فأتمنى أن تفيدنا بأي شيء تعرفه.

نظر الفتى إلى الجميع وأدرك في داخله أنهم حقا أناس طيبون هدفهم مساعدة سراب لهذا قرر أن يخبرهم بكل شيء، كان الفتى يدعى لامع.

ذهب لامع برفقتهم إلى منزل الجدة وجلس بينهم وبدأ في سرد القصة والكل حوله منصت بشغف تكاد عيونهم لا تغض الطرف من كثرة شغفهم لمعرفة الحقيقة.

. في يوم من الأيام كنت في رحلة مع بعض الأصدقاء كنا داخل غابة كبيرة تنزهنا واصطدنا معا واستمتعنا، لكن فجأة حل ضباب كثيف واختفى الجميع داخل الغابة ولم نعد نبصر شيئا، كنت أمشي دون أن أبصر الطريق كنت أنادي على الكل لكن لم يجبني أحد فجأة تعثرت على حجر وكنت أتدحرج وسقطت من أعلى منحدر فقدت الوعي حينها ولما استيقظت وجدت امرأة جميلة المنظر كانت جالسة بقربي، فزعت من مكاني وإذ بكل عضلة بجسمي تؤلمني نطقت بصوت لطيف لاتتحرك أنت مصاب نظرت من حولي وإذ به بيت صغير منعزل عن الناس في إحدى الجبال وكانت تقربها قرية صغيرة، كان الناس في تلك القرية بدائيين لا تتوفر لديهم أدنى متطلبات الحياة، كنت أنظر من حولي وتلك المرأة تنظر إلي قالت لي لا تخف لن يضرك شيء أنت في أمان ثم إنك مستلقٍ منذ سعبة أيام وكنت أعتني بك لو كنت أريد أذيتك لما انتظرت حتى تستيقظ. بقيت عندها فترة طويلة كانت تعتني بي كثيرا كانت طيبة ولطيفة وكانت جميلة جدا لكن كانت صامتة كثيرا لا تتحدث إلا عند الضرورة، سألتها بحذر: لما أنتي وحيدة في هذا المكان وأين يوجد هذا المكان لم أره ولم أسمع عنه من قبل، نظرت إلي وقالت: أنت في مكان منعزل ماكان ينبغي أن تأتي وما أظن أنك تستطيع الخروج من هنا، في تلك اللحظة انتابني شعور غريب شعرت بقشعريرة في جسدي وخوف تملكني ولم أستطع حتى الكلام، نظرت إليها وقلت: كيف هذا لم أفهم قصدك، قالت لن تفهم وإذا فهمت لن تكون بخير ولن تستطيع الخروج،

حينها صمت ولم أنطق ببنت شفة، مرت أيام وأنا في ذلك المكان لا أستطيع أن أصف المكان لأنني حقا لا أستطيع أن أعبر فقط كل ما أتذكره، ملامح تلك المرأة مرت أيام وأيام كنت جالسا وهي كانت تطبخ الطعام سألتها يا آنسة هل لي أن أسالك؟ استدارت وابتسمت ثم قالت: هل أبدو كآنسة؟ قلت في حيرة لا أعلم فقط ظننت أنه لا أحد يوجد في هذا المكان سواك هل أنتي متزوجة هل لك أولاد؟ عند سؤالي لها تغيرت ابتسامتها إلى حزن كان يملأ عينيها البراقتين، عندها قلت لها لاباس إن كنتِ لا تريدين إخباري، نظرت إلي وقالت لي: أجل أنا متزوجة ولي طفلة جميلة بريئة قد اشتقت لها كثيرا، استغربت أنا وقلت أين هما زوجك وابنتك؟ طأطأت رأسها وقالت هما موجودان في قلبي أذكرهما دائما، قلت إذا مسافران؟ عندها حكت لي قصتها كانت قصة مؤثرة حزنت من أجلها كثيرا.

نطق ناسك وقال:

. ماذا حكت لك تلك المرأة ؟

حينها روى ذلك الفتى القصة كلها وكل ما قالته له، تعجب الجميع مما سمعوا كانت قصة مريبة. تحمس ناسك وقال:

. وما علاقة هذه المرأة بسراب ؟

. عندما كنت مع تلك المرأة في ذلك المكان هي من ساعدتني على الخروج، ذهبنا إلى نفس المكان الذي سقطت فيه عندما أردت الخروج لم أستطع كان هناك حاجز يمنعني من الذهاب كلما أردت الخروج دفعني بقوة إلى الخلف عندها قالت لي تلك المرأة لحظة أعرف كيف يمكنك الخروج أمسكت سكينا وجرحت يدها ثم اقتربت من زهرة كانت في ذلك المكان ضغطت على يديها وسال الدم من يدها

قطرات سقط الدم على تلك الزهرة فتوهجت عندها دفعت بي تلك المرأة في تلك اللحظة لم أتذكر أي شيء فقدت الوعي. وعندما استيقظت وجدت نفسي وسط الغابة لم أستوعب ما حدث لي عدت إلى البيت وأنا في أسوء حال، كنت غائبا عن الوعي لم أعرف ماذا كنت أفعل أو أقول لكن أهلي أخبروني أنني كنت مثل المجنون أهذي بكلام غير مفهوم، كان أهلي يعتنون بي ويعرضون علي طبيبا وراء الآخر حتى استعدت عافيتي لكني كنت أرى تلك المرأة في أحلامي وهي توصيني بابنتها وقتها لم أكن أعرف ماذا أفعل، عندها قاطعه ناسك قائلا:

. وما علاقة هذه المرأة بسراب لحد الآن لم تخبرنا مانريد معرفته.

. تلك المرأة تشبه سراب كثيرا حتى عندما كنت مارا ذات يوم في القرية رأيت سراب اندهشت حين رأيتها كنت أتتبع أثارها وتقصيت أخبارها، أدركت أن سراب ابنة تلك المرأة.

عم الذهول وتغيرت ملامحهم وخشعت أبصارهم، الجميع كان صامتا وكانت دقات قلب سراب تتسارع، ارتبكت وشعرت بتوتر، حينها قال خليل: كيف عرفت أنها والدتها؟

. متأكد من ذلك لأن قصة المرأة تثبت ذلك، قالت المرأة أنها وضعت ابنتها داخل مدخل المغارة أعلى الجبل واكتشفت أن سراب والدها الذي قام بتربيتها ليس والدها الحقيقي وأنه وجدها في نفس المكان لهذا أدركت ذلك.

ذهل الجميع مما سمعوا، سكت الجميع وأخذوا يفكرون في صمت مهيب كأنهم أرادوا تجنب النظر إلى سراب خشية أن يشعرها ذلك بالانزعاج لكن ناسك نظر إلى صديقه وقال:

. أتذكر تلك الصورة، صورة المرأة التي وجدناها في الغرفة؟

. أجل أذكرها، تلك التي تشبه سراب.

نظر ناسك إلى لامع وقال هل كان اسم المراة" حنين"؟

. أجل أجل. كيف عرفت؟ كان اسمها "حنين" واسم ابنتها" جنى ".

كانت سراب كجثة هامدة، تعابير الحزن جعلت وجهها أكثر شحوبا وعيونها السوداء تتلألأ الدموع داخلها، نطقت بكلمة واحدة مليئة بالانبهار "جنى" !! ثم انفجرت بالبكاء كانت تبكي كطفلة صغيرة تبكي بصوت مرتفع وناسك يهدئها، كانت الجدة تنظر ولم تقل أي كلمة ثم قالت: دعها تبكي لعلها ترتاح.

جلس الجميع في بيت الجدة يتبادلون أطراف الحديث يحاولون ربط الأحداث لعلهم يفهمون شيئا مما سمعوا، تدخل خليل قائلا: للامع:

. أكمل لنا القصة نريد أن نفهم ولو القليل.

. كان الكل يعامل سراب بطريقة فضة وكانوا يعتبرونها شبحا، كانوا يقولون أنه تسكنها أرواح شريرة، كنت أراقبها وكانت تتعرض للأذى بدون ذنب، ذلك اليوم رأيت سراب وذلك الرجل السيد عوني يمسك يدها ويجرها بقوة، أشفقت عليها وقررت أن أساعدها لهذا قمت أنا بإخراجها من ذلك المكان عندما كان الحريق يلتهب في ذلك اليوم فتحت الباب واختبأت وعندما وجدتها قد هربت خرجت خلفها مسرعا.

. إذا أنت من أشعل الحريق؟

. لا يا خليل لم أفعل، رأيت شخصان يتقاتلان في ما بينهما، اصطدم أحدهما بقنديل كانت هناك فاشتعلت النار.

قال ناسك إذا لم تكن سراب من أشعلت النار؟ على حسب ماروت لي سراب أن السيد عوني اتهمها بأنها من أشعلت النار وانتقم منها وقتل والداها.

. أجل سمعت بهذا لكن سراب كانت حقا مسجونة حين اندلع الحريق وكنت أنا من فتح الباب من أجل أن تنجو.

قالت سراب متعجبة: إذا أنت من ساعدني على الهروب، وقد شاهدت أنه لم أكن أنا السبب في إشعال النار، لما لم تقل الحقيقة في ذلك الوقت لما تركت الجميع يتهمني بذلك؟

. سراب معها حق لما كتمت الحقيقة.

نطق خليل بنبرة ممزوجة بالغضب، صمتك هذا قد جعل سراب مذنبة وقد دفعت الثمن غاليا.

. أجل لقد أخطأت بذلك لكن مالا تعلمونه أن هؤلاء الرجلان عندما كانا يتقاتلان، كانا يتقاتلان من أجل فتاة، كان الرجلان يأكدان أن الفتاة تشبه سراب وكانت تتشكل في هيأة الرجل الثاني كانت تحاول قتلهما فكان الرجلان يقاومان لهذا كان ظاهريا أنهما يتقاتلان لكن مايراه الرجلان هو الفتاة.

قال خليل بحماس وهو يحاول فهم ما يقوله لامع:

. هل تقصد أن سراب كانت تتشكل لكلا الرجلين.

نطق ناسك وهو مستغرب مما يسمع:

. لم أفهم شيئا !!!!

قال خليل وهو يحاول حل اللغز، كان خليل يشعر بالسعادة في نفسه لأن شخصية خليل المرحة المحبة للمغامرات والغموض جعلته يشعر بالسعادة لأنه التقى بسراب الفتاة الغامضة وخوض المغامرات مع صديقه في اكتشاف الحقيقة.

. سأشرح لك، لنفترض أن الرجلين هم" أ" و" ب"، " أ" كان يرى "ب "على هيأة فتاة تهاجمه و"ب" كان يرى "أ" على هيئة فتاة تهاجمه لهذا كان "أ " يدافع عن نفسه وكان" ب" يدافع عن نفسه.

. شيء مثل الهوس.

. وهذا ما أعتقده يا ناسك

. لماذا كانت تلك الفتاة سراب وأنت قلت أن سراب كانت مسجونة؟

قال لامع وهذا ما جعلني أحتار لكن بغض النظر عما تكون حقيقة سراب كان علي أن أقف إلى جانبها لأن دين والدتها لا يمكن سداده لو عشت العمر كله.

. إذا اكتشفنا أن لسراب أم وما تزال حية، نستطيع أن نذهب لزيارتها قد تخبرنا الكثير.

. لا أظن أنكم تستطيعون ذلك ياناسك.

رد خليل بتعجب: لماذا؟

. لأنني رجعت إلى ذلك المكان باحثا عنها لكني لم أجد شيئا.

حينها قالت الجدة التي كانت تستمع إلى حوارهم بكل صبر، يبدو أيها الصغار أنكم متحمسون جدا لمعرفة الحقيقة، يجب أن تعلموا أن هناك أمور لا يجب أن تكشف والأشياء دون معرفة حقيقتها تكون أجمل.

قال ناسك: ولكن بعد ما سمعناه وكل ماحدث لا نستطيع أن نترك الأمر هكذا.

. لا أعرف الكثير ولكن يمكنني أن أرشدكم ببعض ما أعرف.

نطق الجميع، تكلمي أخبرينا يا جدة.

. أنا لا أعرف هذه المرأة حنين لكن أظن أن ما رآه هذا الفتى لامع مجرد وهم وليس حقيقة.

. ولكني متأكد من أنها حقيقة أذكرها كما لو أنها أمامي الآن.

. أظن أن الأمر يتعلق بالزهرة، شاع كثيرا أن من يقترب من الزهرة يصيبه الجنون ويرى أشياء غريبة.

. أجل ما حدث لي ضرب من الجنون لكني متأكد أن تلك المرأة موجودة.

قاطعهم خليل، لحظة علينا أن نتوقف الآن عن الكلام، أريد أن أفكر بكل شيء و أن نجمع الأحداث لعلنا نصل إلى خيط يوصلنا إلى الحقيقة.

قال ناسك: معك حق ياخليل هذا ما أراه أنا أيضا.

في اليوم التالي اجتمع الأربعة معا في منزل الجدة وبدؤوا يحللون الأمور علهم يهتدون إلى سبيل يرشدهم ويبدد حيرتهم، جلسوا حول مائدة مستديرة وأخرج ناسك ورقة وقلما وبدأ يخط تفاصيل الحكاية ثم قال:

. سنبدأ من أول نقطة وهي سراب طردت من القرية مدعين أنها شبح ووجدت أول مرة عند مدخل الكهف في جبل الأرواح، كل شيء أو عمل فظيع كان يحدث في القرية كانوا ينسبونه إلى سراب.

. مما يثبت يا صديقي أن هناك شخص يشبه سراب يقوم بهذه الأعمال.

. أو أن شخصا يشبه سراب قد مات منذ زمن وأصبح ينتقم من أهل القرية لأنهم أذوه وقتلوه.

رد ناسك: لا أعتقد ذلك يا لامع لأن الانتقام لا يحدث إلا إذا تأذت سراب.

قالت الجدة لسراب: كيف تشعرين أحيانا عندما يظلمك أهل القرية يا بنيتي سراب؟

. أحيانا أشعر بظلم كبير وأحدث نفسي وأقول لو أن لي قوة لما استطاع أحد أن يؤذيني، بعدها يأتيني خبر بأن الشخص الذي أذاني قد تأذى وأنني السبب في ذلك.

نطق خليل بكل حماس، هذا يثبت أن سراب حقا مسكونة بروح شريرة.

عندها تغيظت سراب وبدا الانزعاج على ووجهها.

قام ناسك بقرص خليل وقال محاولا تهدئة الوضع، هل شخص لطيف مثل سراب يستطيع أن يؤذي؟

. آسف يا سراب أنا فقط أحلل الأمر لو كنت أعلم أنك إنسان سيء ماكنت هنا لأساعدك.

. لست ألومك فأنت قلت المنطق فقط، أخشى أن ما قلته صحيح، نظرت إليهم وعيونها مليئة بالدموع أنا حقا لا أريد أن أؤذي أحدا أريد أن أعيش بسلام.

لاطفها ناسك بكلمات، لا تقلقي سيكون كل شيء بخير.

قالت الجدة وكأنها تلح أو أنها مدركة جدا مايجري وكانت تعلم أن أشياء كثيرة تخفيها سراب،

. اسمعي يا ابنتي يجب أن تتعاوني معنا وألا تخفي شيئا على أصدقائك، إنهم حقا يحبونك ويريدون أن يساعدوك، أخبريهم بكل شيء حتى التفاصيل المملة قد تكون ذات فائدة.

. حسنا أنا مستعدة أن أساعد.

بدأ خليل بالسؤال وكأنه أراد ألا يسبقه أحد بسؤالها.

. ماهو أكثر شيء قد أزعجك وأحسست أن فيه شبهة؟

. عندما كنت بمنزل ناسك حقا شعرت بالأمان وأحببت البقاء لكن..

نظر ناسك وقال: لكن ماذا؟

. تلك العجوز والبئر، والد ناسك و الغرفة السرية ، جبل الأرواح، كل هذه الأشياء تزعجني ولا أعرف تفسيرا لها.

قال خليل: إنها حقا متسلسلة ولمعرفة الحقيقة يجب أن ننطلق من أول نقطة، العجوز الضريرة.

. أجل أذكر جيدا أن سراب كانت تتوتر كثيرا عندما نذهب لزيارة الخالة عهد حتى أنها رأت دماء في ذلك البئر.

اندهشت الجدة مما سمعته من ناسك ثم قالت، ماذا دماء؟

قالت سراب أجل كانت هناك دماء.

رد ناسك ولكن لم أكن أرى شيئا وقد كنت واقفا إلى جانبها.

أجابهم خليل، ما رأيكم أن نذهب لزيارة المرأة الضريرة؟

هذا ما اتفقوا عليه أصدقاء سراب، البحث عن الحقيقة وكانت وجهتهم الأولى هي المرأة الضريرة.

في اليوم التالي جاء ناسك ليصطحب سراب معه وأخذا يتبادلان أطراف الحديث، كانت تتحدث وتتنهد، نظر إليها ناسك وقال:

. مابك هل أنت مستاءة ؟

. أجل مستاءة كثيرا أشعر بإحساس غريب.

. بم تشعرين؟

. أحس أن هناك شيء في داخلي يحدثني أنني عشت في زمن غير هذا الزمن.

استغرب ناسك كيف ذلك !!!

قالت لا أعرف أحيانا أشعر أن هناك أشياء قد مرت علي قد عشتها من قبل.

ضحك ناسك وقال: هذا أمر عادي كلنا نشعر هكذا.

قالت حقا أمرغريب ثم سكتت، نظر إليها ناسك وقال بما تفكرين؟

قالت أريد أن أخبرك بشيء، إذا يوما ما قد فعلت شيئا يؤذيك أو يؤذي الأصدقاء فأرجوك لا تلمني لأنني حقا لم أفكر أبدا بإيذائكم.

ضحك وقال: بالتأكيد فأنا أعرفك جيدا لا يمكنك أذية أحد ولكن لما تخبريني بهذا ماذا يدور في خلدك؟

. هذا لأن شيئا ما في داخلي يحرضني على فعل ما لا أريد.

ـ كيف هذا! حسنا إنه أمر عادي نحن بشر لدينا نوازع الخير والشر.

. ولكن أحس أن أحدا حقا يقيدني يريدني أن أفعل مالا أريد فعله، صوت يريدني أن أنتقم و أن لا أغفر أبدا.

احتار ناسك من قولها نظر إليها وسكت، ثم قال هيا لنسرع لابد أن خليل ولامع ينتظراننا.

كانت سراب ترتاح كثيرا لناسك ماجعلها تتحدث بأمور مبهمة، كانت تريد أن توصل له فكرة ما لكن ناسك عقله لم يكن يستوعب ما كانت تشير إليه سراب، ربما لم يرد أن يفهم حقيقة ما يحدث لأنه كان يشعر حقا أنه في حلم، حدثت تغيرات كثيرة في حياة ناسك منذ مجيئ سراب، أحس ناسك أنه مجبر على أن يعيش هذه التفاصيل التي تمر عليه وكذلك أصدقاؤه.

التقى الجميع أمام بيت المرأة الضريرة وأول شيء شد انتباههم هو البئر، خطى خليل نحوه وخطى الجميع خلفه وقف ينظر إلى الأسفل ثم قال:

. البئر جاف ليس به ماء.

نطق ناسك: ماذا؟ ولكني وجدت الخالة تلقي بدلوها كل مرة.

اقتربت سراب وكانت تمسك رأسها بكلتا يديها وقالت وهي تهز رأسها، هناك ضجيج.

نظر الكل إليها وتعجبوا من كلامها.

. لكني لا أسمع أي شيئا، هل تسمع أنت يا ناسك؟

. ولا أنا أسمع يا خليل.

. أظن أن سراب مرتبطة بعالم آخر يمكنها سماع مالا نسمعه !!!

نطق خليل وناسك بصوت مرتفع متعجبين مما قاله لامع ماذا !! عالم آخر.

سمعت عهد ضجيجا بالخارج فخرجت متجهة نحوهم وهي تمسك بعصاها، رآها ناسك و أسرع نحوها.

. مرحبا أيتها الخالة جئنا لزيارتك.

دخل الجميع وجلسوا بقربها، كانت عيونهم وهم ينظرون إلى بعضهم البعض تدور وكأنهم كانوا يريدون أن يبادر أحدهم بالكلام، فهم ناسك من نظراتهم أنهم يريدونه أن يتحدث أولا لأن الخالة كانت ودودة اتجاه ناسك وتعامله معاملة خاصة.

. أيتها الخالة أتمنى حقا أن تساعدينا نحن في حيرة من أمرنا أرجوك، لا تخافي مهما يكن سنحميك.

ابتسمت عهد لقول ناسك وأمسكت يده وهزت رأسها، حينها سألها ناسك بكل حماس.

. نريد أن نعرف منك كل شيء، لما أنت بهذا الحال؟

كان الجميع ينظر إليها وكانت نظراتهم تبحث عن الحقيقة عما هو مخبأ خلف عيون المرأة الضريرة، خلف لسانها المبتور، حينها لوحت المرأة بيدها كانت تبحث عن شيء حولها سألها ناسك:

. ما الأمر هل تريدين شيئا ؟

قامت من مكانها واتجهت نحو سراب، جلست قربها وأمسكت بكلتا يديها لم يفهم أحد ماتقوم به عهد لكن سراب نطقت وقالت: إنها تريد أن تخبرني بما حدث.

سأل خليل سراب، وكيف لك أن تعرفي ما تقول إنها خرساء ولم نسمعها تحدثك.

. بالتخاطر !!

نظر الجميع إلى بعضهم باستغراب، كان كلام سراب غريبا عليهم.

قال لامع: أظن أنني سمعت شيئا كهذا، لا بأس كل ما يهم هو أن نعرف ما تخبئه الخالة.

لكن ناسك كان مندهشا من تصرفات سراب، لقد عرفها فتاة صامتة طول الوقت لم توحي له يوما أنها ذات معرفة بأمور هو يجهلها ثم قال:

. ما هو التخاطر وكيف يتم؟

قاطعه خليل قائلا:

. لا أعرف ياناسك لما دائما أرى علامات الذهول ترتسم على وجهك يجب أن تتعايش مع الوضع كل شيء أصبح الأن في منتهى الغرابة.

أجابه لامع قائلا:

. إنها تقصد التخاطر الروحي على حسب معرفتي فإن التخاطر الروحي هو ربط بين الدماغ والعقل والروح وعندها يمتلك الإنسان القدرة على الانتقال بين العالمين الروحي والمادي، أظن أنه لا أحد يمكنه أن يمتلك هذه القدرة إلا القليل.

. لامع معه حق، الخالة تريد أن تجعلني أتواصل معها روحيا لأستطيع أن أعرف ماذا يوجد في ذاكرتها.

. كأن تسافر عبر الزمن وتعود إلى الماضي وتعيش مع الأحداث التي جرت للخالة.

قال لامع: أظن أنه شيء من هذا القبيل يا خليل ستتصل بذاكرتها الباطنية وسترى كل شيء حدث.

مزال ناسك مندهشا مما يسمعه، لم يستوعب بعد ما يحدث، ثم قال:

. ولكن كيف ولما بالضبط على سراب أن تتخاطر معها ولما لم تختر أحدا منا!

أجابه لامع، هذا لأن سراب لها علاقة بالخالة.

بدا على ناسك القليل من الغضب وقال: ماعلاقة الخالة بسراب أريد أن أفهم ما الذي يجري.

. ألم أقل لك أنك يجب أن تتعايش مع الوضع كل شيء يحدث كل كلمة تسمعها يجب أن لا تسأل عنها يا ناسك.

. ولكن كيف لي أن أكتشف الحقيقة إن لم أسأل يا خليل؟

نطقت سراب، تقول الخالة أن الشيء الذي يجمعنا هو جبل الأرواح.

قال خليل دعنا من الكلام لنرى ما سيحدث، سنفهم كل شيء، بدأت الحكاية رائع.. وأولها جبل الأرواح.

كان الجميع متشوقا لما سيرى وسيسمع كأنهم يعيشون قصة خيالية لم يسمع بها أحد.

جلست سراب على الأرض وأثنت ركبتيها وأغمضت عينيها وتنفست بعمق، جلست الخالة أمامها وأثنت ركبتيها وتنفست بعمق.

التف خليل وناسك ولامع حولهما، جلسا بقربهما متتوقين لمعرفة الحقيقة ومندهشين مما يرون.

كانت سراب تبذل طاقة كبيرة وكذلك الخالة، كانت سراب داخل ذاكرة الخالة ترى ماكان يحدث في ذلك الوقت وكأنها كانت تعيشها لحظة بلحظة ومتأثرة بما تراه.

في تلك الأزمنة كانت الخالة تدرس في الجامعة رفقة أصدقائها و "حنين "كانت صديقتها المقربة ومعها "حازم "و"رامز" كانوا يحظون بأوقات سعيدة، كانت عهد مهتمة جدا بحازم ولكنها كانت تنظر إليه وهو ينظر إلى صديقتها حنين نظرات الاهتمام والشغف، كانت تشعر بالغيرة لكنها لم تبدِ ذلك لأنها لم تكن تريد أن تخسر صديقتها، مرت الأيام وتزوج رامز بحنين لكن حازم كان يشعر بالحزن وكانت عهد تسانده وتقف إلى جانبه بحكم الصداقة التي بينهما ومع مرور الوقت طلب حازم يدها للزواج، كانت فرحة عهد لاتوصف لكن كان هناك حزن بداخلها كانت تعلم أن زواج حازم منها مجرد هروب من تلك المشاعر التي كانت تقيده، مرت الأيام ومر عام على زواج عهد من حازم وقد أنجبت ولدا كان اسمه ناسك، كانت السعادة تغمر ذلك البيت ومرت السنين وأنجبت حنين فتاة جميلة اسمها "جنى"، لم يكن حازم سعيدا كان يظن أنه بزواجه سيستطيع انتزاع حنين من قلبه لكنه كان مع الوقت يزداد شغفا بها وهذا ما جعل الحقد ينمو في داخله، كانت معاملته مع صديقه رامز مجرد نفاق، كان يدعي المودة وفي داخله حقد وكره شديد، عهد كانت تعلم ذلك لكنها كانت صبورة ولم تكن تفعل شيئا سوى الحفاظ على علاقتها بزوجها مع مرور الوقت زاد حقد حازم لرامز وأصبح يخطط لطريقة يجعله يختفي للأبد، كانت عهد تراقبه من بعيد وتعلم بكل مخططاته وفي يوم من الأيام استدعى حازم رامز ليقابله، اتصل به وطلب منه المجيئ لأمر مهم، التقى حازم ورامز في مكان بعيد لم يكن به أحد، وصل رامز وجد حازم ينتظره.

قال رامز ما الأمر؟ لما أتيت بي إلى هذا المكان؟ هل الأمر طارئ إلى هذا الحد!

هز حازم رأسه وقال: أمم طارئ إلى حد كبير.

. قل ما الأمر؟

. أريد أن أطلب منك طلبا فهل ستوافق؟

. بالتأكيد أنت صديقي المقرب، سأفعل ما تطلبه مني بكل رحب.

. هل أنت متأكد؟

. ماذا، هل تشك في صدقي؟

. ولكن هذه المرة أشك بذلك.

. تحدث أنا أسمعك.

. أريد منك أن تطلق حنين.

صعق رامز مما سمعه من صديقه ثم قال:

. ماذا! أطلق حنين هل أنت بخير؟

ضحك حازم بصوت مرتفع وقال: أنا بخير وبكامل قوايا العقلية أريد أن أسترجع ماهو لي.

حينها اشتعل رامز غيضا وامتلأت عيناه بالغضب وأمسك حازم من صدره بكلتا يديه وأخذ ينظر إليه والعروق تكاد تشق جلده من الغضب، وقال بصوت مليء بالحزن والدهشة والغضب.

. هل أنت متأكد أنك بكامل قواك العقلية، أخبرني أنك مخمور، أنك مريض، أنك تمثل أي شيء فقط لأتمكن من العفو عنك ولكن أظن أنك حقا تعي ماتقول.

حينها أمسك حازم بيد رامز ونزعها من على صدره وقال:

. ماذا؟ هل تفاجأت بما قلت؟ ماذا ستفعل إذا عندما تراني أنا وحنين معا. وقبل أن يكمل كلامه لكمه رامز بقوة أسقطه على الأرض ثم انهال عليه بالضرب وحازم يضحك بصوت مرتفع كالمجنون، قام رامز وهم بالرحيل لكن حازم قام بسرعة ولحقه قائلا:

. إلى أين أنت ذاهب؟ ألا تريد أن تعرف لما أتيت بك إلى هنا؟

استدار رامز ثم قال:

. وهل هناك شيء آخر أكثر مما قلته الآن؟

. أجل شيء آخر ألا تريد أن تعرف ماهو؟

. لا أريد أن أعرف لأنني حقا مصدوم مما سمعت كنت أظن أنك صديقي الوفي الذي أعتمد عليه في كل شيء لكن اكتشفت أن كل شيء كان مزيفا.

استدار رامز ومشى خطوات حينها قال حازم:

. ألا تريد أن تعرف ماذا يفعل الصديق القريب، اقترب حازم من رامز وطعنه بخنجر في ظهره. وقف رامز وعيونه بارزة والدماء تتقاطر على الأرض حينها قال رامز بصوت متقطع..

. أجل أعرف ماذا يفعل الصديق المقرب، يطعن بالظهر..

وسقط على الأرض، كانت يد حازم تقطر بالدماء كان يرتجف، لم يقم بنزع السكين حينها أخذ يجره وضعه في سيارته وأخذه إلى بيته، كانت عهد في غرفتها تنظر من النافذة وتفكر في حال زوجها حتى رأته من بعيد كان يجر كيسا كبيرا، أخذت تنظر بتمعن وهو يتخبط مع ذلك الكيس ويجره بقوه ثم ألقى به في بئر كان بالقرب من منزله، نظر يمينا وشمالا ثم دخل مسرعا إلى البيت كانت عهد تعلم أن ذلك الكيس موجود به جثة، شعرت بخوف شديد ثم أسرعت تتبع أثره وجدته داخل الحمام يغسل يديه من أثر الدماء، علمت أنه قام بقتل رامز لأنه هو فقط عدوه اللدود وقد توعد أمامها مرات عدة بقتله، كانت عهد تراقب حازم وكيف كانت حنين تتصل عليه وتطلب منه أن يساعدها في البحث عنه.

مع مرور الوقت وتسارع الأحداث قام حازم بإجبار حنين على الزواج به وهذا ماصدم حنين الصداقة التي بينهما كانت مجردة تمثيلية كان بطلها حازم.

الحسد عندما يتغلغل في قلب الإنسان يعميه عن كل النعم التي حوله، أن يتحول الحسد إلى كره وحقد وغل ثم قتل هذا ما لا يحمد عقباه، كلنا نملك جانبين، جانب خير وجانب شر لكن كل منا لديه القوة على كبح النفس عن الهوى واتباع شهوات النفس التي تأخذك إلى بعيد وتلقي بك في بحر الضياع، تغشي بصرك وتظلم عقلك وترن على قلبك حينها تكون أعمى وأظل سبيلا وماذا بعدها، يأتي الندم لكن الندم أحيانا يأتي متأخرا وما ينفع الندم إِذْ زَلَ القدم.

مع مرور الوقت استولى حازم على أملاك رامز لأنه خطط لكل شيء من قبل، لأن رامز كان يثق بصديقه ولم يكن يعلم ماذا يخطط له، استولى على كل شيء حتى المنزل وأجبر حنين على الذهاب معه إلى بيته بطبيعة الحال "حنين" لم تكن تملك القوة على مواجه حازم لأن الحزن العميق الذي في داخلها أفقدها الرغبة في مواجهة الحياة والصعوبات التي كانت تمر بها لهذا استسلمت.

عندما علمت عهد بهذا انزعجت كثيرا لكنها لم تستطع أن تفعل أي شيء، كانت عهد تريد إخبار حنين بالقصة لكنها كانت خائفة على حياتها، حينها فكرت في خطة تجعلها تعلم دون أن تخبرها.

ذهبت إلى المطبخ وعندما دخل حازم أخذت تتشاجر معه بشأن مجيء حنين إلى بيتها وكانت ترفع صوتها متعمدة ذلك حتى تسمع حنين صوتها والكلام الذي كانت تود قوله لها، حينها واجهت عهد حازم بحقيقة موت رامز وكانت حنين تسترق السمع.

في تلك اللحظة التي كانت سراب تمسك بعهد وتروي ما تراه لكنها لم تكن تحكي كل شيء كان يصعب عليها قول كل شيء تراه كان الكل خاشع البصر يسمعون بتأمل وسراب تتحدث تارة وتصمت تارة، وعندما وصلت الأحداث عند لحظة سقوط حنين من الهاوية كانت سراب تذرف الدموع بغزارة والجميع يبكي متأثرين بالقصة.

عندما عاد حازم يجر خطى الخيبة والحزن وهو يبكي بحرارة لفقدان حنين وقد كان السبب في ما أصابها، وجد عهد أمامه واقفة عند مدخل الغابة عندما رآها فزع وأخذ يمسح الدموع بكلتا يديه نطقت عهد:

. هل ارتحت؟ قمت بقتل أعز صديقين لك في حياتك أخبرني ماذا جنيت؟

لم يتحدث حازم بأي كلمة مشى أمامها خطوة تجرها خطوة لكنها صرخت بأعلى صوتها قائلة:

. حازم إلى أين أنت ذاهب يجب أن تعترف بخطئك إن لم تفعل هذا سأفعل أنا.

لم ينظر إليها، كان ملتفتا إلى الأمام وكانت وراءه ثم قال:

. وماذا ستفعلين؟

قالت: سأخبر الشرطة عن فعلتك.

حينها احمرت عيونه غيضا وغضبا ثم استدار نحوها وأمسكها من شعرها وهي تصرخ، اتركني.. قال لها ساخرا ماذا؟ تريدين أن تخبري الشرطة إذا هكذا؟

جرها بقوة وهي تصرخ وهو يجرها كالمجنون داخل تلك الغابة لم يكن يهتم كان فاقدا لصوابه.

حينها قام بتقييدها بربطة عنقه ثم أخرج سكينا وهم بقتلها وهي تصرخ أرجوك لا تقتلني ماذا عن ناسك ماذا ستخبره، إن علم أن والده قتل أمه سيكرهك مدى الحياة.

ضحك مستهزئا وقال: إذا لن أقتلك ولكن سأجعلك جثة على قيد الحياة.

حينها قام ببتر لسانها وفقع كلتا عينيها وقام برميها ثم انصرف، ظلت عهد وحيدة في تلك الغابة تعاني الأوجاع والآلام.

حينها توقفت سراب، قد خارت قواها ولم تستطع المواصلة وأخذت تأخذ نفسا عميقا، كانت تشعر بالضعف هي والخالة عهد.

نطق خليل: أكملي نريد أن نعرف ماذا حدث.

قال لامع، أظن أن طاقتها قد استنزفت.

لكن شغف خليل لسماع بقية القصة جعله يقول بحماس أكملي، تحملي قليلا..

بعد مرور أيام وعهد في تلك الغابة تجوب بها لا تعرف طريقا ولا تبصر النور، إلى أن وصلت إلى مدخل الكهف، دخلت عهد إلى كهف كان موجودا في ذلك الجبل، كان الكهف مظلما كظلام الليل الدامس لايمكنك رؤية شيء لكنه كان مهيبا حيث لا تستطيع سوى سماع أنفاسك المتصاعدة من الخوف، كانت تمشي بحذر خطوة تليها خطوة وفجأة !!!!..

صمتت سراب نظر الكل إليها وهم ينتظرون أن تكمل كلامها ظلت صامتة قال ناسك:

. مابك؟

فجأة سقطت سراب على الأرض مغمى عليها، هرع الجميع إليها وناسك يقوم بصفعها كي تستيقظ لكن دون جدوى، قام ناسك بأخذها إلى بيته لكي ترتاح جيدا.

مضت ثلاث ليال ولم تستيقظ سراب، كان ناسك وخليل ولامع جالسون في صمت مهيب ويفكرون بكل ما حدث حينها نطق خليل:

. ماذا؟ هل سنبقى هكذا ننتظر أن تستيقظ سراب؟ يجب أن نفعل شيئا ما.

قال لامع: وماذا علينا أن نفعل، ألا ترى حال سراب؟ كل مانريد معرفته موجود داخل ذاكرة سراب يجب أن ننتظر حتى تستيقظ وتحكي لنا مارأت.

. أظن أن خليل محق، لا يجب أن نبقى مكتوفي الأيدي يجب أن نجد الحقيقة.

. من أين المنطلق ؟

. دعني أفكر. لقد وجدتها، المذكرة !

. أجل المذكرة.

سألهم لامع عن أي مذكرة تتحدثون ؟

أجابه خليل: الوقت ضيق سنشرح لك في الطريق.

خرج الثلاثة معا متجهين إلى منزل حازم كانوا مصرين على معرفة الحقيقة دخلوا إلى البيت كانت أم ناسك موجودة هناك.

ألقى لامع وخليل التحية على أم ناسك ثم قال ناسك:

. أمي سأصعد إلى غرفتي أريد أن أدرس بعض الأمور أنا ورفقتي، آآه نسيت هل أبي موجود ؟

. لا ليس هنا لقد ذهب إلى العمل.

صعد ناسك مسرعا مع رفقته وتوجهوا إلى الغرفة السرية، دخلوا في صمت وأخذوا يمشون ببطء ويتبعون خطى بعضهم البعض، كان المكان مظلما، رفع ناسك الباب الصغير الذي كان موجودا على الأرض، نزل هو وصديقاه، أما لامع فقد كان مندهشا مما كان يراه لكنه كان صامتا لم ينطق بكلمة، كان يكتفي بمتابعتهم، اتجه ناسك نحو مكان المذكرة، أصبح الآن يعلم مكانها أمسكها ثم قال:

. ماذا سنفعل الآن؟

قال خليل: هل يجب أن نأخذها معنا أم يجب أن نقرأها هنا؟

. لا يجب أن نقرأها هنا أخشى أن ينتبه لها أبي وسنكون في مشكلة كبيرة.

أردف لامع قائلا: هل كنتم تبحثون عن هذه المذكرة ؟

أجابه خليل، أجل إنها مذكرة خاصة بوالد ناسك.

كانت نظرات لامع إلى المذكرة نظرات غريبة لم يحاول أحد أن يفهم سبب تلك النظرة ثم قال:

. لا أظن أنه سينتبه، المكان هنا يشير على أن لا أحد يدخل هذا المكان إنه مليء بالغبار و خيوط العنكبوت لا يبدو أن أحدا قد دخل هنا ثم انظرا إلى آثار أقدامنا على الغبار لو أن أحدا قد دخل لكانت هناك آثار تشير إلى ذلك.

أخذ ناسك المذكرة في يده وخرجوا جميعا، ذهب الجميع إلى بيت ناسك، كانت سراب حينها ماتزال هناك نائمة في غيبوبة، جلسوا وقام ناسك بفتح المذكرة رغم أنه كان يشعر بالخوف إلا أن إصراره في معرفة الحقيقة جعله يتشجع، تصفح الورقة الأولى والثانية والثالثة كان حازم قد كتب كل ماحدث معه منذ أن كان شابا في سن الدراسة، كان ناسك يقرأ إلى أن وصل إلى الجزء الممزق من المذكرة قال خليل: هنا تكمن الحقيقة كيف لنا أن نعثر على هذه الصفحات الضائعة؟

تحدث لامع قائلا: الأمر أشبه بأن نبحث عن إبرة في كومة قش، أنت قلتها، صفحات ضائعة هذا يعني أنه قد تخلص منها لما قد يمزقها ثم يخبئها.

أجاب خليل: كلامك معقول، لم يبقَ لنا إلا أن ننتظر استيقاظ سراب.

قال ناسك: ألا تريان أن الأمر غريبا بعض الشيء؟

. ماهو الغريب في الأمر ياصديقي؟

. لما هذه المذكرة موجودة؟ لما لم يتخلص منها أبي؟ لما عليه أن يمزق بعض الصفحات؟

. معك حق يا صديقي، أنا لا أفهم لما يكتب الناس ذكرياتهم، هناك ذكريات لاتكتب بل تحفر في أعماقنا.

. ذكريات تحفر في أعماقنا، لقد فهمت.

. فهمت ماذا؟

. الذكريات المحفورة في أعماق قلب أبي هي من تجعله بهذا الحال يعني أنه لم ينسَ أي شي ربما الشعور بالذنب، ربما استيقاظ الضمير هو من يجعله هكذا.

. هل تعني أن والدك قد فعل شيئا مريبا مثلا؟

قاطعهم لامع وقال: ربما هناك مذكرة أخرى غير هذه المذكرة.

استغرب ناسك وقال: ماذا تعني أن هناك مذكرة أخرى يخفيها والدي !!!

. هذا ماقصدته.

استدار لامع فوجد سراب تحرك يدها قال بصوت مرتفع لقد استيقظت سراب..

قام الثلاثة مسرعين نحوها، كانت سراب ماتزال مغمضة العينين تحرك رأسها يمينا وشمالا وكأنها تريد أن تستيقظ من كابوس مزعج.

فجأة فتحت عينيها خاشعة بصرها إلى الأعلى وعيناها قد اتسعت واتسع بؤبؤ العين وصارت عيناها سوداء لايرى للبياض مكان فزع الكل منها ثم قامت وهي تنظر إليهم وهم يرتجفون من الخوف نطق ناسك هل أنت بخير؟

حينها هدأت سراب وعادت عيناها إلى حالها الطبيعي لكنها لم تقل أي كلمة، الكل كان صامتا نطق لامع هل تشعرين بشيء ؟ هل أنت جائعة هزت رأسها توحي أنها جائعة.

قام ناسك مسرعا إلى المطبخ ليحضر لها بعض الطعام.

خليل ولامع جالسان بقرب بعضهما يتبادلان النظرات وسراب جالسة على الأريكة كان يبدو عليها الانزعاج.

حضر ناسك بعضا من الحساء الساخن ووضعه على المائدة و نادى عليها قائلا:

سرااب، سرااب تعالي إلى هنا.

قامت سراب وتبعها لامع وخليل وجلس الجميع على المائدة ينظرون إليها وعيونهم خاشعة نحوها كأنهم كانوا يعدون عدد الملاعق التي قامت بأكلها، وهي كانت منزعجة من نظراتهم، لاحظ ناسك ذلك قام من مكانه وقال:

. خليل، لامع، تعالا أحتاجكما في أمر.

رد خليل أي أمر؟

أمسك ناسك خليل من قميصه وسحبه.

. على رسلك ماهو هذا الأمر؟

ضحك لامع ثم قال:

. لايوجد شيء فقط كان ناسك يريد منا أن نترك سراب تأكل بمفردها.

. أجل هذا ما قصدته، ألم تريا في حياتكما فتاة تأكل؟ ألم تريا كم كنتما مزعجين وأنتما ترمقانها بنظراتكما.

. قل هذا يا رجل، لم أكن أعلم أنك حريص على مشاعر الآخرين.

. ماذا تقصد بكلامك هذا ياخليل؟

رد عليهم لامع: يكفي هراء، علينا أن نجد طريقة تساعدنا على معرفة ماحدث.

. سنتركها ترتاح ثم نسحب الكلام منها هذا مايجب فعله.

. لا حل آخر ياناسك.

. لما أصبحت ترد على كل كلمة أقولها ياخليل؟

. ألا تريان أنكما أصبحتما كالأطفال الصغار تتشاجران على أمور تافهة؟

أنهت سراب طعامها وبقيت جالسة تلتفت إلى الوراء تترقب، لكن الثلاثة كانوا يراقبونها من بعيد كانوا متشوقين لمعرفة ما تحمله سراب من أسرار، كانت في جعبتهم أسئلة كثيرة جلسوا على الأريكة منتظرين قدوم سراب لكن ناسك نادى على سراب وقال: تعالي إلى هنا اجلسي معنا.

تقدمت سراب نحوهم وجلست وهي تضع كفيها على بعض، كان القلق باديا عليها، قال ناسك:

. اسمعي ياسراب، نعلم أنك لست بخير وفي الحقيقة نريد منك أن تخبرينا ماذا رأيتِ أثناء تخاطرك مع الخالة عهد لأنك لم تكملي لنا ماحدث، كنتِ متعبة جدا ثم أغمي عليك.

نطقت سراب بحزن شديد وقالت: لكن الحقيقة مؤلمة جدا.

رد خليل: دائما نعلم أن الحقيقة مرة ومؤلمة لكن يجب أن تكشف الحقيقة يوما لأن إخفاءها يجعل الناس يسيؤون فهم بعضهم البعض.

أجاب لامع، نحن مستعدون أن نتقبل الحقيقة بألمها لأن الفضول يكاد يقتلنا.

نظرت سراب إلى ناسك بعيونها السوداء اللامعة كان فيهم عتب وخوف.

هز ناسك رأسه من الأعلى إلى الأسفل يوحي إلى سراب أن تتحدث.

بدأت سراب تروي لهم كل ما رأت في ذاكرة الخالة عهد ونظرات الخوف والحزن تملأ عيون ناسك.

أنهت سراب كلامها وصمت الكل، كانت سراب ولامع وخليل ينظرون إلى ناسك والدموع تهطل من عينيه، لم يستطع أحد أن يتكلم لكن ناسك كان يشعر بالألم، كان يقول:

. هل أنا أحلم؟ هل ماسمعته حقيقة؟ كل هذا يصدر من أبي ! لا، مستحيل.. أظنك كاذبة، أنتِ تكذبين علي، لابد أنك تضمرين نوايا سيئة أجل أنتِ....

قاطعه خليل: توقف يا ناسك لا أظن أن سراب تكذب، كل ما يحدث يوحي أن كلامها صحيح، إن كنت تريد أن تعرف الحقيقة كاملا اسأل أباك.

قامت سراب من مكانها، كانت حزينة تمشي وهي تنظر إلى الأرض كان الوجع كبيرا لها ولناسك.

في قلب سراب كانت ترى ناسك منقذها، كانت تراه مأوى تهرع إليه إن ضاعت لكن الآن.. أصبحت بينهما ثغرة كبيرة، والد ناسك قام بقتل عائلتها دون رحمة وكان سبب ضياعها وسبب كل وجع عاشته في حياتها، فلم تعرف أهي تدين لناسك بإنقاذ حياتها أم هو يدين لها عن الجرم الذي فعله والده، كانت تمشي إلى أن وصلت إلى الباب، قام ناسك وقال بصوت مرتفع سرااااب !!

توقفت لكنها لم تلتفت، تقدم نحوها وقال إلى أين تذهبين؟

. لم يعد مهما أين أذهب فأنا الآن مثل تلك الورقة التي قلعتها الريح من على الغصن بقوة سقطت على الأرض ضنّا منها أنها ستعود إلى الجذور لكن الجذور اقتلعت.

كانت ملتفتلة تحكي بصوت متقطع حزين والدموع تتساقط على الأرض وناسك خلفها يبكي بحرقة، قال لها:

لا أعرف أي كلمات أقولها تخفف من ألمك لأنني الآن أشعر بألم شديد ولا أظن أن هناك كلمات قد تواسيني فأواسيك بها.

التفتت سراب وقالت بكل ثقة وهي تتحدث بغضب، ولكني مثل الأوراق المتساقطة التي تعود إلى جذورها، هل تفهم ما أعني، أنا لم يعد لي جذور. . ولكني لم أكن السبب في ما حدث حتى أنني مثلك.

قاطعته قائلة: لست مثلي أنت لك عائلة، أصدقاء، منزل، كل شيء.. أما أنا فليس لي شيء سوى ذكريات سيئة، أنا لست سوى فتاة فارة تفر من كل شيء كل هذا بسبب من؟ بسبب أبيك.

تدخل خليل بالحديث قائلا: آسف لأنني أتدخل ولكن حقا أنا أعتبركم كعائلة، يحزنني حزنكم ويفرحني فرحكم، سراب أنت تعلمين أن ناسك أكثر من عاملك بلطف، وما حدث في الماضي لادخل له فيه، لهذا علينا ألا نجعل أخطاء الآخرين تؤثر على صداقتنا، مارأيك أن تذهبي معي إلى بيت الجدة؟ هناك سترتاحين ونحن الثلاثة سنكمل ما بدأناه.

رد لامع: خليل محق، على النفوس أن تهدأ، الغضب لا يصلح شيئا بل يجعلنا لا نبصر الحقيقة.

خرجت سراب ورافقها خليل إلى بيت الجدة، بقي ناسك يفكر في كل ما حدث يمسك بكفيه ومتكئ جبينه على كفيه يبصر إلى الأرض، تقدم لامع نحوه وقال: لاتقلق سنكتشف الحقيقة لكن أظن أن هناك شيء ما خاطئ.

التفت ناسك إلى لامع وقال بتعب شديد: ماهو ؟

. تذكر ماقصصته لكم عند أول لقائنا عن قصة المرأة التي تشبه سراب؟

. تقصد أمها !!! انتبه ناسك ثم قال أجل "حنين" لقد التقيت بحنين هذا يعني أنها حية ولم تمت.

. وهذا ما خطر ببالي، تقول سراب أنها سقطت من الهاوية لكن لم يرَ أحد جثتها يعني أن والدك لم يبحث عنها حين سقطت وهذا ما اعتقده، أنها ميتة لهذا هو يعيش حالة الندم.

. اسمع يا لامع يجب أن نذهب للبحث عن حنين.

. لا أظن أن الأمر سهل، فانا التقيتها صدفة، عدت مرارا لأبحث عنها ولم أجدها.

. لابأس سنجدها مادامت على قيد الحياة سنجدها، ولكن ما يجعلني أتألم أكثر هو كيف أن أبي فعل هذا بأمي لقد عاملها بوحشية حتى الوحوش تحفظ الود بين أزواجها هل يكره أمي إلى هذه الدرجة حتى يعاقبها بهذا العقاب؟

. هل تقصد الخالة عهد؟

تنهد ناسك وقال أجل، كانت أمي تعيش بالقرب مني طول هذه السنين ولكني لم أكن إلى جانبها، لم أعش طفولتي معها، لم أمسك يدها وأرشدها إلى الطريق، لم أطعمها لم.. لم..

أخذ ناسك يبكي ويضع يديه على وجهه ولامع يطبطب على كتفه ويقول له لا تحزن لم تكن تعلم بهذا، الذنب ليس ذنبك.

. يجب أن أذهب إلى أبي وأفهم منه كل شيء.

في اليوم التالي صباحا على الساعة السابعة، اجتمع الثلاثة معا في بيت ناسك، عزموا على المضي قدما في معرفة الحقيقة كل واحد منهم كانت له غاية في نفس يعقوب، اجتمعوا لمعرفة الحقيقة ولكن كل واحد منهم كان يريد معرفة ما تريده نفسه.

قال ناسك: يجب أن أسال أبي عما حدث.

رد خليل: هل تحتاج رفقتنا أم تفضل الحديث معه وحدك؟

قال لامع: أظن أنه أمر عائلي لا يجب أن نتدخل في شؤون العائلة سيكون الأمر محرجا إذا وجدنا هناك.

. لا بأس أنتم أصدقائي المقربون تعلمون كل شيء عني ثم إننا نحقق معا يجب أن تكونوا على علم بكل شيء.

اتجه الثلاثة معا إلى بيت حازم، دخل ناسك وخلفه صديقاه، وجد زوجة أبيه تحضر فطور الصباح وتضعه على المائدة، قالت وهي مبتهجة:

. اه ناسك مرحبا جئت في وقتك تفضل شاركنا الأكل أنت وصديقاك.

أجابها ناسك والانزعاج بادٍ عليه:

. لا رغبة لي أريد أن أرى أبي.

أجابه حازم بصوت خشن وهو جالس حول المائدة يمسك بيده جريدة، أزاح الجريدة من أمام ناظريه ثم قال:

. ماذا تريد من أبيك؟

. أريد معرفة الحقيقة.

. عن أي حقيقة تتحدث؟

. أنت تعرف عما أتحدث.

. ربما أنت منزعج مني لأني قمت بطرد تلك المتسولة.

. أنت محق، الأمر يخص المتسولة كما تدعي.

كانت نظرة الغضب في عيون ناسك تجعل حازم يشعر بالخوف لأنها أول مرة يرى ابنه يحدثه هكذا، فناسك كان شابا هادئا بارا بأبيه وأمه ولا يكاد يسمع صوته في حضرة أبيه فما الذي جعله يتحدث بهذه النبرة المليئة بالغضب؟

. أخبرني يا أبي أين هي أمي ؟

. أمك !! أليست موجودة أمامك؟

. أنت تعرف ماذا أقصد، حدثني عن أمي.

. حسنا، هل جئت في هذا الصباح الباكر لتسألني عن أمك؟

. لم أستطع أن أصبر كانت أطول ليلة قضيتها في حياتي.

. حسنا أخبرتك أن أمك قد توفيت منذ زمن بعيد كانت مصابة بمرض خطير و..

. يكفي، أعلم أن ما تقوله مجرد أكاذيب.

. كيف تجرؤ على التحدث معي بهذه الطريقة، هل نسيت من أكون؟

. أجل لم أنسَ، أنت والدي الذي قام بإخفاء حقيقة أمي عني، حسنا لنقل أن أمي توفيت بمرض خطير، أخبرني اذا ماسبب موت حنين وزوجها؟

اندهش حازم، نظر إلى ابنه نظرة ثاقبة توسعت عيناه الضيقتان وبدأ رأسه يهتز لم يستطع حتى التكلم.

. ماذا، هل ستنكر أنك السبب في موتهم؟ حسنا لا داعي لأن تقول أي شيء، سكوتك هذا ونظرتك تثبت لي صدق ما سمعت.

استدار ناسك وهم بالرحيل، قال حازم بصوت مرتفع توقف!

توقف ناسك وصديقاه كانا واقفين ينظران، لم يقولا أي شيء، وزوجة أبيه كانت تضع يدها اليمنى على فمها وهي تبكي مندهشة مما سمعت.

استدار ناسك نحو أبيه وقال :أخبرني بكل شيء.

. من أخبرك بهذا؟

. هذه من أخبرتني، رفع يده وهو يحمل المذكرة بيده.

انصدم حازم عند رؤية المذكرة ثم قال: كيف تجرؤ على العبث بأشيائي؟ منذ متى أصبحت فضوليا هكذا؟

. منذ أن التقيت سراب.

. تلك الفتاة اللعينة كنت أعلم أنها ستلعب بعقلك.

. لا دخل لها بهذا كله اكتشفت الأمر وحدي.

. أنا لم أكتب بالمذكرة ماقلته للتو أخبرني كيف علمت؟

وجدت الأوراق الممزقة وهناك أشياء غابت عن بالك لم تستطع إخفاءها، لا داعي لأن تخفي الأمر لقد علمنا كل شيء، أريد أن أعرف لماذا فعلت كل هذه الجرائم؟

ضحك حازم وقال: أجل فعلت كل هذه الجرائم لكني لست نادما، أنا من قتل رامز كان صديقي ولكني كنت أكرهه، لا أعرف لما كان أفضل مني أنا أيضا، كنت إنسانا جيدا لكن لم يكن ينظر إلي أحد، كنت أحاول كثيرا، لفت انتباه حنين لكنها لم ترني، كانت ترى رامز وهذا ما جعل الغل في داخلي يتقد مثل اللهب.

لقد أغوتني نفسي ولم أكن أبصر سوى شيئ واحد، هو الظفر بحنين، كنت مستعدا أن أبيد العالم بأسره إن كان سيبعدني عنها، لقد طعنته بخنجر خلف ظهره، الخطأ خطؤه، ما كان عليه أن يلتفت ويدير ظهره مسكين كان يثق بي إنه خطؤه وليس خطئي عندما طعنته رميته في البئر أردت أن أحرق جثته وأرمي برماده في البحر حتى لايكون له أثر لكن عندما نزلت للبئر لم أجد جثته لا أعرف كيف اختفت، حاولت أن أخرجه من رأسي لكنه كان يطاردني في أحلامي حتى في يقظتي أما حنين هي من جنت على نفسها، فضلت أن تموت على أن تكون معي، حتى أنها تركت ابنتها الرضيعة ورحلت هل تشعرون بشعوري؟ أتعلمون أنني طول هذه السنين مازلت أكره رامز؟

. ماذا عن أمي.

. أمك! أمك كانت غبية، كان باستطاعتها أن ترى وأن تقول أنها لم ترَ لكنها عصتني وحاولت الإيقاع بي، لهذا استحقت العقاب.

. وتقوم بفقع عينيها وبتر لسانها؟

. إنها تستحق، كنت أستشيط غضبا ولم تقدرهي ذلك، فكان ذلك جزاءها، أذكر أنني عندما عدت لأبحث عنها لم أجدها لكن بعد مرور شهور وجدتها على حافة الطريق جالسة، أشفقت عليها وجعلتها تعيش في ذلك البيت الصغير.

. تقصد ذلك الكوخ المهترئ؟ ألا يكفي مالقته منك، هل أنت حقا بشر ؟

. أصمت أنا والدك كيف تحدثني هكذا؟

قال ناسك بحزن والدموع تهطل من عينيه الواسعتين:

. والدي! أجل والدي الذي جعل أمي أداة تجارب، أخبرني هل كنت تقوم بعملية تشريح حتى تفقع عينيها وتبتر لسانها بكل برود؟ ألم تشعر بالألم؟ كيف كنت تنظر إليها وهي تصرخ من الألم؟ هل فكرت بي في تلك اللحظة؟ هل تشعر بي الآن وأنا أنظر إليك بهذه النظرة، أنت والدي المجرم الذي أباد عائلة، هي أمي الضحية، ماهو خطؤها؟ هل عليها أن تدفع ثمن غرورك وطيشك وحقدك اللامتناهي؟ إلى متى ستظل هكذا، ألن تعترف بخطئك؟

. أنا لم أخطئ هم من أخطؤوا واستحقوا العقاب.

. هل تظن أننا نعيش تحت قانون الغاب القوي يأكل الضعيف؟ هل يجب أن يموت رامز فقط لأن حنين اختارته بدلا منك؟ وهل يجب أن تموت حنين لأنها رفضت البقاء معك؟

صرخ حازم... أنا لم أقتل حنين هي من رمت بنفسها، حاولت إقناعها لكنها لم تسمعني ولم تهتم حتى لمشاعري.

. وهل هذا سبب لكي ينتهوا بهذه الطريقة المأساوية؟

تقدم حازم يجر الخطى، وضع يده على الأريكة متكئا عليها ثم جلس وأخذ يتحدث..

. أنت لا تفهم شيئا.

. أخبرني كيف كنت تشعر كل هذه السنين؟

تقدم خليل وقال بصوت خافت: آسف لأنني أتدخل ولكن هل لك أن تخبرنا عن قصة الجبل؟ متأكد أن لك علم بذلك.

نظر حازم نظرة دهشة يملؤها الغضب بعينيه الحادتين ووجهه الغاضب برزت فيه تجاعيد الغضب وقال: ما شأنك أنت بذلك الجبل! لا أريد أن أسمع هذا الكلام مرة أخرى أنتم مازلتم صغارا ولا تفهمون شيئا ولا يجب عليكم الخوض في هذه الأمور أخشى أن تهلكوا كما هلك الذين من قبلكم، ثم خرج غاضبا ولم يلتفت وراءه.

كان الجميع صامتا ثم نطق لامع وقال: لما لا نذهب إلى الخالة؟ فمنذ ذلك اليوم لم نرها.

قال ناسك بتردد: لا أستطيع الذهاب.

رد عليه خليل لما! ألا يجب أن تراها وتتحدث إليها.

. حقا، قلبي يؤلمني لا أستطيع أن أراها في ذلك الحال.

. ربما هي تريد منك أن تزورها يكفي ماعاشته من ألم.

قام الثلاثة معا متجهين نحو بيت الخالة "عهد "، كان الباب مفتوحا، دق خليل الباب ودخلوا لكن لم يجدوها هناك، استغربوا جميعا أين يمكن لها أن تذهب، جلسوا ينتظرونها لوقت طويل دون جدوى عادوا إلى بيت ناسك وجلسوا يفكرون في صمت وكل واحد شارد يتحدث في نفسه.

في اليوم التالي اجتمع الثلاثة معا يبحثون في القضية من جديد، ذهب ناسك إلى بيت أبيه كان يريد أن يتحدث معه، دخل وهويفكر كيف يبدأ الحديث معه وجد زوجة أبيه سألها عن مكان أبيه فأجابته أنها لم تره منذ تلك اللحظة التي خرج فيها، استغرب ناسك وخرج مسرعا نحو أصدقائه.

قال خليل: مابك يا ناسك لما وجهك مصفر هكذا؟

قال ناسك: أبي لم يظهر منذ أن خرج في ذلك الوقت.

قال خليل: غريب، وعهد اختفت أظن أنه قام بخطفها.

. مستحيل يجب أن نعثر عليهم.

قال لامع بصوت مرتفع.. سراب !!!

رد خليل سراب !!! ما بها؟

. انظر إنها خلفك.

تقدم ناسك وقال ما الذي أتى بك إلى هنا؟

طأطأت رأسها وقالت باستحياء: أردت أن أعتذر عما بدر مني آخر مرة.

. لا عليك، لننسى ما حدث ونركز على الوضع الحالي.

تقدم خليل نحو البئر، تبعه لامع ثم قال خليل وهو شارد، لما أشعر أن هذا البئر مريب.

تقدم ناسك وسراب نحوه واقتربوا جميعا نحو فوهة البئر يحاولون أن يروا أسفل البئر ذلك الشعور الغريب لم يأت من العدم، فجأة خرج ضوء من البئر كشعاع شمس اخترق سحابة سوداء وإذ بدوامة كأنها إعصار في صحراء رملية تجذبهم وهم يصرخون بأعلى صوت ويتطايرون. ويتلاوحون يمينا وشمالا، لم يكن يتصور أحد أن هذا البئر الغريب قد يجذبهم إلى أعماقه كأنه سمع حديثهم وهم يتخاطرون فيما بينهم يبحثون ويريدون أن يكتشفوا الحقائق المبهمة.

لايوجد شيء أعمق من المشاعر عندما يختلط عليك أمر وتريد معرفة الحقيقة تقيدك المشاعر وتريد أن تتحرر لكن ستسقط في بحر الحيرة، هكذا كانت مشاعر ناسك حين قرر أن يعرف حقيقة مايحدث لسراب، ليجد أن والده العزيز قد كان سببا في الألم الذي تعيشه سراب يتخبط في داخله هل عليه أن يأخذ الحق لسراب أم يلتمس العذر لأبيه؟

وهذا ما تشعر به سراب وهي التي تبحث عن الحقيقة بشغف لتدرك أن أب ناسك سبب ما حدث لها فهل عليها الانتقام أم الاستسلام رغم أنها تعرف معدن ناسك وهو منقذها وقدوتها في هذه الحياة.

أسفل البئر سكون مريب وتحت أشعة الشمس المنبثة إلى أسفل البئر منطرح ناسك غائب عن الوعي حرك يديه وبدأ يفتح عينيه ببطء ليرى أقداما تقف أمامه وهو يحاول النظر جيدا لأن الضباب كان حول عينه، أغمض عينه ثم فتحها وإذ بيد تقترب نحوه وقلب ناسك يخفق بقوة ثم سمع صوت يقول:

. وأخيرا استيقظت..

قام ناسك بسرعة وإذ به خليل انثنى على قدم واتكأ على قدمه الأخرى وقال:

- لقد نمت طويلا أنت كسول يارجل.

نظر ناسك حوله ولم يرَ شيئا سوى ظلام حوله ونظر إلى الأعلى ثم وضع كفه على جبينه ليحجب أشعة الشمس الساطعة التي كانت تعمي بصره ثم قام وقال وهو متعجب: ما الذي حدث؟

. ألا تذكر؟ لقد وقعنا أسفل البئر عندما استفقت لم أجد أحد سواك حاولت إيقاظك لكنك لم تقم لهذا انتظرتك هنا.

. وأين البقية سراب ولامع؟

. لا أعلم عندما استفقت وجدتك بجانبي، وعندما نظرت من حولي لم أجد أحدا.

. ما الذي يحدث كيف علينا أن نخرج من هذا البئر؟

. لا أظن أن هذا بئر، إذا كان بئرا فسنكون في القاع ولكن هناك ممر في هذا الاتجاه لكنه مظلم.

. حسنا يجب أن نجد طريقة للخروج.

تقدم ناسك وخليل باتجاه الممر وهم يمشون ببطء وخطواتهم متتالية، كان المكان مظلما كظلام ليل قاتم وفجآة تعثر خليل فأمسك بناسك ثم انزلقوا وبدؤوا يتدحرجون حتى استقروا بمكان.

قال خليل وهو يلعن حظه: تبا ماهذا الحظ السيئ.

رد ناسك بشعور الملل: لما علينا أن نسقط كل لحظة!

. يبدو أننا سنكون طعاما للوحوش في هذا المكان..

قام ناسك ومد يده لخليل، أمسك به وساعده على النهوض فجأة سمع ناسك صوتا غريبا يتقدم نحوهم، شعر بالخوف وتسارعت نبضاته.

. هل تسمع ما أسمع ياناسك؟

. أنت محق سنكون طعاما للوحوش، حقا نهايتنا بائسة.

اقترب الصوت أكثر وأكثر وفجأة تقدمت يد نحوهما، وأمسكت بخليل صرخ خليل وتبعه ناسك وكان صراخهما يملأ المكان.

ـ هههه ماهذا الجبن، ألهذا الحد أرعبتكما؟

استدار ناسك وخليل ثم قالا بصوت مرتفع.. ماذا لامع !!!!

. لقد أفزعتنا يارجل.

خليل معه حق لقد أفزعتنا، أين كنت لما لم تكن معنا عندما سقطنا؟

. حتى أنا لا أعرف فقط عندما استفقت وجدت نفسي في هذا المكان الغريب بحثت عنكم ولم أجد أحدا.

رد خليل باستغراب، غريب أمر هذا البئر رغم أننا سقطنا معا إلا أننا تفرقنا بطريقة ما.

. هناك شيء أخر، اتبعاني.

سار الثلاثة معا كان المكان مظلما، توقف لامع وتوقفا خلفه.

قال ناسك: ما الأمر !!!!

. انظروا...

وإذ هناك أمامهم بوابة كبيرة تسد النفق وعلى جانب البوابة مشعل.

أمسك خليل المشعل وقام بإشعاله، استنار المكان كانت البوابة عبارة جدار ضخم، قال خليل هذه البوابة رأيتها من قبل، نظر ناسك وقال أين ؟

. رأيتها في الأفلام، إنها تفتح تلقائيا والمفتاح يكون مبهما.

. وهل هذا وقت المزاح !

. أنا لا أمزح فلنجرب.

. كيف سنجرب؟ هيا أخبرني يا مبدع.

زاد الكلام بين ناسك وخليل ولامع علامة الملل بادية على وجهه قال:

. حسنا تناقشا وأنا سأرتاح قليلا، ارتكز على الحائط حينها صدر صوت قوي كأنه صوت الرحى وبدأ الجدار يهتز نظر الجميع إلى البوابة وهي تفتح ببطء، صرخ خليل قائلا: لقد أخبرتكما ولكنكما لا تصدقاني دائما.

دخل الثلاثة ببطء وهم ينظرون حولهم، كان خليل يمسك بالمشعل ويحاول رؤية ماهو موجود داخل ذلك المكان، تقدم نحو الحائط وهو يحاول رؤية ماهو منحوت ثم قال:

. بصوت خافت اقتربا، لقد وجدت أشياء غريبة.

تقدما نحوه وإذ بها رسومات غريبة قال لامع: ماهذا؟

أجاب ناسك وهو يضع يده على الحائط يتلمس تلك الرسومات المنحوتة، إنها تبدو كزهرة.

قال خليل: انظر جيدا إلى هذه الرسومات حولها تشبه وجوه البشر.

قال لامع: أظن أن أحدا ما رسم هذه الرسومات يخبر عن تجربة ما قام بها.

قال خليل: هل تستطيع قراءة هذه العبارات يا ناسك!

اقترب ناسك أكثر وهو يحاول النظر جيدا ليفهم ماكتب ثم قال وهو يقرأ بحروف متتالية: " الناس يسترخون وأزهار العنبر تتساقط، الليل ربيع هادئ، فوق الجبل الخالي"

ردد لامع تلك الكلمات "الناس يسترخون وأزهار العنبر تتساقط، الليل ربيع هادئ، فوق الجبل الخالي" ولكن ما معنى هذا الكلام !!!

. أظن أن المقصود من هذه الكتابة هي هذه الزهرة المنحوتة هنا.

رد خليل بانفعال: لحظة تذكرت شيئا، أتذكرون قصة الزهرة التي روتها لنا الجدة؟

. أتقصد زهرة شبح الأوركيد؟

. أجل يا ناسك، لقد حكت لنا الجدة عن غرابتها ولغزها المحير الذي لم يحله أحد.

أيده لامع قائلا: وأنا أظن ذلك انظروا إلى الرسم جيدا إن شكلها مخيف حقا.

. أظن أنني فهمت قليلا ما يريد أن يوصل هذا الرسام إلى أذهاننا، أظن أن لهذه الزهرة تأثيرا على العقول مما تجعل الشخص يفقد صوابه.

أجاب لامع، هل توجد زهرة كهذه يا ناسك ؟

نظر خليل حوله وقال: بما أنه يوجد مكان كهذا فبالتأكيد توجد زهرة كهذه.

. أظن أن هذه الزهرة كانت مقدسة، انظر إلى الرسومات كيف الناس حولها ينحنون لها ويقدمون لها القرابين.

احتار خليل مما سمعه من ناسك، هل يوجد حقا أناس هكذا ؟

. هذه الرسومات قديمة، في الأزمنة القديمة كانوا ينحتون على الجدران كعهد الفراعنة مثلا.

. معك حق يا ناسك، هذا يدل أن قصة الجدة عن الزهرة حقيقة ولم تكن خرافات، بدأت الأمور تختلط في رأسي.

. معك حق ياخليل كلما اكتشفنا خيطا يوصلنا إلى الحقيقة نتيه أكثر وأكثر.

. أخشى أن نسحب الخيط أكثر فنغرق ولا يمكننا العودة من حيث جئنا.

. هل سنبقى هنا ننظر إلى الرسومات ونثرثر؟ ألا يجب أن نجد طريق العودة؟

. معك حق يا لامع، لنمضي يا خليل.

سار الثلاثة معا يمشون وهم ينظرون يمينا وشمالا إلى الجدران المحيطة بهم وما تحمله من رسومات غريبة وهم يمشون خطوة تليها خطوة وفجأة انشقت الأرض تحت أقدامهم كأنها بوابة وانزلقوا جميعا وهم يصرخون.

هي الحياة هكذا البحث عن الحقيقة تجرك خلف متاهات لا تعرف لها بداية ولا نهاية، بعض الأمور عدم معرفتها تجعلنا نكمل حياتنا بهدوء والتغاضي عنها أمر ضروري.

على أصوات الطيور المغردة الباسطة أجنحتها في السماء وتحت أشعة الشمس الساطعة فتح ناسك عينيه ليجد نفسه ملقى على الأرض، استفاق بسرعة وجد صديقيه بجانبه مغمى عليهم ذهب إليهم وأخذ يوقضهم بكلتا يديه التي كانت ترتجف من الخوف، الخوف مما هو آت، استفاق خليل ولامع كانت الغرابة والذهول تملأ عيونهم، وجدوا أنفسهم وسط غابة مخضرة وبها أشجار كثيفة ذات سيقان طويلة وأغصان متشابكة إذا أبصرت السماء لاتكاد ترى من زرقة السماء شيئا إلا عبر تلك الأوراق التي تتمايل مع هبات الريح، كان المكان هادئا

ليس به صخب غير أصوات العصافير المحلقة في السماء، كان الثلاثة يمشون وهم ينظرون يمينا وشمالا ينظرون إلى كل شيء من حولهم ولا يعرفون إلى أين تقودهم أرجلهم، بدأ الثلاثة يتوغلون داخل الغابة كان الضباب يتسرب ويتسلل ببطء حتى غشيهم وانعدمت الرؤية.

قال ناسك: الضباب كثيف علينا أن نبقى معا وألا نفترق، الغابة واسعة أخشى أن نضيع.

رد خليل بسخرية، أو لسنا ضائعين حقا !

أردف لامع قائلا: هذا المكان مألوف لي كأني شاهدته من قبل لكن لا أعرف أين!

قال ناسك وجسمه يقشعر من الخوف: يا جماعة كأني لمحت طيفا أم أني أتوهم؟

ارتجف خليل وقال بصوت خافت: لا تخفني أكثر مما أنا عليه.

. ظننت أنك لا تخاف فأنت دائما متحمس للمغامرات.

. في الواقع أحب المغامرات ورحلتي هذه معكم جعلتني أشعر بالغبطة ولكن لا أعرف لما أشعر بشعور غريب ربما شعور الخوف، حياتنا على المحك.

. أنت محق، أنا أيضا أشعر أن حياتنا أصبحت على المحك.

نطق لامع، حتى أنا سمعت حسيس أقدام.

عم الصمت لاتكاد تسمع إلا نبضات قلوبهم وهي تتسارع وأنفاسهم تتصاعد، فجأة اخترقت يد بيضاء الضباب الكثيف خلف خليل، أحس خليل ببرود في جسمه لم يتحرك كانت أسنانه تقرع داخل فمه وهو يرتجف لم يستطع الالتفات لكنه صرخ بصوت مرتفع وأخذ يركض يحاول الفرار تعجب ناسك وقال بصوت خافت سراب !

رد لامع مستغربا، هذه أنت أين كنت أين اختفيتِ؟

كانت سراب صامته لم تقل أي شيء.

صرخ لامع بصوت مرتفع: عد يا خليل إنها سراب.

. ماذا، سراب !!!

قال ناسك في حيرة، أين كنتِ يا سراب بحثنا عنك ولم نجدك.

لم تقل سراب أي كلمة كانت تبدو متغيرة جدا.

قال خليل: لما نحن واقفون هكذا؟ علينا البحث عن طريق العودة.

سار الأربعة معا يمشون وكل واحد منهم يحدث نفسه متحير من كل ما يحدث حوله، كان ناسك يقول متعجبا ماذا يحدث؟ لما نحن هنا؟ ولما تبدو سراب متغيرة كأنها تخفي شيئا ما.

حدث خليل نفسه أيضا قائلا: المكان غريب ولا نعرف ما الذي سنلقاه هنا أتمنى أن نعود سالمين.

كان لامع متحيرا أكثر وهو يقول في نفسه، لما أشعر أن المكان مألوف هل رأيته في حلم؟

مشى الأربعة معا لكنهم لم يعرفوا أين المسير، توقف خليل التفت إليه ناسك وقال:

ـ ما الأمر لما توقفت ؟ هل هناك خطب ما ؟

ـ ألا ترون أننا مشينا طويلا إلى متى سنظل نمشي لنرتح قليلا؟

. معك حق لنسترح قليلا.

جلس الجميع وسط الغابة واتكأ ناسك على جذع شجرة كبيرة وأخذ ينظر إلى السماء، كان الكل شاردا في صمت، نظرت سراب إلى ناسك كأنها كانت تحاول

أن تسرق تلك النظرات إليه دون أن يشعر أحد كل ما جال في خاطرها تلك اللحظات التي عاشتها رفقته ولطفه وكرمه ومعاملته الحسنة التي عاملها بها ثم رسمت على ثغرها ابتسامة ظريفة، كان خليل يمسك بعود ويخط به على الأرض كان الملل باديا على الجميع ، نطق خليل قائلا:

ـ أتعرف يا ناسك؟ لم أتوقع أن نجتمع معا وأن نعيش معا هذه الأحداث، كنت أسأل نفسي دائما هل تعتبرني صديقك المفضل؟ في اللحظة التي كان خليل يتحدث فيها كان الكل ينظر إليه باهتمام كانت عيناه تشع يملؤها حزن شديد كانت أول مرة يتحدث فيها خليل بهذا الهدوء كان على غير طبيعته المرحة التي تحب الضوضاء و المغامرات كأنه أراد لناسك أن يسمع مافي داخله.

. أذكر عندما كنا صغارا ندرس في المرحلة الابتدائية كان الجميع يسخر مني لأني كنت ضعيفا في دراستي، كان المعلم يصعدني أمام الجميع ويوبخني، كنت أنظر إلى الجميع وهم ينظرون إلي بسخرية يضحكون ويتبادلون بينهم الأحاديث، أغلقت أذني لأني لم أرد سماع كلماتهم التي كانت كالخنجر في صدري، أذكر جيدا كنت أجلس وحيدا بعيدا عن الجميع جئت حينها ومددت إلي يدك وقلت لي بكل حزم، تشجع ياصديقي ليس عليك أن تكون ضعيفا هكذا وألقيت على مسامعي كلمات عشت بها، كانت كلماتك تردد على مسامعي كل لحظة أضعف فيها، كنت أحاول أن أنجح وأثبت لك أني حقا أصبحت أقوى بفضلك، تخطيت المخاوف في صغري وتحديت الجميع.

ابتسم ناسك وقال: لم أكن أعلم أني كنت أعني لك كل هذا القدر ولكنني سعيد لسماع هذه الكلمات منك.

نطق لامع بكلمات مليئة بالسخرية: حقا أنتم أغبياء أحاسيسكم هذه تشعرني بالغثيان.

. ما الذي تقصده يا لامع هل تسخر من مشاعرنا؟

. دعك منه يا خليل هو يحاول أن يستفزك فقط.

ضحكت سراب ضحكة ظريفة كأنه أعجبها شجارهم ثم قالت:

أنا أحسد خليل أنه يملك صديقا وفيا مثل ناسك.

. الكل يمدحك يا ناسك أنت محظوظ.

. أتشعر بالغيرة يا لامع؟

. لا يا ناسك لا يوجد ما يجعلني أغار منك أنت مجرد رجل عادي.

صمت الجميع وكأن الصمت الذي يعم حولهم تحول إلى ضجيج بداخلهم كل له حديثه في نفسه لكن متى يظهر ما في النفوس؟

قام الجميع واصلوا سيرهم كانوا يمشون بخطوات متأنية فجأة لاح لهم من بعيد بيت صغير، كان ذلك البيت مصنوعا من قصب مثل الكوخ كأنه من عصور قديمة

قال خليل مبتهجا:

. انظروا هناك منزل صغير وأخيرا يوجد شخص آخر في هذا المكان.

قال ناسك، انتظر لابد أنه مجرد سراب أو وهم علينا ألا نثق كثيرا.

قال لامع، انظروا إلى تلك البحيرة.

توقفوا جميعا وهم ينظرون إلى المكان سلبهم جمال تلك البحيرة زبرجدية اللون تعكس خضرة الأشجار، تقدموا نحو الكوخ وهم حذرون جدا بخطوات متأنية أصبحوا لا يثقون بشيء، قال لامع بصوت مرتفع:

. مرحبا هل من أحد هنا؟

أشار خليل بإصبعه السبابة قائلا:

. انظروا هناك قرب البحيرة يوجد شخص جالس هناك.

نظر ناسك متعجبا ها ! لنذهب ونسأله لعله يخبرنا عن هذا المكان.

تقدموا نحوه غير أنه كانت تبدو لهم كامرأة تجلس على حافة البحيرة وهي تمسك عصا وتحرك بها مياه البحيرة، لم يُرَ من ملامحها شيء لأنها كانت ملتفتة لايُرَ منها سوى شعرها الطويل الأبيض الناصع كان شعرها يلامس الأرض وهي جالسة على صخرة صغيرة.

قال لامع: مرحبا أيتها السيدة هل لنا أن نسالك؟

لم تقل المرأة شيئا نظر الجميع إلى بعضهم البعض متعجبين فجأة استدارت نحوهم وإذ بها امرأة يعتري وجهها شحوب ذات وجه أبيض وعينين سوداوتين تلمعان لمعان نجم في سماء مظلمة و شعرها الأبيض الطويل لم يجعل منها عجوزا، لم يكن شيبا على الأرجح كأن تعب السنين جعلها تشيخ، كانت تبدو جسدا بلا روح لما يعتريها من شحوب، كانت ملامحها باهته وترتدي ملابسا ذات لون أبيض، ذات أكمام واسعة طويلة تصل إلى الأرض، شعر الجميع بالخوف من مظهرها لكن ناسك تقدم نحوها وقال:

. نحن آسفون ياسيدة على إزعاجك لكننا تائهون في هذا المكان ولا نعرف أين نحن هل لك أن تخبرينا إذا سمحتي؟

نظرت إليه بنظرات حزينة ثم استدارت وأخذت تردد بصوت منخفض* الجبل الأزرق ليس عجوزا على الإطلاق شعره الأبيض بسبب الثلج، البحيرة الخضراء لا مبالية تجاعيدها سببتها نسمات الهواء *

كانت هذا ماتردده طوال الوقت لم تقل شيئا آخر غيره قال ناسك واليأس يتخلل روحه:

. لنذهب لا جدوى.

رد لامع، انتظر ما معنى كلماتها!

رد خليل، مجرد كلام المكان غريب حتى بالأشخاص الموجودين فيه لنذهب ولا نضيع وقتنا.

هم الجميع بالسير لكن سراب بقيت واقفة شاردة وأخذت تردد ما كانت تقوله تلك المرأة "الجبل الأزرق ليس عجوزا على الإطلاق شعره الأبيض بسبب الثلج، البحيرة الخضراء لامبالية تجاعيدها سببتها نسمات الهواء"

استدار ناسك وقال: ما الأمر يا سراب هل هناك شيء ما! ما الذي تقولينه ياسراب؟

قال لامع، سراب معها حق أليس علينا أن نفهم ماتقصده هذه المرأة بكلامها؟

نطق خليل وقال: أظن أن هذه الكلمات لغز.

قال ناسك لما لا نحاول فك هذا اللغز؟ لعله السبيل لخروجنا من هذا المكان.

رد خليل، ما المقصود بـ" الجبل الأزرق ليس عجوزا "لاحت سراب بيدها إلى الأعلى نحو جبل كانت به قمه شامخة، نظر الجميع مندهشين نطق خليل، إذا هي تقصد الجبل انظروا يغطيه بياض في أعلى قمته، هذا ما قالته شعره الأبيض بسبب الثلج وماذا عن "البحيرة الخضراء لامبالية تجاعيدها سببتها نسمات الهواء"

قال لامع انظروا إلى البحيرة إنها تقصد هذه البحيره أنظروا إلى حركة المياه النسمات الخفيفة التي تهب تشكل تموجا وسط البحيرة أظن أن هذا ما تقصده إنها حقا مثل التجاعيد إنها حقا تصف البحيرة بكلمات رائعة.

قال ناسك، أنت محق هذا تحليل منطقي ولكن هل تظنون أن هذا ما تقصده؟

. أظن أنها أحبت أن تصف المنظر فقط.

رد ناسك، لا يا لامع أنظر إليها منذ أن أتينا وهي تردد هذه الكلمات ولا تتوقف كأنها آلة داخلها مسجل.

قال خليل، معك حق لهذا قلت أن هذا الأمر كله لغز محير.

. كأننا داخل حلم.

رد لامع بستغراب يفكر في ما قاله ناسك، ماذا داخل حلم !!

قال خليل: لنذهب لعلنا نجد طريق العودة.

سار الجميع معا وهم يحملون في قلوبهم مخاوفا كبيرة من مستقبل مجهول وهم لا يعرفون إلى أين تقودهم أقدامهم وماهو مخبأ لهم وماذا سيعترض طريقهم.

هكذا الحياة، هناك من رسم طريقه وخطه ومشى عليه بعزم وهناك من أخذتهم غفلة تجاربها منهم من فشل ويأس ومنهم من فشل وقاوم، لا بل اعتبر أن الفشل هو بداية طريق النجاح وأنه لا يوجد للفشل معنى في قاموسهم، بل كل شيء بالنسبة لهم تجربة يتعلم منها ليقوى أكثر وأكثر في مجابهة الحياة.

سار الأربعة معا وكل واحد منهم يخالجه شعور غريب ممزوج بالخوف والرهبة بينما هم يمشون تأخذهم أرجلهم دون إرادة منهم وإذ بهم يلمحون شجرة كبيرة شامخة طولها يعانق السحاب تكاد تصل عنان السماء، أغصانها المتفرعة بعض الغصن يميل على الغصن كأنه يحضى بالدلال. وبعض الغصن متشابك بالغصن الآخر كأنهما في شجار والأوراق الخضراء الزبرجدية تتراقص على نغمات النسيم كألحان الناي والعصافير المغردة على أغصانها تارة تطير وتارة تعود.

توقف الجميع أمامها وهم ينظرون إليها تكاد رقابهم أن تنكسر، كانوا ينظرون وأبصارهم خاشعة من هول ضخامتها وطولها وجمال منظرها.

قال ناسك وهو ينظر إلى أصدقائه، هل ترون ما أرى أم أني أتخيل ؟

ضحك خليل قائلا: وماذا ترى ياصديقي أنا لا أرى شيئا سوى شجرة ضخمة الأمر عادي فهي مجرد شجرة لم نرَ أشباحا أو أشخاصا غرباء كتلك المرأة التي قابلناها من قبل.

رد لامع: معك حق لكني أشعر أن هذه الشجرة مخيفة أكثر من تلك المرأة انظروا إليها بتمعن أكثر.

تقدم ناسك نحوها وقال، انظروا ماذا يوجد على هذه الشجرة هناك كتابة منحوتة عليها.

. ماذا؟ كتابة، بدأت الإثارة ياصديقي.

. عن أي إثارة تتحدث ياخليل، هل يبدو لك الأمر ممتعا إلى هذا الحد؟

. أنت دائما تضخم الأمور ياناسك، لا تخف لقد اجتزنا الكثير من المصاعب، نحن لها ياصديقي.

رد لامع بغضب، أنتم دائما تتناقشون في الأوقات الحرجة لنقرأ ماهو منحوت على هذه الشجرة.

تقدم ناسك بوجهه متمعننا في الكتابة يحاول أن يفهم ما هو مكتوب لكنه عقد حاجبيه متعجبا ثم استدار نحوهم وقال: أنا لم أفهم هذه الكتابة إنها لغة غريبة وغير ظاهر ما بها لا أكاد أنسق الحروف مع بعضها.

وضع خليل يده على كف ناسك وسحبه إلى الوراء وتقدم أمامه وأخذ يحاول فهم ماهو مكتوب لكنه هز رأسه يمينا وشمالا ثم استدار وقال:

. هذا أشبه بأفلام الخيال لقد كنت أتفرج على هذه الأفلام الخيالية ولم أظن أنني يوما ما سأعيش هذا الدور، آآه أشعر بسعادة كبيرة. قاطعه لامع قائلا: إن كنت لا تستطيع معرفة ما هو مكتوب لما تثرثر بلا فائدة.

انزعج خليل قائلا: أنا أثرثر؟ هل تسخر مني؟ قاطعتهم سراب صارخة.. هذا يكفي.. توقف خليل ولامع عن الكلام نظرا إلى بعضهم البعض باندهاش ثم نظرا إليها وهما واقفين ومندهشين ليس من عادة سراب أن تكلمهم هكذا بل استغربوا أنها نطقت لأنها كانت طول الطريق صامتة تقدمت نحو الشجرة ووقفت صامتة ثم قالت بصوت منخفض: " يجب أن تكملوا ما بدأتموه"

استغرب الجميع وقال ناسك في نفسه: نكمل ماذا ؟ وما الذي بدأناه ؟

تقدمت سراب ونظرت إلى لامع وقالت: ألم تزر هذا المكان من قبل؟ قال لامع باستغراب أنا لا أذكر أني زرته.

. ولكني أشم رائحتك في هذا المكان.

. ماذا أنا.. تشمين رائحتي ثم ضحك بصوت مرتفع هههه إنه أمر عادي أن تشمي رائحتي ربما العطر الذي أضعه قوي.

. لا إنها رائحة دمك.

حل الذهول على وجهه وتغير لونه وتعثرت الكلمات فوق لسانه وهو يقول ددددم.. ماذا تقصدين بكلامك؟

لم يقل ناسك وخليل شيئا سوى أنهما كانا كحالة الغائب عن الوعي مستسلمين لما يحدث حولهما ثم تقدمت سراب نحو لامع وقالت له:

. ضع قطرة دم على هذه الشجرة يجب أن يكملا ما بدؤوه.

حدث ناسك نفسه قائلا: لماذا تردد سراب هذا الكلام مرة ثانية لم يستطع ناسك أن يفكر كان مشوش الذهن والأحداث من حوله تجري بسرعة.

قام لامع بِعَضّ إصبعه فخرج الدم منه ثم وضع قطرة على جذع الشجرة، فجأة تغير لون الجذع البني إلى لون أسود قاتم وأخذ اللون الأسود ينساب داخل الشجرة كأنه يمتص لونها فأصبحت الشجرة يابسة ليس عليها أثر للحياة، تناثرت الأوراق لم يعد لها مأوى أصبحت الشجرة مجردة من ثيابها ولونها.

خرج ضوء من رحم الشجرة كسيف بتار شعاعه كاد يذهب الأبصار، لم يستطع الجميع تحمل شدة الضوء، وضعوا أيديهم على عيونهم يحاولون حماية أبصارهم فجأة خفت الضوء و تلاشى

هدأ كل شيء وكأنه يريد منهم أن يهدؤوا ويتنفسوا ليستوعبوا ما حولهم.

أزاحوا أيديهم التي كانت تغطي عيونهم ثم نظروا مرة أخرى إلى الشجرة، سرعان ما انبثقت كتابة وسط جذع الشجرة بلون أبيض مشع، تقدمت سراب بخطوات متأنية محاولة أن تقرأ ماهو مكتوب قالت بصوت هادئ: " تاه الخريف بين الأوراق المتناثرة هي تشكو قسوة الريح وهو يرجو لمة الربيع المعاتب، هل العتب على الريح أم على الشجر " ثم سكتت.

قال خليل: ماهذه الكلمات إنها تشبه كلمات تلك المرأة هل تظن أنها لغز أيضا؟

رد ناسك: إنها كلمات حزينه أشعر أن هذه الشجرة تئن.

نظر خليل إلى ناسك ولوح بيده أمام عينه وقال لماذا أصبحت تتحدث مثل سراب؟

قال ناسك محاولا أن يفهم معنى الكلمات: " تاه الخريف بين الأوراق المتناثرة " كأن الخريف حزين لرؤيته إلى تلك الأوراق التي كانت تزين الأشجار والأرض بخضرتها ثم قال: "هي تشكو قسوة الريح "،الريح الذي قلعها من الشجر وجعلها تتطاير في الهواء، ثم قال:" هو يرجو لمة الربيع" ثم سكت ناسك وقال: انظروا هذه الكلمات كتبها شخص ما وهو يقصد أن يوصل رسالة إلى شخص ما.

نطق خليل وهو غاضب: على رسلك يا رجل لم أفهم شيئا أخذت تكثر الحديث دون فائدة.

قال لامع: فهمت قصد ناسك هذه الكلمات كتبها شخص ما لصديقه، الخريف والربيع هما صديقان. الربيع يعاتب الخريف كأن الربيع اتهم الخريف بأنه هو السبب في ذبول الأزهار والأوراق.

قال ناسك: أجل قولك صحيح والخريف يخبر صديقه الربيع بسؤاله هل العتب على الريح أم الشجر.

قاطعهما خليل قائلا: أها لقد فهمت ثم وضع يده نحو ذقنه وهو يلوح بإصبعه نحو شفتيه عاقدا حاجبيه يفكر وكأنه يعصر مخه ثم قال بصوت مرتفع: اووه لم أفهم شيئا الكلمات مبسطة أكثر من شرحكم.

. سأشرح لك بطريقة مبسطة اسمع:

. أظن أنه حوار بين صديقين يخبر أحدهما الآخر أن ما حدث بينهما من شجار أو قطع وصال لم يكن هو السبب فيه بل في علاقتهم الهشة التي لم تكن قويه كما أعتقد وذلك في قوله: هل العتب على الريح أم على الشجر، حيث أن الأوراق لو كانت متمسكة بالشجر لم تكن الريح لتعصف بها أي لو أن العلاقة القوية التي تملؤها المحبة و الثقة القوية ماكانت لتتفكك وأن الأسباب التي أدت لفراقهم لم تكن السبب الحقيقي.

. الآن فهمت قولك يا ناسك !!

صفق لامع ثلاث تصفيقات متتالية وقال: أحسنت الوصف، الأسباب التي أدت إلى فراقهم لم تكن هي السبب الحقيقي ولكن الثقة بينهم لم تكن وثاقا متينا.

كان تصرف لامع غريبا، انتبه خليل إلى حركاته وهو يصفق لناسك و يسحب بشفتيه المنطبقتين من يمينه إلى الأعلى وعيونه الضاحكة استهزاء، هذا مارآه خليل، أما ناسك اقترب من صديقه وهمس له في أذنه وقال: استعد للأسوء ياصاحبي !! الغوص في بحر الغموض والبحث عن الحقيقة هذه المتعة التي شعر بها خليل في أول لحظة قرر فيها مصاحبة صديقه ناسك ليست كما توقعها وناسك الذي بات يشعر أن على كاهله عبء ثقيل هو حماية أصدقائه قبل نفسه يجعل منه شابا قويا متمسكا بمبادئه ولكن هل كل الظروف تجعل منك شخصا قويا أم أن بعضها يكشف عن حقيقة أخرى مكنونة في النفوس !

لم يجد ناسك فرصة ليسأل لامع عن سبب قطرة الدم التي وضعها على جذع الشجرة لأنه فجأة تغير الجو، رفع الجميع أبصارهم إلى الأعلى خشعا، تلبدت السماء الزرقاء بالغيوم فالتحمت السحب السوداء بالسحب البيضاء كأنه لقاء بين أحباء يحتضن بعضهم البعض فصارت رمادية كأنها لوحة لفنان وما أبدع خلق الله، انبثق البرق يشق طريقه كأنه خيوط من نور يتشعب في كل اتجاه، وأتبعه صوت الرعد يدوي يسبح بحمد ربه كأنها الطبيعة تنطق، وأصبحت الطيور في السماء تصدر أصواتا وكأنها فارة من شيء، حل الظلام في وضح النهار فلم يعرف هل الليل ليل أم النهار نهار؟ عصفت ريح شديدة ثم توقفت وبدأت الغربان تحوم في السماء وهي تصدر صوتا مزعجا، ماعساهم يبصرون حار فكرهم ذهلت عقولهم أرادوا أن يستوعبوا مايحدث.

كانت أول قطرة تقع على وجه ناسك لم يشعر ببرودتها، لم يكن الجو باردا إلى ذلك الحد ثم أتبعتها قطرات، لم يفكر أين يختبئ لم يكن يهمه أن يبتل.

كان الجميع ينظر إلى السماء والكل ينتظر ما الذي سيحدث قال ناسك وهو منزعج: صوت هذه الغربان مزعج، أخرج من جيبه منديلا ورقيا وأخذ قطعه منها وسد بها أذنيه لأن صوت الغربان كان يصدر ضوضاء كبيرة فجأة اختفت الشجرة العملاقة وتلاشت مع الظلام وتناثر غبارها المتلألئ حول المكان كيرقات مضيئة وظهرت مكانها زهرة جميلة كانت تشع نظر الجميع إليها وحدقة عيونهم كانت كالمرآة تعكس صورة الزهرة وهي تشع.

قال ناسك: ياالله ما أجمل هذه الزهرة انظر إليها ياخليل.

. أجل، معك حق لم أرَ بجمالها.

غير أن عيون سراب كانت غير ذلك فقد كانت عيونها حمراء حتى البؤبؤ الأسود في عينيها أصبح أحمرا، نظر إليها ناسك وقال: ما الأمر ياسراب هل تشعرين بشيء؟

قالت سراب وهي ترتجف: أشعر أن أمرا سيئا سيحدث.

بدا على ناسك الخوف ثم تذكر قصتها في جبل الأرواح وما كانت تشعر به، أحس أن قدميه لا تحملانه من الخوف لكنه حاول أن يصمد ولا يظهر خوفه أمامهم.

قال لامع بكل ثقة: لم يكن خائفا، كان هو سيد الموقف، قال ألا تعرفون ماهي هذه الزهرة؟ وأخذ يضحك باستهزاء هههه إنها الأسطورة التي حكت عنها لكم الجدة.

قال خليل باستغراب: حقا؟ لا أصدق، لم أعتقد أني سأراها يوما.

. معك حق يا خليل لم أعتقد أنا أيضا أن أراها ولكن كيف وصلنا لها هكذا.

. لماذا تثرثرون هكذا؟ لم يكن سهلا أن يصل إلى هذه الزهرة أي أحد ولكنكم الآن أمامها، ألا ترون جمالها؟ إنها حقا كنز حقيقي.

قال ناسك: لماذا هي تشع هكذا؟ إن شكلها حقا مخيف، رغم جمالها إنها حقا تشبه الضفدع، إنها مثل الشبح مخيفة.

قال لامع: هي حقا مخيفة لكنها قوية مزالت تحافظ على جمالها رغم هذه السنين.

. انظر إليها يا ناسك إنها تتحرك كأنها تتفتح.

. أجل يا خليل ولكن ماهذا؟ بتلاتها تحتضن مرآة.

تفتحت الزهرة وظهرت مرآة داخلها كانت تشع كأنها شمس.

. انظروا إنها مرآة.

. أظن أنها مرآة وهمية، انظر إلى تلك الذرات المتلألئة إنها تتموج وكأنها لهب.

. إنه جوهر الزهرة.

ماذا تقصدين بكلامك هذا ياسراب، جوهر الزهرة؟

. أجل هذه الجوهرة روحية وهي عبارة عن مرآة تعكس روح الإنسان، لقد علقت أرواح كثيرة داخل جوهر هذه الزهرة لأنهم لم يستطيعوا التحرر من القيود التي تحيط بهم.

. قيود؟ أي قيود تقصدين؟

. منذ زمن بعيد كان الحقد يغذي قلوب كثير من البشر حتى أصبحوا لا يملكون الرحمة ولا الشفقة في قلوبهم فأصبحوا لا يميزون بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ وكانوا لا يفعلون إلا ما يرضي أهواءهم فسيطر عليهم الشر وصارت هذه الغابة وهذه النباتات شاهدا لكل جرائمهم وأخطائهم فأصبحت جزءا من أرواحهم.

أترون هذه الزهرة؟ كانت مجرد زهرة عادية يتهافت الناس من أجل النظر إليها والتمتع بجمالها إلى أن سقيت بدم البشر حينها تحولت إلى شبح روحي يأسر كل روح شريرة حاقدة وأصبح الجبل مسكنا لهذه الأرواح.

قال ناسك: لكن لماذا كل هؤلاء موجودون هنا؟

. إنهم داخل عالم الزهرة أي أنهم يعيشون الوهم، كل ما يعيشونه الآن ليس حقيقة إنما وهم يعكس ماهو موجود في نفوسهم، الشر الذي يسيطر عليهم يمنعهم من الخروج من الوهم حتى يتغلبوا على أنفسهم.

. هل تقصدين أنهم الأن مأسورين داخل الزهرة ولن يستطيعوا الخروج مالم يتمكنوا من التغلب على أنفسهم؟ هذا يعني أن الذين اختفوا كل هذه السنين موجودون داخل هذا الوهم ولكن لما أنت تعرفين كل شيء.

لم تقل سراب أي شيء ولم يكن هناك وقت ليستفسر ناسك أكثر، ظهر أمام الجميع صور وأشخاص داخل المرآة حينها قال خليل:

. هذا يعني أن الجميع الذين اختفوا، العم حازم والخالة عهد وربما حنين من يدري لعل زوج حنين أيضا، كلهم موجودون داخل هذا الوهم.

هز ناسك رأسه وقال: من يدري لعل كلامك حقيقة.

كان الكل منفعلا مما رأى غير أن لامع شعر بشيء من الخوف وهو يرى نفسه داخل المرآة رفقة صديقيه المقربين لكنه أراد حقا أن يرى ما تريد المرآه أن تجعله يرى.

قال خليل: من الشخصان اللذان يرافقانك يا لامع؟

عينا لامع كانت جامدة لم تتحرك وكأنه ممغنط ولم يقل أي كلمة أراد فقط أن يرى، كأن بركانا تفجر داخله واندفعت حمم الشوق تتناثر من كل صوب لكن من احترق هو فؤاده.

اجتمع الأربعة معا ليروا أمام أعينهم مالم يتوقعوا أن يروه، كانت أول مرة يرى فيها ناسك شيئا كهذا، كان يرى صورا حيه تتحرك وتتحدث داخل تلك المرآة التي كانت تعكس لهم ما في باطنها قطرة الدم التي تفاعلت معها الزهرة جعلت الجميع يرى ما حدث مع لامع وكأنها توغلت من يد لامع الى داخل ذاكرته الحيه أخذ لامع يتحدث ويحكي لهم ما يرونه أمامهم وكأنه كان يترجم لهم ما يرون.

. منذ زمن بعيد كان لي صديق وكذا صديقة كنا حقا أصدقاء رائعين لقد كبرنا معا وكانت لنا أحلام، كنا نكبر معا ونسعى في تحقيقها، ذات مرة كنت أنا وصديقي عاصف نتمشى، توقفنا عند مكان في إحدى الشوارع الشعبية حيث كان يجتمع في المقاهي الرجال الكبار والشيوخ وكانوا يلعبون لعبة النرد ويتبادلون الأحاديث بينهم، شد انتباهي حديث كان بينهم، جلست أنا وصديقي عاصف على طاولة بالقرب منهم كان بين الجمع رجل كبير له لحية بيضاء طويلة وكان كثيرا ما يمسكها بيده وكان ضيق الجفون وحاجباه كثيفان يغطيين عينيه قال وهو يخاطب الجمع من حوله: هل سمعتم عن تلك الزهرة؟

. أجل سمعت عنها، كثير من الناس يذهبون للغابة من أجل رؤيتها.

. ولكن الغريب في الأمر أن لا أحد يجرؤ على قطفها.

. حتى أنا أستغرب من ذلك.

. اسمعوا جميعا، سمعت أن تلك الزهرة مسكونة، إنها مثل الشبح ولكن من يستطيع قطفها سيكون له حظ وفير وسيكون له شأن عظيم.

. أظن أنها مجرد خرافة، ما الذي تستطيع زهرة أن تقدمه؟ الذهب أم الفضة؟ دعك من هذا.

. إنني صادق في ما أقول، الزهرة ليست عادية.

حينها نظرت إلى صديقي عاصف وقلت: هل تسمع جيدا؟ ما رأيك بالأمر.

. أجل، أنا أسمع.

. ما رأيك أن نخبر سديم بالأمر؟

اجتمعنا مع سديم وأخبرناها بما سمعناه لكن لم يكن لسديم أي ردة فعل كأنها كانت تعلم بالأمر قالت لهم:

. وماذا إذا؟ هل تريدون أن تحصلوا على الزهرة من أجل الحظ؟ هل تظنون أن مجرد زهرة ستجعلك ذا حظ عظيم؟ عليكم أن تدركوا أن العمل الجاد والإتقان والسعي خلف أحلامكم أفضل من التصديق بخرافات قالها عجوز خرف.

حينها قلت سأذهب وسأحضر لك الزهرة كهدية وحتما ستصدقين كلام العجوز الخرف.

. سأذهب معك ياصديقي.

قالت سديم بصوت مرتفع وكانت متحمسة، إذا أتمنى لك حظا طيبا ياعاصف.

في تلك اللحظة شعرت بشعور كان أقوى مني، لا أعرف ما كان ذلك الإحساس، هل شعور بالحسد أو الغضب لما تمنت له الحظ، بينما أنا سخرت مني وقالت أني أسمع كلام عجوز خرف.

عزمت أن أصل أولا إلى الزهرة وأن أكون الأفضل، قررنا الذهاب وعزمت على أن ترافقنا سديم في رحلتنا حينها قاطعه ناسك قائلا: انتظر..

. كأني سمعت بقصة كهذه من قبل.

. ظننت أنك حقا شخص أحمق.

رد خليل: إنها تشبه نوعا ما القصة التي حكت عنها الجدة من قبل.

. أجل إنها نفسها.

. هل تقصد أنك أنت كنت..

. أجل أنا هو برق.

حل الذهول على وجه ناسك وخليل ثم قال خليل:

. من أنت وماذا تريد منا ؟

. ألا ترى أني أحكي لكما فلما تقاطعانني؟

عندما دخلنا الغابة كان كل شيء هادئا، بحثنا عن الزهرة في كل الأرجاء، أذكر جيدا خيمنا في تلك الغابة وأوقدنا النار واجتمعنا حولها، كنا نتسامر ونتذكر طرائفا كثيرة مضحكة لكن نفسي كانت توسوس لي، أردت أن أكون المنتصر الأقوى لهذا أردت أن أكون السباق لقطف الزهرة أذكر حينما اقتربت من الزهرة كانت تشع، شعرت بالعظمة والقوة أحسست أنها كانت تغريني أكثر لأقترب منها وفجأة غزتني أفكار شوشتني، كنت أتذكر كل لحظة ضعف عشتها في حياتي أحسست أن صوتا داخلي يحدثني ويأمرني وعلي أن أطيعه، فقدت السيطرة على نفسي وكل ما كنت أفكر فيه في تلك اللحظة هو القضاء على صديقي عاصف، كنت أشعر نحوه بغضب شديد.

قاطعه ناسك قائلا: أذكر ماروت الجدة، جرى بينكما شجار ولكن سديم كانت الضحية.

نظر لامع إلى ناسك بغضب شديد وعيونه محمرة تكاد الدموع أن تغلبه ثم قال: أجل كانت ضحية ويجب أن أنتقم لها وأجعل الجميع يدفع الثمن.

. ضحك ناسك باستهزاء وقال: من يجب أن يدفع الثمن ؟ أظن أنك فقدت صوابك ألست السبب في ذلك؟

. اصمت ما الذي تعرفه؟ أنت لم ترَ شيئا ولم تسمع فكيف لك أن تتحدث هكذا وبهذه الطريقة؟

. حسنا أنت محق، ولكن لما على الجميع أن يدفع الثمن؟ لقد قتلت سديم بسبب طيشك أنت، وأنت الذي يجب أن تدفع الثمن، لأنه إن لم تمت سديم في ذلك الوقت كان عاصف هو الذي سيلقى حتفه وبكلتا الحالتين أنت مسؤول عما حدث.

. ولكن عاصف كان يستحق تلك الميتة.

تغير وجه ناسك ثم قال: هل تقصد أن عاصف قد مات في ذلك الوقت؟

. هههههههه وهل تظن أنني سأتركه ينجو؟

عندما كانت تحتضر سديم كانت تقول كلمات مبهمة قالت: * انفعالنا بدون سبب عبارة عن صراع في داخلنا دام كثيرا ولم نستطع أن نبقيه مسجونا بداخلنا في النهاية كنا حقا كالإخوة ولم أتوقع هذه النهاية لكني حقا قضيت أوقاتا رائعة برفقتكم ولن أندم على صحبتكم * لم أكن أريد أن أصغي إلى ما تقول، أردت أن أنقذها فقط لكن كلماتها ظلت في أذني كل مرة أسمعها أشعر بالجنون.

ـ كانت تقصد بكلماتها أن الانفعال دون سبب هو يعبر عن ذلك الشر المكمون في النفوس كانت تريد أن تخبرك أنها كانت تعلم ماكنت تخفيه ومع ذلك كانت تعتبرك حقا أخا وصديقا.

ـ ما الذي تقصده يا ناسك؟ هل سديم كانت تراني سيئا وكانت تعلم عن نواياي؟

وبغضب شديد صرخ لامع: ولكن كيف لك أن تفهم ما قالت؟ أنا لم أفهمه منذ سنين كان يتردد في مسمعي من أنت لتفهم قولها؟

ـ كلامها مفهوم أنت فقط تغلق على قلبك ولا تريد أن تفهم، أنت لاتريد أن تتقبل نفسك، دائما كنت تشعر بالنقص فقط لأنك كنت ترى أن عاصف أفضل منك.

. اصمت أنا لم أكن أره أحسن مني، الجميع كان يرى ذلك أنا فقط كنت أحسده.

. ولكن لديك بالتأكيد ما يميزك عن عاصف ولم تكن ترى ذلك في نفسك لهذا لن يستطيع أن يرى أحد ذلك فيك، كان عليك أن تتقبل حقيقتك، لقد أوجدنا الله وجعل فينا الاختلاف ولولا الاختلاف ما كانت الحياة جميلة.

. اصمت ما الذي تعرفه أنت، أنت فقط تثرثر أكثر من صديقك الغبي سأجعله يقتلك وستشعر بالألم الذي شعرت به.

ـ كيف قتلت صديقك عاصف؟

ـ عندما ماتت سديم قمنا بدفنها بالقرب من مكان الزهرة، أسندت ظهري على جذع الشجرة وبقيت أفكر فيما حدث، كان عاصف يجلس بالقرب مني، كان شارد الذهن، كان حزينا جدا لكن كان هناك صوت يحدثني ويقول لي: كيف لك أن تحل هذا المشكل إن خرجت من الغابة سيخبر عاصف الجميع بما حدث وسيتهمونك بقتل سديم، سيسجنوك أو ربما يقتلوك وسيصبح عاصف في نظر الجميع الشخص البريء وسيصبح الأفضل والأفضل وأنت ستبقى كما أنت، لا شيء حينها فكرت في أن أقضي عليه حينها تقدمت بالقرب منه ثم قلت له هل أنت راضٍ الآن لقد قمت بقتلها وارتحت أليس كذلك؟

نظر عاصف إلي باستغراب وكانت عيونه مليئة بالحزن ثم قال: أنا قتلتها !! أوليس أنت السبب في ذلك؟ حينها قمت بخنقه وقلت هكذا إذا كنت تريد الوشاية بي أنت تعلم أنني لم أقتلها ومع ذلك تريد أن تتهمني بذلك، أنت حقا صديق رائع لقد ظهرت نواياك سأقضي عليك ما فائدة بقائك على قيدالحياة، أخذ يختنق وهو يمسك بكلتا يديه يدي ويحاول نزعها في الواقع كان يستطيع أن ينزع يدي لكني شعرت أنه كان يريد أن يموت ربما أراد أن يحملني عبئا ثقيلا لكنه كان مخطئا،

نزعت يدي حينها ثم قمت وقلت له: لن أقتلك، لن أدنس يدي، اذهب ولا تلتفت وراءك.

قال لي: لما لا نعود معا هذا المكان خطير وهذه الزهرة خطيرة حقا إنهم كما تحدثوا عنها لنعد وننسى أمرها، في تلك اللحظة كنت حقا عازما على تركه دون أن أؤذيه لا أعلم ما الذي حدث بالضبط كانت يدي تنزف لم أذكر كيف أصبت في يدي لكني خمنت أنه بسبب ذلك الشجار الذي جرى بيننا من قبل، كنت أرى تلك الدماء تتقطر وتسقط على الأرض قطرة تليها قطرة، لكن كانت الأرض تمتص تلك الدماء، عادة ما تبقى الدماء على السطح لا تمتصها الأرض ذلك ما شد انتباهي وفجأة كانت الجذور الملتوية على الأشجار تتحرك واتجهت نحوي ولم أشعر حتى كيف التفت حولي، كنت أصرخ وأقول: ساعدني يا عاصف لكنه لم يكن يأبه لي، لم أعرف حينها أكان يسمعني أم لا، وازداد غضبي أكثر وأكثر نحو عاصف، كنت أظن أنه لا يريد مساعدتي ويريدني أن أموت، كانت الجذور الرقيقة المتشعبة التي كانت تلف الأشجار في ذلك المكان والتي كانت تلفني، انفلتت تلك الجذور من حولي حينها قمت نحو عاصف وصرخت في وجهه قائلا: هل تريد أن أموت؟ هل هذا ما تريده؟

ـ ما الذي تقصده لم أفهم؟

. ههه هل تظنني أحمقا؟ لقد كنت تراني وهذه الجذور تلتف حولي ولم تحرك ساكنا.

ـ هل أنت جاد بقولك؟ أنا لم أرَ ذلك، لقد رأيتك واقفا تنظر إلى الزهرة شارد الذهن، تحدثت إليك لكنك لم ترد علي لم أشأ أن أزعجك.

ـ أنت كاذب، لقد كنت تنظر إلي وأنا على حافة الهلاك ولم تحرك ساكنا كنت تريدني أن أموت هذه هي حقيقتك، شخص منافق لن أتركك تنجو هذه المرة، عندها تقدمت نحوه وقمت بطعنه وقع على الأرض وهو ينزف كنت متوترا جدا لم أتوقع أن أفعل ذلك بصديقي كان ينظر إلي ثم قال: ما الذي غيرك هل كنت هكذا طول الوقت وأنا كنت أجهل حقيقتك حقا، الأمر لم يستحق كل هذا العناء إنها مجرد زهرة.

لم أعرف ماذا علي أن أفعل كان هناك صداع رهيب لم أستطع السيطرة.

ـ قال خليل: وماذا عن كل ما حدثتنا به عن لقائك بحنين وما علاقتك بسراب؟

لقد كذبت عليكم جميعا، لدي هدف آخر تبعتكم من أجل الحصول على ما أريد.

لا يوجد شيء أصعب من قيود النفس، أن تغزوك أفكار وتسيطر عليك فتصدقها وتعيش بها فيضيع عمرك في وهم لا حدود له.

كانت تلك حقيقة برق الذي ادعى أنه لامع، كان الجميع ينظر إليه وكيف لتلك الدموع المنسكبة من مقلتيه لم يعرف أحد سبب تلك الدموع أهي ندم أم حزن على حاله، اقترب خليل منه وهو يتحدث بكل حزم قائلا:

. ما حقيقتك يا رجل؟ لما أخفيت كل هذا عنا، لا أصدق أنك برق الذي حكت لنا عنه الجدة.

رد ناسك على كلام خليل قائلا: هناك أمر غريب..

. ماهو الغريب يا ناسك؟ ألا ترى أن كل شيء أصبح أكثر غرابة منذ أن دخلنا هذا العالم...

. لقد حكت لنا الجدة القصة وكانت تبدو منذ سنين، لما لامع مزال في سن الشباب ولم يكبر أليس هذا أمر غريب؟

. أجل معك حق كان من المفترض أن يكون الآن رجلا طاعنا في السن.

تقدمت سراب نحو لامع وضعت يدها الرقيقة على كتفه ثم نظرت إلى ناسك وخليل وأردفت قائلة: هذا لأنه داخل الوهم .

بدا على ناسك وخليل التعجب، حاجباهما المرتفعان إلى الأعلى وعيونهم التي توسعت كأن عقلهم يريد استراحة، حينها قالت سراب لناسك:

- إن كنت تريد معرفة الكثير عليك أن تدخل إلى عالم الوهم.

. ولكن أنت قلتي أنه عالم الوهم يعني أن الحقيقة لا توجد داخل الوهم.

. يمكنك أن تسيطر على عالم الوهم إن كنت قوي النفس لا يغريك شيء وعليك أن تكون ذكيا ونبيها.

. انتظروا.. بدأت أفهم قليلا، إذا نحن داخل الوهم الذي تشكله الزهرة هذا يعني أن كل ما حدث ليس حقيقة.

. ما الذي تقصده يا ناسك؟

. هذا يعني أن حنين لم تمت ورامز حتى صديقتك سديم وصديقك عاصف لم يمت أي أحد منهم يالامع إنما هو تأثير الوهم، كانت الزهرة تجعلنا نشعر وكأننا نعيش اللحظة.

. غريب! يبدو كلامك منطقيا، لقد عشت عمرا طويلا داخل هذا الوهم ولم أفهم مافهمته أنت.

. لكن إن كان هذا وهما فما هي الحقيقة ؟!!!

. اسمع ياناسك، لا يهمني إن كان هذا وهما أم حقيقة كل ما يهمني أن أكمل ما بدأته.

لفتت كلمات لامع الذي هو نفسه برق انتباه ناسك وتذكر سراب حينما كانت واقفة أمام الشجرة، ثم قالت للامع: عليك أن تكمل ما بدأته، شعر أن في الأمر لبس وأن سراب تعلم الكثير لكنه رفض أن يصغي إلى ذلك الصوت الذي في داخله.

في تلك اللحظات كانت سراب هي سيدة الموقف، كانت تتحدث بكل ثقة وكأنها ليست سراب الفتاة الخجولة الهادئة، قالت لناسك:

لا أعرف كيف علي أن أجيبك يا ناسك ولكن سيأتي من سيجعلك تفهم أكثر.

. ماذا سيأتي! ولكن هل سيأتي أكثر من هذا؟

رد خليل: لا ياصديقي كنت أحب المغامرات ولكن الآن أصبحت أشعر بشعور مخيف.

سراب التي كانت تتبع خطاهم أصبحت الآن هي سيدة الموقف تأمرهم بكل حزم، كلماتها المليئة بالثقة وهي تنطقها قائلة:

. هل تريدون معرفة الحقيقة؟ هل ستكملون ما بدأتموه ؟

نظر خليل إلى ناسك كأنهم يتحدثون بعيونهم ويفهمون لغة عيونهم، هز ناسك رأسه يوحي لخليل أنه موافق، هز خليل رأسه يوحي لصديقه أنه معه ثم قال ناسك بكل حزم:

. أجل، نريد معرفة الحقيقة.

فجأة أخذت الزهرة تتموج وحبات الذر تتلألأ وتتطاير في السماء، ظهرت دوامة في السماء كأنها بوابة لعالم آخر كانوا يشعرون كأن مغنطيسا يجذبهم للأعلى وفي لمح البصر انبثق ضوء قوي من وسط الدوامة واختفى الجميع.

الوهم الذي يعيشه ناسك لم يكن يبدو له كذلك، لقد كان يشعر بكل تفاصيل الحكاية، كان يعيش بقلبه وروحه والحقيقة التي أصبح يبحث عنها لم تعد هي نفسها التي يبحث عنها الآن وجد ناسك نفسه يغوص أكثر وأكثر في غموض لم يعرف له نهاية، كانت حكاية ناسك كرواية يكتبها كاتب ولم يضع لها نهاية، هل على ناسك أن يكتب النهاية بنفسه، لم يدرك ناسك بعد ماذا عليه أن يفعل.

على ضفة النهر حيث تتلألأ المياه وخرير الماء وصوت طائر الحسون يضفي هدوءًا عجيبا كان ناسك مستلقيا على الأرض، فتح عينيه المرهقتين، كانت جفونه تفتح تارة وتغلق تارة يبذل جهده ليستفيق، قام من مكانه وأخذ ينظر من حوله، ما كان يراه لم يكن حلم، تلك المناظر الخلابة التي كان يراها أمامه وصوت الطيور المحلقة باسطة أجنحتها تحلق بسلام، والأشجار الشامخة تخبرك ألف قصة والأرض تلبس حلة الربيع، لم يكن يصدق ما يراه، في تلك اللحظة نسي أنه داخل وهم وأخذ يمشي كان يجرالخطى لم يكن يعرف أين يذهب وماذا يجب أن يفعل، كان يحدث نفسه وهو يمشي في طريق لايعرف إلى أين قد تكون نهايته.

. كل شيء جميل في هذا المكان لكنه مخيف أكثر وهو يكتسي هذا الجمال.

فجأة مرت عربة يركبها رجل لا يبدو عليه كبر السن لكنه كان يرتدي ملابسا رثة بالية ويضع على رأسه قبعه، كان يمسك بيديه حبلا متينا كان مشدودا على رقبة حمار لم يكن الحمار يجري كان مترجلا، شعر ناسك بسعادة كبيرة لأنه أخيرا قد وجد شخصا يمكنه مساعدته أو أنه كان يستوحش المكان فآنسه وجود شخص، أخذ يلوح له بيده حتى توقفت العربة أمام ناسك.

. مرحبا سيدي هل لك أن توصلني؟

. إلى أين تذهب؟

لم يعرف ناسك ماذا يقول لأنه حقا لا يعرف إلى أين يذهب.

. ليس هناك وجهة معينة فقط خذني إلى وجهتك.

ركب ناسك في العربة ولا يعرف ما الذي ينتظره، أخذ يحدث نفسه وهو منطرح على تلك العربة وهي تتأرجح به كلما تعثرت العجلة بالصخور التي تملأ الطريق.

. لم أعد أفهم أي شيء لما كل هذا! هل هذا حلم أم حقيقة ؟ أين اختفى الجميع؟ متى أستيقظ من هذا الكابوس؟

توقفت العربة، قام ناسك من مكانه ينظر حوله لكنه زاد استغرابه في اعتقاده أن الرجل ذاهب إلى قرية ما لكنه توقف عند بيت صغير لا يوجد به سكان، نزل من العربة ثم أخذ ينظر حوله، لحق بالرجل يريد أن يسأله لكن الرجل لم يكن مهتما بناسك.

. مهلا هل لي أن أسألك، أين أنا ولما جئت بي إلى هذا المكان؟

توقف الرجل ثم استدار نحو ناسك وقال: أولم تقل أنك ستذهب في وجهتي؟ وهذه وجهتي.

. عفوا أتمنى أن لا أكون قد أزعجتك ولكني لا أعرف أي أنا بالضبط.

. أنت كما ترى.

. هل لي أن أمكث عندك بعض الوقت؟

لم يقل الرجل أي كلمة، لحقه ناسك ودخل بيته لم يكن البيت كبيرا كان ذا غرفة واحدة بها سرير بالٍ مهترئ يكاد يتحطم فقط إذا جلست عليه، وموقد على زاوية الغرفة ومائدة مربعة الشكل حولها مقعدان.

سأله ناسك هل هذا هو بيتك؟ إنه صغير جدا، آآه نسيت أن أعرفك على نفسي أنا أدعى ناسك.

نظر الرجل باستغراب إلى ناسك ثم قال: ما الذي جاء بك إلى هذا المكان هل أنت تبحث عن الحقيقة أيضا؟

كلام الرجل جعل ناسك يتفطن ثم قال: هل تقصد أن أحدا غيري قد جاء إلى هذا المكان؟

. لقد جاء الكثير، الكثير من الناس لكنهم ضاعوا.

. ماذا تقصد أنهم ضاعوا، أين هم وكيف اختفوا؟

. أنت تسأل كثيرا على رسلك، قد سألوا مثلك لكن لم يستطع أي أحد أن يجد أجوبة لما سألوا.

صمت ناسك ولم يقل أي كلمة، أخذ ناسك يحدق بعينيه الواسعتين نحو أرجاء البيت على ذلك السرير المهترء، بدا شخص ما نائمًا، كان يحاول أن يرى بوضوح من يكون ذلك الشاب حينها سأل الرجل وقال:

. عفوا هل هذا الشاب قريبك، هل هو مريض؟

. لقد وجدته وسط الغابة وقمت بإسعافه، كان على وشك الهلاك.

تقدم ناسك خطوات ليجد ملامح مألوفة، تمعن النظر قليلا ثم قال بصوت مرتفع بإنفعال كبير: ماذا؟ "خليل " !! التفت إلى الرجل وقال: إنه صديقي ولكن لما وجهه متغير هكذا ماهذه البثور على وجهه؟

نظر الرجل إلى ناسك بنظرات استغراب، كان يرى الخوف الشديد في عيني ناسك سأله قائلا: هل يهمك أمر هذا الشاب ؟

تقدم ناسك خطوات وانحنى على ركبتيه، وضع يده على جبين صديقه الذي كان يتصبب عرقا ثم قال:

. إن جسمه محموم أخشى أن تؤثر عليه الحمى ثم التفت إلى الرجل وقال: هل يمكنك مساعدته؟ لن أنسى صنيعك ماحييت إذا ساعدته.

. وبما ستكافئني؟ لا يوجد شيء دون مقابل.

. اطلب ما تشاء.

. هل يمكنك أن تقدم لي الكتاب؟

. كتاب؟ أي كتاب تقصد؟

. حسننا كيف جئت إلى هذا العالم؟

. اسمع ياعم، قد جئت أنا ورفاقي إلى هذا العالم دون أن نشعر كنا نبحث عن حقيقة صديقتنا لكن أصبحنا الآن نبحث عن حقيقتنا، حقا لأول مرة أرى هذه الأماكن وأسمع بهذه القصص، عالمكم غير عالمنا أشعر أن هذا العالم متأخر جدا عن العالم الذي نعيشه الآن لم أسمع بأسماء هذه القرى ولا الغابات ولا هذه الجبال، لا يوجد مدن، لا سيارات ولا مباني ولا أجهزة كأني في زمن العصور الغابرة، ثم كيف لزهرة عادية أن تقلب الموازين وتتحكم في عقول البشر وتسيطر عليهم هكذا؟ هل تعلم يا عم لقد اختفى الجميع ولا أعلم كيف أجدهم ولا أصدق أني وجدت خليل على هذا الحال ولا أعلم كيف حال سراب ولامع الآن.

. هل أنت مهتم لسلامة أصدقائك؟

. بالتأكيد الأمر لا يتعلق بأصدقائي حتى أبي وأمي كلهم اختفوا.

. ألم تسأل نفسك لما افترقتم هكذا ولما لست معهم الآن؟

. وكيف لي أن لا أسأل منذ أن التقيت تلك الفتاة سراب وأنا أسأل وكلما وصلت إلى الإجابة وجدت نفسي تهت أكثر وأكثر، الأمر أصبح متعبا للغاية.

. ربما الأمر متعلق بك.

. كيف ذلك وما شأني أنا بالأمر؟

. لا أعرف بالضبط بما أخبرك ولكن على حسب الأشخاص الذين مروا من هنا من قبل كانت لهم علاقة في سبب مجيئهم إلى هذا العالم.

. أجل لقد اخترت أنا وصديقي خليل أن نساعد سراب على إيجاد حقيقة عائلتها.

. لا أقصد هذا.

. ماذا تقصد؟ لا تخبرني المزيد من الألغاز !

. ألم تلتقِ من قبل بشيء ما جعلك تدخل هذا العالم؟

. ماذا تقصد ؟ أي شيء !!

. تذكر جيدا عندها ستجد الحل.

زاد تفكير ناسك وانشغل باله ولم يعد بستطاعته التركيز أكثر أصبح كل شيء معقدا، كانت تلك أول مرة يشعر فيها ناسك بالتعب ليس تعب الجسد إنما تعب الروح، أراد أن يستسلم لكن صوت في داخله كان يجعله يقوى، حب الخير للناس ورأفة قلبه، أصله الطيب جعله أقوى لأنه أحب الخير لناس.

قام ناسك من مكانه وهو يسأل نفسه، تقدم نحو الرجل وقال: كيف جئت إلى هذا العالم؟ كان يسأل نفسه لأنه حقا لم يجد وقتا يسأل نفسه هذا السؤال، كانت الأحداث متسارعة لم يكن له وقت ليفكر في ذلك ثم قال:

. في الواقع لا أعرف كيف جئت إلى هذا العالم كل ما أذكره هو أني جئت أنا وأصدقائي عبر ذلك البئر، أجل لقد جذبنا إلى داخله.

. حسنا يبدو أنك لا تعرف أي شيء، بما أنك شاب طيب وتسعى لمساعدة صديقك سأساعدك.

شعر ناسك بالغبطة ثم قال: حقا ستساعدني؟ شكرا لك.

. اسمع يا فتى..

. أدعى ناسك.

. ناسك، اسم جميل، اسمع أيها الشاب صديقك مسموم.

ارتبك ناسك مما سمع وقال بصوت مليء بالخوف كان يرتجف وكأنه لا يعرف ما يقول: مسموم !!

. أجل لقد أصيب بسم قوي وقد يكون هذا السم قاتلا.

. لا تقل هذا، مستحيل أن يموت صديقي مستحيل، لا يمكن ذلك.

. لا تقلق، أحاول اكتشاف نوع السم حتى أجد له ترياقا.

لم يكمل الرجل كلامه حتى شعر بيد تمسكه بقوة كانت يد ناسك، كانت عيونه تشع خوفا ورغبة قال بكل ثقة:

. افعل ما استطعت وسأبذل جهدي في مكافأتك.

. لا تقلق سأبذل جهدي.

كان ناسك يشعر بالندم لأنه كان يحمل نفسه ذنب ما حدث لصديقه عادت به الذاكرة في تلك اللحظة التي طلب من صديقه أن يساعده في معرفة حقيقة سراب وكيف أن خليل كان مستعدا لمساعدته والوقوف إلى جانبه.

كان ناسك ينظر إلى الرجل الذي كان يدعى "زرياب" لم يكن يبدو عليه الكبر ملامحه توحي أنه في سن الخمسينيات، لم يتمكن ناسك من أن يسأله عما يدور في خلده، كان يكتفي في أن يساعد صديقه خليل.

زرياب كان منشغلا جدا وهو يقلب تلك القارورات الصغيرة المملوءة بالتريقات المختلفة، لم يستطع ناسك أن يزيح ناظره عن زرياب وهو يمسك بالقارورة وينظر إليها عن كثب ثم يضعها ومن ثم يمسك الأخرى كان يبدو عليه الاهتمام، انتاب ناسك فضول كبير وأراد أن يسأل:

. عفوا يا عم؟

. يمكنك مناداتي" زرياب " هكذا أشعر براحة كبيرة.

. أها "زرياب "ولكن لما ستشعر بالراحة إذا ناديتك باسمك؟

. بكل بساطة أعيش هنا وحدي أكاد أنسى اسمي فلا أحد يناديني باسمي.

صمت "زرياب " ثم أمسك قارورة بيده ثم نظر إلى ناسك نظرات ثاقبة وقال بكل ثقة:

. منذ فترة طويلة لم يأت أحد إلى هنا يبدو أنك صادفت ذلك الكتاب.

. عن أي كتاب تتحدث؟

. حسنا ستفهم هذا فيما بعد.

. أريد أن أسألك هل تظن أن أفعى لدغته؟

ضحك زرياب من كلام ناسك، في تلك اللحظة علم حقا أنه غريب عن هذا العالم ثم قال:

. لا دخل للأفعى في هذا، صديقك تعرض لسم بعض الزهور.

. ماذا، زهور ! وهل الزهور يمكن أن تلدغ ؟

. لا أعرف بالضبط ما الذي حدث مع صديقك ولكني أريد أن أعرف نوع الزهرة التي تعرض بسببها إلى هذا السم.

أمسك زرياب كتابا كان بيده، كان مرسوم على غلاف الكتاب زهرة، لم يشعر بالغرابة لأنه حقا رأى هذه الرسمة من قبل ورأى الزهرة كذلك سأل ناسك زرياب قائلا:

. أليست هذه زهرة الأوركيد؟

نظر زرياب إلى ناسك وقال:

. أتعرف هذه الزهرة!

. أجل أعرفها لقد رأيت هذه الرسمة من قبل ولكني لا أذكر أين رأيتها، ثم إني التقيت بتلك الزهرة الأسطورية لا أعرف بالضبط ولكن أشعر أني داخل وهم، لقد أخبرتني سراب أننا سندخل الوهم.

. إذن أنت تعلم أنك داخل جوهر الزهرة.

. إذا حقا أنا داخل جوهر الزهرة لا عجب في ذلك، في الواقع ظننت أني سأكون داخل حديقة مليئة بالزهور لكن هذه الزهرة غريبة حقا.

. إنها روحية تؤثر على العقول أكثر مما تظن.

. أخبرني ماذا يوجد في هذا الكتاب؟

تصفح زرياب الكتاب أمام ناسك كان حقا مهتما أن يعرف عن هذه الزهرة، كان ناسك كثير الفضول حاول أن يسأل زرياب عما يدور في خلده، تنهد ثم سكت.

نظر زرياب إليه وأدرك ما يدور في خلده ثم أردف قائلا:

. تريد أن تسأل عن هذا الكتاب أليس كذلك!

. في الواقع أجل إني أرى على الغلاف رسمة واحدة لزهرة الأوركيد، داخل هذا الكتاب ماذا يوجد؟

. سأجيبك رغم أني حقا لم أتحدث كثيرا من قبل إلا عندما التقيتك، هذا الكتاب فيه أنواع الزهور التي تنتمي إلى فصيلة هذه الزهرة.

قاطعه ناسك وعلامة الاستغراب بادية على وجهه قائلا:

. ماذا وهل يوجد أنواع أخرى لهذه الزهرة ؟

. بالتأكيد ويمكنك أن تتعرف عليهم من خلال هذا الكتاب.

اقشعر بدن ناسك وكأن الخوف تسلل إلى داخله كما يتسلل الظلام يمحو نور النهار ثم قال بنبرة مليئة بالرهبة:

. زهرة واحدة جعلتنا في متاهة كبيرة كيف الحال بهذه الأنواع الأخرى من فصيلتها ؟

في تلك اللحظة كان زرياب يتفحص الكتاب، بدا مهتما جدا وهو يخط بإصبعه بين تلك السطورالتي كانت حروفها دقيقة كانت توحي بقدم الكتاب وكأن عصورا مرت عليه، كان زرياب يبدو متوترا كأنه اكتشف أمرا ما.

ناسك كان يراقبه بعينيه الواسعتين يحاول في كل لحظة أن يسأله لكنه تردد، قال زرياب بصوت خافت كأنه يحدث نفسه:

. أظن أني وجدت مصدر السم.

انفعل ناسك قائلا:

. ماذا؟ وجدته.. أخبرني ماذا وجدت ؟

. حسنا لا تثرثر دعني أكمل عملي.

قام زرياب من مكانه متجها نحو خليل يريد تفحصه ثم قال:

. أجل لاشك أنها هي، فتح عيني خليل وجد حدقة عينيه متسعة، استغرب ناسك الذي كان يقف خلفه تذكر للحظة عيون سراب، انتاب ناسك شعور بالخوف نطق بكل حماس:

. أخبرني ما سبب اتساع حدقة عينه.

. أظن أنه أصيب بسم زهرة "ست الحسن".

. ماذا ست الحسن! لم أسمع بهذه الزهرة.

. نبات ست الحسن أو ما يسمى "بيلادونا " أو الباذنجان المميت.

. هل تقصد أن هذه النبتة تنتمي إلى العائلة الباذنجانية؟

. أجل أنت محق هذه النبتة عريقة جدا عرفت منذ زمن بعيد باختلاف استعمالاتها منهم من كان يستعملها كمادة جمالية تستخدمها النساء لتوسيع حدقة عيونهم لتزيد في جمالهم ومنها من كان يستخدمها كسم.

. غريب لما كانوا يقومون بتوسيع حدقة عيونهم؟

. على حسب موسوعة الكتاب فإن هذه النبتة بيلادونا كانت النساء تستخدمها لتوسيع بؤبؤ العين لجعلهن يبدين أكثر جاذبية وهذه النبتة كانت تسمى أيضا "بتوت الشيطان" أو" الباذنجان القاتل "

. ماذا قاتل! هل تظن أن "خليل" سيموت بهذا السم؟

. لا أعرف ولكن علينا معالجته قبل فوات الأوان.

. أرجوك يا سيد زرياب ساعده سأفعل كل ماتريده مني إنه صديقي الوحيد.

. اسمع.. هناك شخص واحد يمكنه مساعدتك في إنقاذ صديقك.

أمسك ناسك يد زرياب بكلتا يديه وقال أخبرني من يكون مستعد أن أجوب العالم بحثا عنه.

. إنه رجل عجوز يعيش في إحدى القرى يمكنك الذهاب والبحث عنه، إذا لقيته ناده" بقرن الشيطان "عندها سيعرفك.

نظر ناسك إلى خليل وهو منطرح على السرير كأنه جثة هامدة، تذكر للحظات طرفته وطيشه الذي جاء به إلى هذا العالم ثم قال محدثا نفسه: سأفعل المستحيل لأنقذك ياصديقي الوفي.

عندما قرر ناسك الذهاب وهم بالخروج أوقفه زرياب قائلا:

. انتظر خذ هذا الكتاب معك إنه موسوعة كبيرة عن أنواع الزهور في هذا المكان سيساعدك في تجنب المخاطر عليك أن تتمهل دائما وألا تكون متسرعا كصديقك هذا.

أمسك ناسك الكتاب وقال:

. شكرا ياسيد زرياب لن أنسَ صنيعك هذا معي.

خرج ناسك يحمل في يده الكتاب لم يكن يعرف أين يذهب كان عليه فقط أن يمشي.

عالم غريب لم يتوقع ناسك يوما أنه يعيش داخل هواجس الزهور، تلك الزهور التي كانت بالنسبة له مجرد زينة تباع في المحلات وتوضع على المائدة لتزيين البيوت، أصبح ناسك رهينا داخل عالمها كان يمشي وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى وصل إلى مرتفع لهضبة، نظر ناسك بعيونه المتعبة وإذ به يرى من بعيد قرية صغيرة تكاد الشمس تغرب فيها.

كانت أشعة الشمس الممزوجة بألوان الطيف كأنها تشرق على ثغر ناسك، شعر بالراحة وجد أخيرا قرية موجود عليها بشر منذ أن سقط في البئر وهو تائه أراد أن يلتقي بأي أحد عله يجد له حلا لما هو فيه الآن.

دخل القرية كان بها هدوء عجيب، حدث نفسه ربما الناس لزمت بيوتها وأنهت أعمالها اليومية الشاقة لم يعرف أين يذهب ولم يلتق بأحد يمد له يد العون.

توقف عند لافتة مكتوب عليها " نزل التائهين" مرحبا بالجميع، كان ناسك يقرأ بصوت منحفض كأنه يهمس لنفسه، استغرب أكثر من هذه التسمية للحظة شعر أنه داخل قصة كقصة أليس في بلاد العجائب، شعر حقا أنه في بلاد العجائب.

لم يعطِ لنفسه الوقت أكثر ليفكر مشى خطوات وقف عند مدخل الباب أخذ ينظر وجد طاولات وكراسي كان الأمر أشبه بمطعم وهناك كثير من الناس يتناولون الطعام ويتسامرون فيما بينهم

تقدم ناسك نحو العامل الذي كان يشغل مكتب الاستقبال رحب به قائلا:

. مرحبا هل يمكنني الإقامة هنا هذه الليلة؟

تبسم العامل وقال بكل تأكيد ألا ترى أنه نزل للإقامة؟

رد ناسك بارتباك كأنه يشعر بالخوف لأنه في نظر ناسك أن كل شيء يحدث غير طبيعي منذ أن سقط داخل البئر، عفوا أعلم أنه نزل ولكن هل يوجد غرفة فارغة هذا ما أقصده.

. بالتأكيد يوجد هذا النزل بني للتائهين أمثالك.

استغرب ناسك أكثر واقشعر بدنه كان يحدق بالرجل كأنه يحاول أن يتعرف عليه أكثر، أصبح ناسك متوترا أكثر فأكثر كان يريد أن يفهم طبيعة هذا الرجل هل هو أيضا إنسان غائب عن الوعي أشباه تلك المرأة التي كانت تردد الكلمات المبهمة هذا ما تذكر ناسك.

استجمع قواه وقال: هل لك أن تقوم بإجراءات التسجيل؟

رد العامل: أي إجراء تقصد؟

. لا أعلم أنت العامل هنا أخبرني ما الذي علي فعله حتى أدخل إلى الغرفة أنا حقا متعب وجائع.

. حسنا خذ البطاقة.

نظر ناسك إلى الرجل ثم تمعن بالبطاقة فوجد مكتوب عليها "بطاقة الرصيد" تعجب ناسك أكثر ثم قال:

ماهذه البطاقة كيف تتعاملون مع الزبائن هنا لا أفهم عملكم..

رد العامل على ناسك وهو يصرخ في وجهه: أخبرني لما أنت مستغرب هكذا هل تملك المال لتدفع؟

. أجل أنت محق أنا حقا لا أملك المال جئت إلى هنا صدفة ولم أتوقع أني سأحتاج إلى المال ولكن أخبرني مامعنى تسمية هذه البطاقة.

. إنها بطاقة الرصيد وهذه البطاقة ستحملها معك، كل هؤلاء التائهين مثلك يملكون مثلها وعليك أن تعمل حتى تشحن البطاقة.

. أعمل!! وماذا سأعمل؟

. اسمع يافتى أنت تكثر الحديث بلا فائدة وأنا أحب الاختصار، اجلس هناك سيصلك الطعام وبعدها اذهب إلى غرفتك ونم وستفهم كل شيء بعدها.

جلس ناسك على المائدة والجوع يقطع أمعاءه كان يتمنى ناسك لو أن الطعام لا يكون وهم أو طعام غريب لا يمكن أكله لأنه حقا كان يشعر بالجوع، أحضر النادل له الطعام على المائدة فلم يجد غير طبق من المعكرونة نظر ناسك إلى النادل ثم قال هذا فقط !!

فجأة جاء شاب فجلس على الكرسي المقابل لناسك ثم قال للنادل: اذهب وأحضر له اللحم وبعض الفاكهة، ذهب النادل وأحضر لناسك ما طلبه منه ذلك الرجل.

كان ناسك ينظر إلى ذلك الشاب كان يبدو عليه الطيش من تصرفاته وخفة كلامه في النطق كان الرجل في سن الثلاثينيات لا يبدو عليه الكبر وله شعر طويل قليلا يمسكه بربطة رقيقة ويرتدي قميصا وهو ملفوف للأعلى، يصل إلى مرفقيه، خاطب ناسك بقوة قائلا:

. كل.. ألا تشعر بالجوع؟

تفطن ناسك إلى كلام الرجل كأنه استفاق من غيبوبة ثم حنى رأسه وبدأ يأكل وكأنه لم يأكل منذ زمن بعيد.

في تلك اللحظة تذكر سراب حين التقاها أول مرة واستضافها في بيته كانت تأكل بمثل شراهته أحس أن الزمن يعيد نفسه وأنه يعيش ماعاشته.

صعد ناسك إلى غرفته لم تكن إلا غرفة عادية كأنه عاد إلى الماضي البعيد لم يركز على تفاصيل الغرفة لأن عقله وباله كان مشغولا بما رآه وما سيراه ألقى ناسك بجسمه المتعب على السرير وضع كلتا يديه تحت رقبته ولف ساقه اليمنى فوق اليسرى وأخذ ينظر إلى سقف الغرفة كان يحاول أن يفكر في حل لكل ما يحدث له ثم سأل نفسه:

. ياترى أين البقية؟ كيف حالهم؟ لمَ لم ألتقي بهم حقا اشتقت إلى صحبتهم أتمنى أن يكون خليل بخير.

عادت بناسك الذكريات إلى تلك اللحظات الجميلة التي قضاها برفقة أصدقائه صحيح أن ما حدث لم يكن سهلا لكن خفة دم خليل وهالة الهدوء التي كانت تحيط سراب و الغموض الذي كان يكتسي لامع وكل تلك المغامرات التي مر بها برفقتهم جعلته يشعر بالشوق حقا إليهم ورغبته في إيجادهم وإنقاذ صديقه خليل صارت تنمو أكثر وأكثر.

نام ناسك واستيقظ على واقع مجهول، خرج ناسك من النزل الذي أقام فيه ليلته وذهب يتمشى يتفقد القرية علّه يجد شيئا يرشده إلى ضالته كان يمشي وهو يرى الناس كل له وجهته وضجيج الشارع لم يزعجه بل جعله يشعر بالراحة حتى ذلك البائع الذي يصرخ بأعلى صوته الخشن ويقول "اقتربوا من يشتري عسل ولا ألذ " ابتسم ناسك وهو يسمع الرجل يمدح العسل كأنه هو من صنعه وليست النحلة.

تارة يلتفت إلى اليسار وتارة إلى اليمين يبحث علّه يجد أي شيء وأصوات البائعين على الرصيف تتعالى رغم ضجيجهم وازدحامهم إلا أنه كان يشعر بالغبطة وكأنه يسمع أصوات الناي الشجية.

وهو يمشي حتى فاجأه الرجل الذي التقى به في ذلك المطعم، رحب به قائلا:

. هاي مرحبا يافتى..

ابتسم ناسك ثم قال: مرحبا سررت بلقياك.

. لقد التقينا البارحة ولم أعرفك على نفسي، أدعى "رائد" وأنت؟

. أنا اسمي" ناسك".

. اسمع يا ناسك أعلم أنك غريب في هذا المكان يمكنك أن تبقى برفقتي وسأقدم لك يد العون متى احتجت.

. شكرا لك في الواقع أحتاج إلى مساعدة حقا.

. تعال معي إلى مقهى نتحدث فيه على روية.

. لا أستطيع فأنا لا أملك المال ولا أفهم كيف أعمل بهذه البطاقة.

. تعال سأشرح لك كل شيء.

أمسك "رائد" يد ناسك وأخذ يجره بقوة وكأنه يريد خطفه وناسك يمشي خلفه بخطوات متتالية تكاد قدماه تختلفان جلسا معا داخل مقهى لم يكن به أناس كثر ثم قال ناسك لرائد: هل لي أن أسألك؟

رد الشاب وهو يضع قدما على الأرض ورفع القدم الأخرى على الكرسي ثم مسح بكفه على شعره وقال:

. اسأل ما بدا لك.

. في الواقع لا أعرف من أين أبدأ لن أروي لك من أين جئت القصة طويلة ولكن هذا المكان لما هو مختلف هكذا حقا عجزت عن الوصف.

. اسمع يا صاحبي لست أول شخص يأتي إلى هذا المكان كل ما في الأمر أنك أنت المختلف عن المكان.

. ماذا تقصد بكلامك؟

. أنصت هذا المكان هو جوهر الزهرة.

اندهش ناسك وقال: ماذا؟ زهرة شبح الأوركيد.

. إذن أنت تدرك الأمر لن يحتاج أن أشرح أكثر.

. لا يا "رائد " أرجوك اشرح لي أكثر فأنا حقا أجهل كل شيء أنا حقا تائه حالي كحال التائهين في ذلك النزل.

. اسمع أعلم أنك لم تدخل إلى هنا بإرادتك هناك من أوقع بك.

عم الذهول وجه ناسك وتذكر لامع وسراب حينما قالت له أنهم سيدخلون عالم الوهم وكيف اختفوا فجأة داخل تلك الدوامة ثم سأل رائد قائلا: وكيف عرفت ذلك؟

. سأخبرك بالتفاصيل ولكن اتبعني.

. إلى أين؟

. ماذا، ألا تريد معرفة الحقيقة؟

تبع ناسك رائد وكله شغف سر لأنه أخيرا سيعرف كل شيء وهذا ما كان يبحث عنه.

توقف رائد عند محل لبيع الأعشاب الطبية والأدوية دخل رائد وتبعه ناسك رحب رائد بعجوز كان جالسا على الأرض قائلا: بصوت مرتفع، مرحبا أيها العجوز الخرف لقد جئتك بضيف.

قاطعه ناسك قائلا: لاتقل هذا إنه أكبرسنا تحدث معه باحترام.

نظر العجوز الذي كان يرتدي عباءة بيضاء و على رأسه يلف شملة بيضاء ولحيته البيضاء التي اكتساها الشيب تصل إلى أسفل الصدر وعيناه الضيقتان يغطيهما حاجبان طويلان أبيضان كان يبدو عليه سمة الوقار.

نظر إلى ناسك ولم يقل شيئا لكن ناسك رحب قائلا: مرحبا أيها الشيخ الجليل.

تبسم ثغر الشيخ ثم قال: شاب يافع ونبيل.

جلس رائد وأجلس ناسك بقربه ثم قال للشيخ: لقد أحضرت هذا الضيف وهو غريب عن هذه القرية وأظنه تائه لايعرف شيئا.

أمسك الشيخ بلحيته وأخذ يسحبها بيده وهو ينظر إلى ناسك ثم قال بصوت ضعيف كصوت عجوز طاعن في السن يخرج الكلمات بتأنٍّ وروية:

. شاب مبارك أتمنى أن ينهي ما بدؤوه.

انتبه ناسك لهذه الكلمة ثم رددها "لابد أن تكمل ما بدأته " كانت هذه كلمات سراب وهي ترددها عند تلك الشجرة الضخمة ثم قال: ما السر وراء هذه الكلمات؟

رد الشيخ وقال: هل جئت وحدك هنا؟

. أجل جئت باحثا عن أصدقائي وعن دواء لصديقي خليل.

. أتعلم أيها الشاب أنت أول شخص يدخل إلى هنا يبحث عن أصدقائه ويهتم لسلامة من حوله الكل هنا يبحث عن نفسه.

رد رائد: أجل حتى أن بطاقة رصيده مليئة.

قاطعة ناسك: ماقصة بطاقة الرصيد.

قال رائد سأجيبك هذا المكان هو جوهر الزهرة وهو مكان روحي لا تحتاج لتعمل أعمالا كالتي تعملها خارج هذا المكان، كل عمل خيري تقوم به يكون لك رصيد ويرتفع رصيدك كلما فعلت الخير أكثر وكلما فعلت الشر نقص من رصيدك وهنا في هذا المكان يتعامل الناس بهذه الأرصدة بدل النقود يشترون ويأكلون وكل معاملاتهم تكون بالأرصدة التي يتحصلون عليها.

قاطعة الشيخ قائلا: وأنت شاب نبيل تسعى في مساعدة الآخرين وتخاطر بحياتك من أجل إنقاذهم يجعلك تملك قدرا كبيرا من الأرصدة.

هز ناسك رأسه وقال هكذا إذن..

نظر الشيخ إليه بتمعن وقال: كيف دخلت إلى هنا؟ ليس سهلا الدخول إلى هذا المكان ومن المستحيل الخروج منه.

اقشعر بدن ناسك وقال كيف ذلك ألا يوجد مكان يجعلني أعود من حيث أتيت؟

قال رائد: أخبرني هل تملك الكتاب؟

. ماذا، أي كتاب؟

. ألم تلتقِ بكتاب ما؟

. هل تقصد هذا الكتاب؟

تبادل رائد والشيخ نظرات غريبة مما جعلت ناسك يشعر بالخوف ثم قال: هل هناك شيء ما؟

رد رائد قائلا: كيف لك ألا تعرف أي شيء لم أنت هنا إن كنت لا تعلم؟

. أنا حقا لا أعلم خرجت من بيتي باحثا عن الحقيقة ولم أجد الحقيقة إلى حد الآن.

قال الشيخ بهدوء: أحيانا هناك أمور لا يجب أن تكشف وإن قررنا البحث عن ما في داخلها غرقنا وتهنا.

قال ناسك: معك حق أخبرتنا الجدة ذات يوم كلمات تشبه ما قلت، حذرتنا أن نبحث ونتعمق لكن شغفنا لمعرفة الحقيقة أوصلنا إلى هذا الحال.

. هل تقصد الجدة سناء؟

اندهش ناسك وقال: هل تعرفها وكيف تعرفها؟

. إنها قصة طويلة ألم تروي لكم يوما عن قصة شاب التقت به؟

قاطعه ناسك قائلا: هل أنت ذلك الرجل الذي تعيش ببيته؟

. أجل أنا هو.

. غريب لم أتوقع هذا، لقد قالت الجدة أنك اختفيت كنت أظن أنك دخلت السجن.

. لقد حدث لي ما حدث لكم وها أنا الآن هنا.

. هل سقطت من البئر؟

. بئر !!!! أي بئر؟

. إنه بئر موجود أمام مسكن الخالة عهد.

. لا أعرفه ولكن أخبرني كيف رأيت تلك الشجرة في فناء منزل الجدة سناء.

. تلك الشجرة الضخمة مزالت موجودة.

. تبسم العجوز وقال: وتلك الأرجوحة هل مازالت موجودة؟

. تبسم ناسك وقال: أجل لا أظن أن هناك شيء قد تغير.

خطر ببال ناسك شيء عن تلك الشجرة وتذكر ردة فعل سراب حين رأت الشجرة ثم تذكر البئر ثم تذكر الغرفة السرية حينها ربط الأحداث ثم قال بصوت منخفض: هناك علاقة تربط هذه الأماكن بعالم الوهم الذي تشكله هذه الزهرة ثم قال للشيخ:

. إذن جئت هنا عبر تلك الشجرة ونحن جئنا عبر البئر هل يعقل أن أبي جاء من الغرفة السرية؟ إذن المذكرة موجودة بالغرفة السرية وهي الآن سبب نجاتي ولكني لا أملكها.

رد رائد: غريب إذن كيف دخلت إلى جوهر الزهرة؟

. حقا لا أعلم.

رد الشيخ: هذا لأنه هو من وجد المذكرة وهو الآن من يعيش هذا العالم وعليه أن يمر بكل تفاصيل المذكرة.

رد ناسك بتعجب كبير: هل تقصد أنني داخل الكتاب أم ماذا، حسنا رأسي يكاد ينفجر لاأستطيع التركيز أكثر.

أخبرني عنك يا شيخ كيف جئت إلى هنا وماهي قصتك ولما لم تعد وبقيت هنا؟

. عندما دخلت هذا العالم حاولت الخروج ولم أستطع، أنا مقيد هنا ولا أستطيع أن أجعل زوجتي وأخاها أن يغفروا لي لذا مهما حاولت لن أستطيع الخروج لكن أنت يا ناسك جئت إلى هنا بدافع الإحسان يمكنك الخروج من هنا.

تحمس ناسك وأمسك يد الشيخ وقال: أرجوك دلني كيف الخروج.

قام الشيخ من مكانه واتكأ على عصا كانت بقربه وقام ثم قال: قبل أن أخبرك عليك أن تخبرني أنت عن ذاك الكتاب الذي بين يديك، من أعطاه لك؟

. إنه رجل طيب ساعدني كثيرا.

نظر العجوز إلى ناسك وقال: وكيف أقنعته بمساعدتك؟

. لم يحتج الأمر إلى إقناع فقط طلبت منه ذلك.

زاد استغراب العجوز وتحير من أمر ناسك ثم قال: من أنت أيها الشاب أي قوى سحرية تملك.

. ماذا؟ قوى سحرية! وهل طلب المساعدة يحتاج قوى سحرية..

. الرجل الذي تتحدث عنه لا يمكن أن يقدم المساعدة بسهولة ثم إنه لا يمكن أن يقدم كنزه الثمين لشخص غريب.

. ماذا كنز! عن أي كنز تتحدث؟

. الكتاب الذي بين يديك إنه أثمن من الكنز بالنسبة له فكيف يثق بك إلى هذا الحد ويعطيه لك؟

وضع العجوز عصاه على رقبة ناسك ثم قال له أخبرني من أنت وما حقيقتك ولما الكتاب بين يديك هل قمت بإيذاء صاحب الكتاب؟ إن لم تخبرني الحقيقة سأقضي عليك الآن.

تسارعت دقات قلب ناسك ولم يعرف كيف ينجو، اختلط عليه الأمر لكن سرعان ما تذكر كلمات زرياب ثم قال بسرعة خاطفة:

. الكتاب أعطاه لي "زرياب " أراد مني أن أعتمد عليه عله يساعدني في إيجاد ضالتي.

تعجب العجوز، نزع العصى من على رقبة ناسك ثم قال باستغراب كبير "زرياب"؟

. أجل زرياب، وقد طلب مني أن أبحث عن عجوز يدعى "قرن الشيطان".

اتسعت عيون العجوز الضيقة وامتلأت بالدموع كان بريقها يكاد يشع، أدرك رائد الذي كان ينظر من بعيد ما يحدث دون أن يتحدث أن العجوز له حكاية مؤلمة تجمعه مع هذا الرجل زرياب.

جلس العجوز على الأرض ثم قال:

. كيف وجدته هل مزال يبدوا صارما قويا قليل الكلام؟

هز ناسك رأسه ثم قال:

. أجل في البداية كان يبدو لي هكذا لكن ما إن تحدثت معه أدركت أنه غير ذلك، إنه إنسان طيب فقط يبدع في إخفاء مشاعره.

. كيف لك أن تعرف عنه الكثير ولم تمكث معه إلا قليلا، ثم كيف أخبرك باسمه ليس من عادته أن يخبر عن اسمه لأي كان.

. لقد أخبرني عن اسمه وطلب مني أن أناديه به قال لم ينادني أحد باسمي منذ زمن.

تحدث العجوز في نفسه قائلا: إلى أي حد قد وصلت إليه يا زرياب، ألم تنسَ ولدك بعد؟

. ولده من تقصد؟

. عندما رأك تذكر ولده الذي مات منذ زمن بعيد لهذا حن إليه، عندما رأك عاملك بلطف حتى إنه أعطاك الكتاب وهو أغلى ما يملك.

شعر ناسك بحزن شديد على حال زرياب وأحس بالندم لأنه شعر للحظة أنه كان أنانيا لأنه كان يفكر في نفسه وأصدقائه ولم يتفهم مشاعر زرياب حتى أنه لم يسأله عن نفسه.

أعاد العجوز سؤال ناسك بدا مهتما لمعرفة الكثير عن زرياب ثم قال:

. كيف رأيته؟ أاه مازلت تجابه الحياة وحدك.

. إنه رجل غريب يعيش وحده في تلك الغابة ولديه معرفة بالطب وعالم الزهور لكنه أرشدني إلى من هو أفقه منه وطلب مني أن أجده علّني أجد ضالتي.

. أخيرا اعترفت أني أفضل منك يازرياب.

. إذن أنت هو العجوز قرن الشيطان؟ لم أتوقع أن أجدك بهذه السهولة.

قاطعهما رائد قائلا: أيها العجوز الخرف هل عاد بك الحنين إلى الماضي هل الرجل صديقك؟

. أجل إنه صديقي كنا ندرس الطب معا وكنا نجمع الأعشاب وندرسها ونستخلص منها الترياق لمعالجة السموم لكن سرعان ما افترقنا.

أخرج ناسك الكتاب ثم أعطاه للعجوز وقال: خذ هذا الكتاب أنا متأكد من أن زرياب أراد مني أن أعطيك هذا الكتاب رغم أنه لم يقل ذلك تحتاجه أكثر مني.

قاطعهما رائد كعادته متأفف ماذا يا جماعة هل ستمضون الوقت هكذا في الثرثرة أيها العجوز هل لك أن تساعد هذا الشاب لقد أحببته حقا.

قام العجوز من مكانه ثم قال: اتبعاني.

رد كلا من رائد وناسك إلى أين!

رد العجوز بنبرة قوية: ماذا ألا تريدان معرفة الحقيقة؟ وأنت يا ناسك صديقك لا يستطيع تحمل المزيد.

تحمس ناسك وقام هو ورائد وتبعا الشيخ حيث ما ذهب كان العجوز يمشي وهما خلفه يتبعانه خرجا من القرية ودخلا مكان أشبه بغابة كانت بالقرب من القرية زاد استغراب ناسك حين دخوله إلى ذلك المكان حقا كان مختلف عن كل الأماكن

التي مر بها من قبل، كان هناك كون بديع من الأزهار مختلفة الألوان والأصناف توقف ناسك قائلا:

. تلك الكلمات المفعمة بالحيوية: "ووااااااوو" لم أرى أجمل من هذا المنظر.

مشى خطوات ثم قال مرة أخرى:

. ماذا تسمى هذه الزهرة ؟ كانت تبدو زهرة غريبة شكلها يوحي كأنها فتاة ياترى ما اسم هذه الزهرة؟

رد العجوز قائلا: الكتاب بين يديك تصفحه.

فتح ناسك الكتاب بشغف وأخذ يتصفح الكتاب ورقة تليها ورقة حتى توقف عند صفحة كانت بها رسمة تشبه الزهرة التي أمامه ثم قال:

. إنها نفس الزهرة، أها هكذا إذن هذه الزهرة تدعى "راقصة الباليه" نوع من زهرة الأوركيد شكلها حقا يشبه "راقصة الباليه " انظرا الأجزاء الملونة باللونين الأحمر والأسود هي في الواقع الكؤوس التي توجد على الزهرة أما الأجزاء ذات اللونين الأبيض والأحمر فهي البتلات وهي مرتبة مثل الكأس الجانبية، وهذا يزيد من تشابه شكل الزهرة الهيكلي مع "راقصة الباليه "، والجزء السفلي من الزهرة مماثل للأرجل الحساسة، هذه زهرة تشبه راقصة باليه صغيرة ترتدي ثوبا جميلا بالألوان الوردي والأبيض وهو نوع نادر جدا.

حينها نطق رائد: الكتاب حقا يحتوي على موسوعة.

رد ناسك: هناك أنواع أخرى وبألوان مختلفة.

رد الشيخ العجوز: وكذلك لهذه الزهور معاني نرمز لها.

. وكيف ذلك؟

. مثلا أمامك زهرة الأوركيد البيضاء تعتبر رمزا للنقاء والبراءة والفخامة، أما الأوركيد الوردي نجده يرمز إلى الفرح، الأوركيد الأصفر يرمز للصداقة وبداية حدوث شيء جديد، الأوركيد الأرجوانية ترمز للإعجاب والاحترام، الأوركيد البرتقالية ترمز للجرأة والإيجابية.

أما السوداء فهي تختلف عنهم جميعا لونها الغامق الفريد والمميز تتميز بالقوة والسلطة حيث قديما كانت مرتبطة بالملوك.

شعر ناسك بالغبطة كونه رأى أمامه هذا الكم الكبير من الزهور وتعرفه على أنواعها ومعانيها شعر أن هذه الزهرة ليست مجرد زهرة وأحس حقا أنه داخل عالمها، تقدم خطوات وهو يحاول أن يركز على نوع واحد من الزهور ليتعرف عليه لكن كثرة الزهور جعلته يتوتر ولا يعرف من أين يبدأ، لفتت انتباهه زهرة كانت أمامه تصفح الكتاب وقال:

. هل يعقل أن زهرة الأوركيد لها هذا الكم الكبير من الأنواع موجود هنا ستة أنواع منها:

"أوركيد فالاينوبسيس"، "أوركيد براسافولا" " أوركيد كاتاسيتوم"، "أوركيد الكاتاليا" "أوركيد سيكنوشس" " أوركيد سيمبيديوم"

زادت غبطة ناسك ثم قال وكله حماس: هل كل ماهو موجود هنا أنواع زهرة الأوركيد ؟

رد الشيخ: لا هناك أنواع نادرة من شتى أنواع الزهور.

قاطعهم رائد قائلا: موجها كلامه لناسك.

. إياك أن تغتر بجمالها وكثرة أصنافها لا تنسَ أنك داخل وهم وعليك الخروج وتخليص أصدقائك.

انتبه ناسك لكلام رائد ثم قال بحزن شديد:

. معك حق كدت أن أنسى لوهلة ما الذي جئت من أجله.

قام الشيخ بإعطاء ناسك قارورة صغيرة أمسكها نظر إليها قلبها بين أصابعه ثم نظر إلى العجوز وقال: ماهذا؟

. إنه ترياق قم بإعطائه لزرياب يمكنه معالجة صديقك.

. حقا شكرا لك لن أنسَى صنيعك معي حقا سررت بلقائكما أتمنى أن أراكما مرة أخرى.

. هاي يارجل لا أحب خطابات الوداع قلبي يتأثر بسرعة.

. هههه حسنا يا رائد معك حق.

قال الشيخ: يكفي ثرثرة حان وقت الرحيل اتبعاني.

تقدم الشيخ خطوات لحقه ناسك ورائد حتى وصلوا إلى مكان منعزل تقدم الشيخ ثم قال لناسك: هل تريد حقا الخروج؟

رد ناسك وكله حماس أجل بالطبع ثم بعدها تجهم وجهه وقال: ولكن ماذا تقصد بالخروج ؟

. هذا المكان سيجعلك تخرج من هذا العالم لتصل إلى أصدقائك.

. أها حسنا أنا مستعد.

وضع رائد يده على كتف ناسك وقال: حقا سررت بمعرفتك كنت أتمنى أن تمكث أكثر، حسنا سأطلب منك طلب أريد أن أخذ بطاقتك لديك رصيد كثير وأنا أحتاجه.

ضحك ناسك وقال: بكل سرور، ثم نظر إلى الشيخ وقال: كيف يمكنني أن أخرج لا أرى أي بوابة في هذا المكان.

مشى الشيخ خطوات ثم توقف وقال: هنا يوجد حاجز غير مرئي لا يمكن لأحد أن يخرج منه حاول الكثير من الناس أن يخرجوا لكنهم فشلوا بل كثير منهم من مات، الحاجز مصنوع من شرارة كهربائية قوية لا يمكن لأحد أن يتجاوزها.

قاطعه ناسك قائلا: إذن تريدني أن أموت؟

أجابه رائد: اسمع يا صاحبي لو كنا نستطيع الخروج لما مكثنا طول هذه السنين هنا أنت الأمل الوحيد لنا ولأصدقائك إن خرجت وغيرت الوضع الذي يجري سننجو جميعا فكر في الأمر.

صمت ناسك كان يبدو عليه الشرود أخذ يفكر في حاله وأصدقائه الذين هم بحاجته نظر إلى الشيخ وإلى رائد ثم تقدم نحو الحاجز لم يكن ظاهرا له مد يده أراد أن يتحسس مكان الحاجز، لكن رائد أمسكه وقال: لا تتسرع فكر في الأمر قد تنجو وقد تهلك أنت مسؤول عن اختيارك.

استدار ناسك نحوهما وقال بكل حزم وعيونه تشع كأنه استجمع كل قواه وقال:

. أجل أنا المسؤول عن نفسي وعن قراري واختياري لقد اخترت أن آتي إلى هذا العالم وسأختار الخروج، لن أخيب ظنكم بي لقد أنرتم لي الطريق وجعلتموني أفهم أمورا كثيرة كنت أجهلها والآن علي أن أذهب هناك أصدقاء ينتظرونني ويعقدون آمالهم علي كما فعلتما أنتما.

انحنى ناسك وقال: شكرا لكما لن أنساكما ماحييت وأتمنى أن ألقاكما في القريب العاجل، ثم هم ناسك بخطوات.

صرخ رائد وقال: انتظر...

أمسك الشيخ بكتف رائد وقال: دعه لا تردعه عما يريده.

تقدم ناسك أغمض عينيه تسارعت دقات قلبه وزاد خوفه لكنه واجه خوفه وتغلب على نفسه تحسس بإصبعه مكان الحاجز حتى ظهرت على الحاجز زهرة شبح الأوركيد تعجب ناسك حين رآها ثم اخترق الحاجز فجأة كأن الزهرة امتصته شع الحاجز بالأنوار وهو يختفي مع الأنوار صعق ناسك بصعقة قوة صرخ بأعلى صوته.

لم يشعر ناسك حينها بالألم لأن عزيمته القوية على إنقاذ أصدقاءه ونفسه الطيبة التي تأثر الآخرين وتريد لهم الصلاح جعلت من ناسك شابا قويا يتحمل مسؤولياته ولا يتردد في مواجهة المخاطر التي لطالما أحاطت به.

كان الشيخ العجوز ورائد ينظران إلى ما كان يحدث متعجبين مما رأوا، قال رائد وهو مصدوم مما رأى.

. غريب لم أتوقع أن هذا الشاب سينجو حتى أن الزهرة قد ظهرت له ولم تظهر لأحد من قبل.

. معك حق إن هذا الشاب وراءه سر كبير.

. هل كنت تظن أنه سينجو؟

. أجل علمت أنه سينجو.

. أخبرني لما أعطيته الترياق وقد قمت بإخراجه من جوهر الزهرة ألا تريد لصديقه أن ينجو؟

. جوهر الزهرة عالم روحي لا يحتاج الأمر إلى دواء أو ترياق يحتاج إلى ما تحمله النفوس من قيم ومبادئ وصفات، إن هذا الشاب تغلب على هذه القوى الروحية التي داخل هذا العالم بأصله الطيب وخلقه.

. هذا يعني أن صديقه سينجو دون ترياق؟

التفت العجوز إلى الوراء ومضى قدما يجر عصاه وهو يحمل ابتسامه العريضة، نظر رائد إلى العجوز وهو يبتعد صرخ بأعلى صوته:

. هااي أيها العجوز الخرف لما تقول الألغاز دائما انتظرني..

هكذا هي الحياة هي مجرد وقت يمضي فنمضي قبله لا يبقى إلا الأثر ما سنتركه خلفنا هي حكايتنا، أغلبنا لم يفهم الحياة على حقيقتها فَضَلَّ وتاه ومنهم من فهمها وأراد أن يعيشها بسلام روحي.

استفاق ناسك وقد كان جالسا متكئا على شجرة وسط الغابة نظر يمينا وشمالا ثم نظر إلى جسده كان يتفحص جسمه عله يجد جروحا، استغرب من كونه نجا ولم يحدث له أي شيء فجأة سمع صوت أقدام تتقدم نحوه انتبه وقام من مكانه وقال: من هناك؟

نطق صوت من بعيد وقال: لاتخف أنا صديقك.

التفت ناسك خلفه يبحث عن مكان الصوت حتى ظهر أمامه وقال: ها أنا ذا لامع.

. لامع أين كنت؟

. هل لي أن أسألك نفس السؤال !!

. أنت تعلم أين كنت ألم ندخل جميعا داخل جوهر الزهرة؟

. كنت أظن أنك لن تستطيع الخروج عجيب أمرك أيها الشاب.

. وكيف خرجت أنت أليس عجيب أمرك؟

. الأمر مختلف أنت سيد الموقف الآن وكل شيء مرهون بك.

كان ناسك ينظر إلى لامع وهو يتحدث كان الحزن يملأ قلبه، تعابيره الشريرة التي كان يظهرها لناسك غلب عليها الحزن حينها قال ناسك:

. لم يعد هناك وقت للألغاز لقد اتضح كل شي فقط قل ماتريد قوله ثم هل تظنني حقا أعرف ماذا علي أن أفعل؟ لقد جئت إلى هذا العالم وأنا لا أعرف حتى كيف أخرج منه إني في متاهة كبيرة كلما قلت قد تحررت أجد نفسي قد تقيدت.

. سأخبرك كيف سننجو.

. كيف؟ قل دعك من هذه التعابير الاشمئزازية.

. المذكرة..

. ماذا المذكرة !!!

. أجل أنت تملك المذكرة وهي التي جعلتك تأتي إلى هذا العالم وأنت تستمد قوتك منها.

. لحظة أريد أن أفهم !

. هل تقصد تلك المذكرة التي وجدناها في تلك الغرفة السرية؟

. لا ليست هي لقد تعمدت أن أتبعكم وأبحث معكم لم يكن هدفي معرفة حقيقة سراب كنت أريد أن أحصل على المذكرة.

. إذن أنت خططت لكل شيء؟

. لا أنا لم أخطط، كل شيء جاء صدفة تلك الغرفة السرية موجود بها المذكرة لكني لم أكتشف مكانها كان علي أن أتمهل وأتبعكم لم أعلم أنك أنت من حصلت على المذكرة حتى الآن تأكدت من ذلك.

جلس ناسك على الأرض متعبا من كل شيء لم يعرف ماذا عليه أن يقول: تعب حقا ناسك شعر أن رأسه كتلة من حجر تخلله اليأس وخالجه شعور بالحزن ثم قال بصوت بائس:

. أريد أن أخرج من هذا الكابوس إنه حقا كابوس مزعج.

ـ هل ستبقى هكذا تندب حالك عليك أن تتحرك لتخرج من هذا الحلم.

. و كيف أستطيع أن أخرج من هذا الحلم ولما لا تحاول أنت؟

. هههههه لأن الأمر مرهون بك حقا أنا أنجو بنجاتك وأهلك بهلاكك وكذلك أصدقاؤك.

ـ ولما الأمر متعلق بي؟

ـ فكر جيدا كل هذا الأمر بما يتعلق، لما أنت هنا وما الذي أجبرك على المجيء إلى هذا العالم !!

في تلك اللحظة، لحظة البؤس الذي كان يعتري وجه ناسك تخلله ذهول وأصبح شاحبا لا يعرف حتى بما يفكر ثم عادت به ذاكرته وأخذ يفكر ثم قام من مكانه وقال:

أجل أذكر أن هذا الأمر بدأ منذ أن قابلت سراب في ذلك المكان، الأمر يتعلق بسراب، لا يعقل هل هي سبب كل ما يحدث؟

نظر ناسك إلى لامع ثم قال:

. هل أنت أيضا هنا بسبب سراب؟

لم يقل لامع شيئا مشى خطوات أمام ناسك ثم استدار للخلف ثم قال: أجل أنا ضحية مثلك وقعت في هذا العالم وأصبحت أسيرا في هذا الحلم لا أستطيع الخروج منه.

ـ ولكن لماذا لم أفهم أي شيء مما يحدث.

ـ أنت يا ناسك تستطيع أن تنجو.

. لماذا أنا ؟ وأنت !!!

. اسمع يا ناسك هذا العالم عالم روحي ليس كما تظن أنت، كل ما يحدث هو نتيجة أفكارنا وما تحمله قلوبنا، عليك أن تتغلب على نفسك وتصارع كل ما يجول بخاطرك وأعلم أن أصعب صراع هو صراع النفس وإني أرى يا ناسك أنك قوي تحمل من الصفات الرائعة وسعة الصدر وهذا ما يجعلك أقوى وأملنا في الخروج من هذا العالم الوهمي هو أنت.

. ولكن كيف أنا لا أعرف !!

. نحن الآن نعيش داخل أوهام صنعتها سراب من نسج خيالها وهذا كله نتيجة الحقد الذي تربى في داخلها وكل شخص يدخل عالمها وهو يحمل نفس مشاعرها سيبقى سجينا طيلة حياته في عالمها.

. أها فهمت، إذا علي أن أجد طريقة تخرجنا من عالم هذه الزهرة.

جلس ناسك على الأرض وهو يفكر سرح طويلا كان عليه أن يجد حلا، ما كان يعيشه نسج من الخيال وما كان يشعر به هو حقيقة لا مست قلبه وروحه أخذ ناسك يقلب صفحات أفكاره وتذكر أول لقاء به مع سراب وما حدث منذ مجيئها أخذ يطبطب على رأسه بقبضة يده ثم قال: المذكرة أجل هي سبب وجودنا هنا علي أن أجدها ولكن أين سأجدها ؟

لا،لا.. يجب أن أفكر في حل آخر الأمر يتعلق بهذا العالم، أخذ يفكر حتى طرقت على باله فكرة ثم قال:

. أجل عندما دخلنا من البئر وجدنا تلك المرأة عند البحيرة لقد قالت أحجيه لعل فيها خلاصنا يجب أن أذهب إليها.

ثم قام ناسك وذهب يركض وهو لا يعرف إلى أي طريق يأخذه فجأة تخيل إليه من بعيد بحيرة كأنها نفس البحيرة التي أراد أن يبحث عنها حتى وصل إلى تلك البحيرة استغرب ناسك وقال:

. لما أشعر أني أدور في نفس المكان؟ حقا إنه مثل الأحلام المزعجة التي نجد أنفسنا لانستطيع فيها حتى التحرك من مكاننا، نظر إلى البحيرة والغريب في الأمر أنه وجد تلك المرأة الغريبة في نفس المكان وهي تقول تلك الكلمات وترددها كأنها آلة.

اقترب منها أكثر وأخذ يركز على كلماتها ويحاول أن يفهم ما تقوله *الجبل الأزرق ليس عجوزا على الإطلاق شعره الأبيض بسبب الثلج، البحيرة الخضراء لا مبالية تجاعيدها سببتها نسمات الهواء*

نظر إلى البحيرة التي كانت تنعكس فيها صورة الأشجار الخضراء الشامخة، وجدها تتموج وكأن نسمات الريح تموجها ولكن لا توجد أي نسمة أدرك أن البحيرة لها علاقة بالجبل لأن ما كانت تقوله تلك المرأة جعل ناسك يفكر في ذلك و كل ما فكر فيه في تلك اللحظة هو الغوص داخل البحيرة.

رمى ناسك بنفسه داخل البحيرة لم يكن يدرك حقيقة ما يفعل كان يحاول أن ينجو ويخرج رفاقه من هذا الكابوس المؤلم، غاص ناسك داخل البحيرة لكن شيئا ما كان يجذبه إلى الأسفل أكثر وأكثر، غاص في الأعماق لم يتمالك نفسه استسلم إلى تلك القوة التي كانت تجذبه وأغمض عينيه وإذ به يرى ما يرى النائم في حلمه، رأى مالم تره عيناه من قبل، رأى هيكلا كبيرا عظيما كان هيكلا لزهرة كانت نفسها زهرة الأوركيد، استغرب ناسك كان يغوص لكنه لم يشعر أنه يحتاج إلى نفسا ليتنفس تحت الماء، علم أنه تحت تأثير الوهم قرر ألا يضعف

وأن يواجه اقترب أكثر وإذ به يرى أصدقائه وكان للزهرة جذوع متفرعة وكل جذع ملتف حول شخص رأى خليل وسراب ورأى أباه وعهد وحنين ورامز وأناس كثر لم يتعرف عليهم فهم أن هؤلاء هم تحت تأثير الوهم لم يعرف كيف يتصرف فجأة التف حوله جذع تلك الزهرة حاول التخلص منه لكنه لم يستطع خارت قواه أغمض عينيه واستسلم وأخذ يحدث نفسه.

أعلم أنها نهايتي ولكن لا بأس لقد بذلت جهدي في إنقاذ أصدقائي لم أكن أظن أن الأمر صعب إلى هذا الحد ولكني لن أندم أبدا كنت سعيدا معهم وأشعر بالسعادة لأني حاولت أن أفعل شيئا من أجلهم في النهاية كانت مجرد زهرة، لم يكن الأمر يستحق كل هذا العناء أنا قيمتي أصنعها بنفسي لن يخلدني إلا عملي وزهرة عادية لن تجعلني أتغير ولن تسيطر علي أنا أعتز بنفسي وعائلتي وأصدقائي هم كنز لن يتكرر في حياتي.

هكذا كان ناسك وهذا معدنه لن تتغلب عليه الأوهام ولن تسيطر عليه أي مشاعر، هو سيد نفسه ولن يرضَ لأي شيء أن يكون سيده لهذا كان فريدا من نوعه.

استفاق ناسك مرة أخرى ليجد نفسه على أرض غريبة كانت مغشاة بالضباب قام من مكانه ثم أخذ ينظر من حوله يريد أن يعرف أين هو، لمح من خلال الضباب شخصا لم يستطع التعرف عليه كان الضباب يحجب الرؤية، تقدم ذلك الشخص نحوه بخطوات واثقة حتى وقف أمامه وبلهفة كبيرة قال ناسك:

. سراب ! أخيرا تحررتي..

كانت نظراتها إليه كأنها صقر بعيون مليئة بالشرارة الحمراء، شعر بالخوف وهو يرى ذلك المظهر، لكن الأمر أصبح عاديا له بعدما مر بكل تلك الأحداث بل زادته قوة وأصبح أكثر ثقة قام من مكانه ثم تقدم نحوها وقال:

ـ سراب لنعد إلى المنزل لقد تهنا في هذا العالم.

ضحكت بسخرية من كلماته وقالت:

ـ ولكنه عالمي أنت مجرد شخص يمر عبر عالمي.

لم يقل ناسك شيئا كان يحاول أن يسترجع هذه الكلمات ويتذكر أين سمعها ثم قال:

ـ إذن أنا أعيش في عالمك!

أصبح يدرك حقيقة الأمر ما هو الآن فيه مجرد عالم وهمي صنعته سراب هو الآن يعيش كل لحظة من عالمها، حينها خاطبها بقوة قائلا:

. ولكنه عالم مظلم ليس له نهاية، إنه حلقة مفرغة استفيقي عودي إلى رشدك.

. أعود إلى رشدي ولكن كيف ؟ أنا مجرد وهم.

. أنتِ حقيقة ولستِ وهما استفيقي.

. أنت لا تفهم شيئا، في هذا المكان نشأت.

. ماهذا المكان؟

. إنه جبل الأرواح.

. جبل الأرواح ! أجل أذكر أنك أخبرتني أنهم وجدوكِ في هذا المكان.

. أجل عندما تركوني في هذا المكان زرعوا في داخلي ذاك الحقد الدفين كبرت وأنا أحمل عبئا ثقيلا كان علي أن أتخلص من كل هذه المشاعر السلبية لكن لم أستطع لهذا أردت أن أجعل في هذا العالم مكانا خاصا يعيش فيه كل هؤلاء

الناس، أردت أن يعيشوا كل أحاسيسي، كل لحظة خوف عشتها، كل لحظة ألم تجرعتها ليس علي أن أعاني وحدي.

. أنت مخطئة في هذا العالم لايوجد من لم يتجرع الألم والفقد والحزن الحياة هكذا بنيت على كدر وأحيانا يجب علينا أن نصنع السعادة بأنفسنا وأن نعيش كل لحظة في الحياة ونقدرها إنها نعمة من الله منَّها علينا.

. أنت تملك قلبا نقيا لا يعرف الكره أو الحقد وعليك أن تخرج من هذا العالم.

. لكني لا أريد أن أخرج وحدي أريد أن نخرج جميعا لن أكون صديقا مخلصا إذا أنا خرجت وحدي بدونكم.

تقدمت نحوه بخطوات ثم وقفت أمامه وأشارت بإصبعها و قالت: هنا سقطت حنين وسقوطها كان بداية لي، إن سقطت أنا سينتهي كل شيء.

هكذا هي الحياة كان الزمن يعيد نفسه منذ سنين في هذا الجبل كان يقف حازم وحنين وفي هذه اللحظة يقف ناسك وسراب لكن الأمر مختلف.

مشت خطوات توقفت عند حافة الهاوية ثم نظرت إلى ناسك وقالت:

ـ إن سقطت أنا سينتهي هذا العالم المظلم وستعود من حيث أتيت ولكن إن سقطت أنت ستترك الأحداث كما هي ولن "تنهي ما بدؤوه "ولن ينتهي هذا الحلم

ثم سارت نحوه والحزن يملأ وجهها وقالت بصوت حزين:

. ألا تريد أن تنجو يا ناسك؟ أنا أنا.. أريد أن أساعدك.

. بل أنا من يريد أن يساعدك يا سراب لقد ظلمت طول هذه السنين وحملوك أوزارا وعشت بلا هدف يجب أن يتغير كل شيء أنت إنسانة طيبة والدليل هو أنك تريدين مساعدتي.

. ألست حاقدا علي لأني كنت السبب في كل ما حدث وجعلتك داخل هذا الحلم؟

. لم أحقد عليك يوما ولم أحمل حقدا في قلبي على أحد وأعلم أنك إنسانة بريئة وكل ما فعلته كان فوق إرادتك وحتى لو كانت إرادتك فأنا مازلت أثق بك وأعلم أنك كنتِ تقومين بمساعدتي خلسة.

. ما الذي تقصده؟

. أنتِ تعلمين ما الذي أقصده لقد خبأتي المذكرة التي كان يبحث عنها لامع كانت المذكرة موجودة في الغرفة السرية عند دخولي أنا وخليل وعندما عدنا مرة أخرى كنتِ برفقتنا وقد شعرتِ بوجودها في المرة التي جاء لامع بصحبتنا لم تكن موجودة أراد لامع الحصول على المذكرة لهذا تبعنا وادعى صحبتنا، كنت تعلمين أن لامع يضمر الشر وأنه إن حصل على المذكرة سيحصل مالا يحمد عقباه.

كان ناسك يتحدث بكل ثقة وسراب واقفة لم تقل أي كلمة.

. أخبريني لماذا قمتِ بمساعدتنا؟ ألستِ أنتِ الشرَّ الذي كان يحدق بنا؟

قالت بنفس كسيرة وقد امتلأت عيونها بالدموع، تلك العيون التي كانت تشع احمرارا كالجمر الملتهب صارت سوداء كقطعة ليل تتلألأ داخلها تلك الدموع.

. هذا لأنك مختلف عن الآخرين.

. مختلف! كيف ذلك؟

صرخت بكل قوة وكأنها بركان تفجر أخرجت كلماتها كالحمم تتناثر هنا وهناك، قالت:

. مختلف في كل شيء كل الذين دخلوا عالمي كان همهم نفوسهم كانوا يريدون القوة السيادة هل رأيت كيف أن زهرة أغرتهم؟ إنهم يبيعون أغلى الأشياء بأرخصها، أنظر لقد تاهوا ولم يعرفوا سبيلا للخروج، لكن أنت كنت مختلفا عليهم

حين لقائي بك أول مرة أدركت أنك مختلف لا أعرف كيف أصف شعوري ولكن أريد أن أبوح لك بشيء.

الطيبة التي يحملها ناسك قهرت كل الصعاب وأزاحت الغمام من على القلوب واستنار الفكر وذلك الصدر الرحب كسر جليد الحقد المترصع على القلوب.

أجل هذا ما كان من ناسك عرف أن الحياة قصيرة وأن وقتنا ثمين فيها وعلينا أن نعيشها بهدف نسعى إلى تحقيقه والوصول إليه وأن هؤلاء الذين يعيشون سجناء لمشاعرهم سيبقون في ظلام الوحدة ولن تصفو أرواحهم ما لم تتحرر مشاعرهم.

. ما الذي تريدين البوح به؟

ابتسمت ابتسامة كأن الشمس أشرقت من ثغرها وقالت: أنت أروع شخص مر بعالمي.

أرادت سراب أن تفعل شيئا واحد من أجل ناسك لأنها رأت أنه يستحق التضحية، كانت تجر خطاها إلى الوراء نحو الهاوية وهمت أن ترمي بنفسها، لكن يد ناسك كانت أسرع إليها، أمسك يدها وجذبها بقوة ورمى بها بعيدا، في اللحظة التي رمى سراب بها بعيدا فقد توازنه ليتعثر على حجر وجد نفسه وهو يتعثر أمام الهاوية وكان لابد من السقوط.

كان يهوي نحو الأسفل ولكنه لم يشعر بالخوف أو الندم بل شعر بالرضا حتى لو كانت تلك نهايته استسلم وأغمض عينيه، كل ما جال في خاطره وهو يهوي أن هذه هي النهاية لكل شيء.

النهايات ليست متوقعة دائما ولكن هناك نهايات لها بداية أخرى مشرقة، سقط ناسك لكن أخلاقه العالية رفعته، حبه الكبير للخير وسماحة صدره أنارت له طريقا آخر.

● بعد فترة من الزمن..

. ما به لما لم يستيقظ يا أبي؟

. لا أعرف يا ابنتي هو على هذا الحال منذ ليلة أمس.

. ألا ترون أنه يجب أن نحضر الطبيب؟

. لا أعلم يا أمي لننتظر قليلا عله يستيقظ، هاا انظرا لقد فتح عينيه.

. أخيرا يا ناسك لقد استفقت لقد قلقنا عليك كثيرا.

كان ينظر وهو مندهش أراد أن يستوعب ما حوله وجد عيونا كثيرة من حوله تنظر إليه شعر بالارتباك ثم قال:

. ما الذي يجري؟ لما أنتم تنظرون إلي هكذا ؟

. كنا ننتظر استيقاظك يا أخي.

. في أي مكان نحن الآن؟ وأين سراب؟

نظر حازم إلى زوجته وابنته وتبادلا نظرات الاستغراب ثم قال: سراب ! ما الذي تقصده ؟

أخذ ناسك يلمس جسده ويتفحصة ظنًّا منه أنه تأذى عند سقوطه من الهاوية ثم قال: كيف نجوت بهذه الأعجوبة كيف عثرتم علي؟

عمَّ الذهول على الوجوه التي كانت تنظر إليه.

. أخبرني يا أبي كيف عدت؟ هل عاد الجميع؟

وضع حازم يده على جبين ناسك وقال: هل تعاني من الحمى؟

أمسك ناسك بيد أبيه وقال: أخبرني ما الذي حدث يا أبي أين الخالة عهد؟

استغرب حازم وقال: من الخالة عهد هل أنت تهذي؟

. ما رأيك يا أبي أن نأخذ أخي إلى الطبيب لا أظن أنه بخير.

. عن أي طبيب تتحدثين يا سديم أنا بخير وبكامل قواي.

قام حازم ونظر إلى ابنته سديم وزوجته ثم قال: دعاه يرتاح قليلا.

قامت سديم ولحقت بأبيها وهي تحدثه بصوت منخفض.

. ماذا تعتقد يا أبي هل هو يهذي؟

. لا أعلم يا ابنتي أظنه رأى حلما مزعجا أثر على عقله لا تخافي سينشط قريبا.

استلقى ناسك على ظهره ولم يفهم شيئا من تصرفات أبيه كان يفكر في آخر لحظة عندما سقط ولكن هو لا يشعر بأي ألم أليس الأمر غريبا! لا يعاني من كسور أو أي أذى إنه سليم معافى.

شعر ناسك أنه مزال داخل حلم آخر أصبح الأمر أكثر تعقيدا بالنسبة له وقد دخل أحجية أخرى في أي عالم هو الآن ؟

لم يستطع النوم، خشي أن ينام ويجد نفسه داخل حلم آخر هذا ما أصبح يزعجه ثم سأل نفسه ياترى هل خرجت من الوهم ولكن ماذا عن البقية؟

● بعد مرور أسبوع..

مرت أيام على استيقاظ ناسك، الأمر أصبح هادئا لم يطرأ أي أمر جديد كان ناسك متوجها إلى بيته الصغير كان يمشي حتى توقف أمام بئر شرد للحظة عادت به ذاكرته وكأنه يسمع صوت أصدقائه وهم يصرخون ويتطايرون داخل تلك الدوامة التي سحبتهم داخل البئر، ثم التفت إلى الخلف وجد بيتا قديما هرئ لقدمه تقدم خطوات نحوه ثم دخل، كان المكان مظلما فقط ضوء قليل كان كشعاع ينبثق من نافذة تغطيها شباك العنكبوت، كل شيء مهترء كان البيت فارغا من الأثاث كان يبدو عليه أن لا أحد قد دخله لكثرة الغبار الذي يغطي

المكان للحظة تذكر الخالة عهد المرأة الضريرة لمح خيالها أمام ناظريه وابتسم، كان يشعر بشوق شديد لتلك اللحظات التي مر بها ثم حدث نفسه قائلا:

. هل كانت تعيش هنا الخالة عهد حقا؟ ولكن أين هي؟

خرج ناسك محتارا من حاله أصبح يشعر بصداع كبير لأنه أصبح ينهك نفسه بالتفكير في كل ماحدث وعندما خرج صادفه صديقه أمام منزله.

. أنت هنا يارجل؟ من الجيد أني التقيتك.

. أهلا خليل كيف حالك؟

صمت ناسك شعر بشعور غريب أراد أن يسأل خليل عما حدث له داخل عالم الوهم وكيف نجا من ذلك السم لأنه لم يتمكن من أن يأخذ إليه الترياق، لكنه تردد عندما تذكر أن أباه لايذكر شيئا مما حكاه له فكر في أن يسأله سؤالا عاديا قائلا له:

. كيف حال الجدة سناء؟

. نظر خليل باستغراب ورفع حاجبيه إلى الأعلى.

. ماذا يا خليل هل أخطأت؟ أليس لك جدة؟ شعر ناسك بالإحراج ظنًا منه أنه يهذي حقا كما قال والده.

. لا يا ناسك لم تخطئ ولكني أستغرب كيف تذكرت الجدة سناء، لا أذكر أني أخبرتك يوما عن اسم جدتي.

توتر ناسك وقال: ماذا حقا !! إذن كيف عرفت اسم جدتك؟

ضحك خليل، ربما أخبرتك هههه دعك مني لنذهب.

. إلى أين تريدني أن أذهب؟ هل تريد اللعب أيضا؟ أم تريد خوض المغامرات.

. ما قصتك يارجل أصبحت تقرأ الطالع أم ماذا؟

. أجل أصبحت أقرأ الطالع سأخبرك عن بيت الجدة ماذا يوجد به إن كان كلامي صحيحا فهذا يعني أني لست مخطئا.

استغرب خليل من تصرفات ناسك الغير اعتيادية جمع ذراعيه مع بعضهما على صدره ثم قال: أنا أنصت..

. ألا يوجد في بيت الجدة فناء وبه شجرة كبيرة ومعلق على غصنها أرجوحة؟

تعجب خليل وتوسعت عيناه مندهشا مما قال ناسك ثم قال: كلامك صحيح كيف عرفت ذلك لا أظن أني أخبرتك بذلك؟

. سأخبرك هذا المساء، سنلتقي عند منزلي تذكر ذلك.

أخذ خليل ينظر إلى ناسك وهو ذاهب يمشي أمامه ثم قال:

. لما أشعر أن ناسك متغير كثيرا أشعر أنه أصبح أكثر ثقة وقوة.

كان الجميع جالسا حول مائدة الغداء كان الهدوء يعم المكان، وكان حازم ينظر إلى ناسك وهو يحمل الملعقة التي وصلت إلى فمه ولم يبتلعها كذلك حال سديم التي كانت ترمق أخاها بنفس النظرات وضع ناسك الملعقة ثم قام وقال: بصحتكم وصعد إلى غرفته .

كان الحزن يملأ قلب عائلته لما أصبح عليه حال ناسك، كانوا يظنون أنه يعاني من حالة نفسية.

قامت سديم من على المائدة ثم صعدت إلى غرفة ناسك دقت الباب ثم دخلت وجدت ناسك ملقى على سريره.

رآها ناسك قام من مكانه جلست قربه ثم قالت: كيف تشعر يا أخي؟

. لا أعلم كيف أشعر لا أحد يفهمني.

وضعت يدها الرقيقة على فخذه تحاول أن تواسيه بكلمة نظر إليها وقال:

. أتعلمين يا سديم؟ الوهم الذي كنت أطارده كان لي سماء مرصعة مزينة بالنجوم والواقع الذي استيقظت من أجله أصبح لي قاعا بلا قرار.

. كلماتك عميقة يا أخي أصبحت أكثر نضجا منذ أن استيقظت تغيرت كثيرا أصبحت شابا أكثر جدية وأشعر أنك أصبحت أفضل لولا الحزن الذي يسكنك الآن.

. لا أعلم يا أختي أشعر بالفراغ في داخلي أحس أن جسدي هنا بينكم لكن روحي مازالت معلقة هناك في ذلك العالم، عالم الوهم.

. أتعرف يا أخي؟ أنا حقا أصدقك.

. حقا !! أنتي تصدقينني؟

. أجل أصدقك وسأكون معك في كل الظروف.

شعر ناسك بسعادة كبيرة لأن كلمات أخته جعلته يصدق نفسه.

. اسمع يا أخي كل ماحكيته لي كان أمرا مريعا لا يعقل أنك مررت بكل تلك الأحداث وكيف لزهرة عادية أن تصنع عالما خياليا بهذه الطريقة ولكني تشوقت كثيرا أصبحت مثل صديقك خليل هههه، ضحكت وضحك ناسك معها ثم قال:

. إنها ليست زهرة عادية، إنها خطيرة جدا لو أن سراب لم تخرجني من ذلك العالم لما تمكنت من الخروج، أتعلمين ياسديم؟ أدركت أمورا كثيرة، صحيح أنه مجرد وهم ومجرد زهرة لكن الأمر أشبه بالنفس.

. ماذا تقصد أنه أشبه بالنفس؟

. الحسد يولد في النفس صفات أخرى ذميمة، الحسد يورث الحقد والغل فقط عندما تتمنى ما عند غيرك وتنسى ما عندك تعيش في متاهة، متاهة الزهرة أشبه بمتاهة النفس حين تتبع هواها تعلمت أن الحسد يولد أخطاء تليها أخطاء حتى تغرق النفس فلا يمكنها الرجوع من جديد.

. معك حق يا أخي، علينا أن نحمد الله على ما أعطانا نحن أجمل بطبيعتنا بما نكتسبه من مواهب ومهارات لا يحتاج الأمر إلى أن نتمنى ماعند غيرنا.

. أتعلمين أنه من الصعب أن يفهم هذا الأمر الكثير من الناس؟

. حسنا ما رأيك أن نتفقد الغرفة السرية يا أخي!

. معك حق، لمَ لم يخطر ببالي هذا.

قام ناسك وسديم واتجهوا نحو الغرفة السرية كان ناسك يعرف المكان جيدا وقف داخل غرفة ثم قالت سديم: المكان فارغ لا توجد مكتبة كما قلت.

نظر ناسك أسفل قدم سديم وقال: الباب تحت قدميك.

أزاحت قدميها ثم قام ناسك بفتح الباب ونزلا السلالم، كان ناسك يتذكر تلك الذكريات الجميلة التي جمعته بسراب وخليل وصل إلى الغرفة وأخذ يحدق بكل تفاصيلها ويسترجع ذكرياتها شعر أنه يسمع صوت خليل وهو يصرخ حينما أفزعه ناسك وصورة سراب الصامتة الهادئة، تبسم ناسك وهو يتذكر كل تلك الذكريات ثم قال: حقا أشتاق إلى تلك الأيام أتمنى حقا أن تعود.

نطقت سديم وقالت: لم أكن أتصور أن في منزلنا حقا توجد غرفة كهذه إنها تشبه تلك القصص والروايات.

تبسم ناسك وقال: أنت حقا تشبهين خليل يحب الإثارة والتشويق وشغفه هذا جعله سجينا في ذلك العالم.

. غريب ولكن خليل موجود حقا.

. لكن في قلبي خليل مزال مسجونا هناك.

. هل تظن أن المذكرة موجودة هنا؟

انتبه ناسك لكلام سديم ثم تذكر كلام لامع حول المذكرة أنها بحوزته وهي سبب وجوده في عالم سراب.

أخذ يبحث بين الكتب عله يجدها بينهم لكنه لم يجد أي شيء.

الواقع الذي هو موجود فيه أصبح أكثر غموضا من الوهم الذي كان بداخله هذا ما أحس به ناسك.

حل المساء التقى ناسك بخليل واجتمع معه هو وسديم في بيته كما كان يفعل من قبل.

حكى ناسك كل ماحدث معه لصديقه ولم ينسَ أي لحظة مر بها، كان خليل ينصت وعيونه تشع ثم قال:

. هل يعقل أنك رأيت كل هذا في حلم ؟ إنها أشبه برواية، هل حقا يوجد في هذا العالم جبل الأرواح أتمنى أن أرى تلك الزهرة التي تدعى شبح الأوركيد ولكن لما لا أرى حلما كهذا؟

. يمكنك أن تدخل هذا العالم إذا أردت.

. ولكنك رأيت هذا في حلمك أنت هل تتكرر الأحلام مع الأشخاص ؟

. ولكني لا أشعر أنه حلم.

قالت سديم: ما رويته لنا يا أخي صعب تصديقه ولكن بحسب ما فهمت "إنها حقا أرواح لا تغفر"

تفطن ناسك لكلامها العميق الذي لم يدركه هو ثم قال: أجل صدقتِ "أرواح لا تغفر".

قام من مكانه وأخذ يجول وسط البيت شعر بحنين يتخلل قلبه تذكر عندما كانت سراب في البيت وهي جالسه تحكي له عن حكايتها ثم جلس على الأريكة، أمسك رأسه بكلتا يديه ثم أخذ يقول:

. أريد أن أفهم ما الذي يجري لما أشعر بهذه الأحاسيس. لما أتذكر كل هذه التفاصيل من تكون سراب من تكون الخالة عهد؟ لمَ أبي لا يعرفها ولم يتعرف على حنين أعلم أني كنت أعيش في عالم الوهم عالم الزهرة وأن سراب سبب كل هذا ولكن لا أعتقد أن سراب هي وهم أيضا.

لا..لا متأكد أن سراب في مكان ما يجب أن أجدها ويجب أن أفهم كل ما يحدث أنا أؤمن أن الحكاية لم تنتهي لم أفهم لغز الخالة عهد و ماذا عن البئر لما هو متصل بذلك العالم؟ لقد سقطت من أعلى الجبل ومع هذا أنا مازلت موجودا إذن حنين لم تمت أيضا هذا يعني أنها موجودة بمكان ما يجب أن أعود وأفهم الحكاية أنا متأكد أنهم مازالوا مسجونين بذلك العالم.

هذا ما كان يفكر به ناسك شعر أن النهاية ليست عندما سقط وخرج من حلم الزهرة وعاد إلى واقعه شعر ناسك أنه عليه أن يفهم لما دخل هذا العالم بالأصل ولمَ خرج هكذا دون أن يفهم كل شيء.

الفضول إلى معرفة الحقيقة، حقيقة سراب هل هي من جاءت إلى عالمه أم أنه هو من مر بعالمها؟

كانت سديم أخته تنظر إليه بحزن أرادت أن تساعد أخاها لكن لم تعرف كيف، وخليل ينظر إليه وهو يحاول أن يفهم ماكان يقوله ناسك.

قام ناسك وأخذ يتجول بأرجاء المنزل اتجه نحو المكتبة التي يضع عليها كتبه وعلى إحدى الرفوف كان هناك كتاب لفت نظر ناسك شعر أن الكتاب غريب عن باقي الكتب إذ أن الكتاب قديم بالٍ ورث، كان مهترئا كأنه من عصور قديمة، حدث نفسه قائلا:

. كأني رأيت هذا من قبل؟

أخذ ينظر إليه، شعر أن نبضات قلبه تتسارع، انتبه خليل وسديم إلى تعابير وجهه التي تغيرت فجأة، قاما من مكانهما واتجها نحوه وقفا بجانبه.

شعر برغبة كبيرة في أن يمسك الكتاب، طال بيده نحو الكتاب وهو متردد ثم أمسك الكتاب وحمله نظر خليل وسديم إلى الكتاب كانوا متفاجئين جدا، على الكتاب كانت تجود نقوش ورسمة غريبة على شكل زهرة وتحتها كتابة، قرأ بصوت منخفض "أنت مجرد شخص يمر عبر عالمي"

فجأة سمعوا صوت دقدقة على الباب، فزعوا جميعا وبدا التوتر عليهم تبادلوا النظرات بينهم تسارعت نبضاتهم وعيونهم خاشعة ترمق الباب بحذر، تشجع ناسك وتقدم نحو الباب لحقة خليل وسديم، ثم وقف أمام الباب شعر أن شخصا خلف الباب، شخص هادئ، كان الظل تحت الباب يوحي لناسك أن الطارق ليس بأبيه أو أمه لكنه لم يعطِ لنفسه متسعا من الوقت ليفكر، ثم قام بفتحه وقف ناسك مندهشا وعيناه تتسع وهو يحاول أن يبلع ريقه ثم قال بصوت خافت تكاد أنفاسه تتقطع:

سـ سـ سـ.... سرااااب !!!!!!

النهايـــــــــة

الخـــاتمة

يصادف أن نلتقي بأشخاص منهم من يمر مر السحاب ومنهم من هو كالظل يلزمك حينا ثم يأذن بالزوال، ومنهم من يجتاح روحك ويسكن فؤادك، تولد من أجله وتعيش له، وبكل كيانك تريد أن يكون هو أنت، لتدرك في النهاية أنك مجرد شخص يمر بعالمه، ترحل أنت ويبقى كل شيء فيك معه، لتبدأ من جديد دون أن تدرك أين هو عالمك.

* * *